أساليب القرآن الكريم

دراسة في النظرية والتطبيق

الأستاذ الدكتور

محمد كاظم حسين الفتلاوي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم

جامعة الكوفة

المؤلف: ..... الأستاذ الدكتور محمد كاظم الفتلاوي
الكتاب: ..... أساليب القرآن الكريم
دراسة في النظرية والتطبيق
الناشر: ..... دار حدود / بيروت
الطبعة: ..... الأولى / ١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م
المطبعة: ..... مطبعة الرافد – بغداد

التصميم والإخراج الفني
مكتب محمد الخزرجي ٠٧٨٠٠١٨٠٤٥٠
العراق – النجف الأشرف

الترقيم الدولي: I.S.B.N. 978 – 9922– 9774– 1 – 6

الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٤٤) لسنة ٢٠٢٢م

محفوظة جميع الحقوق

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

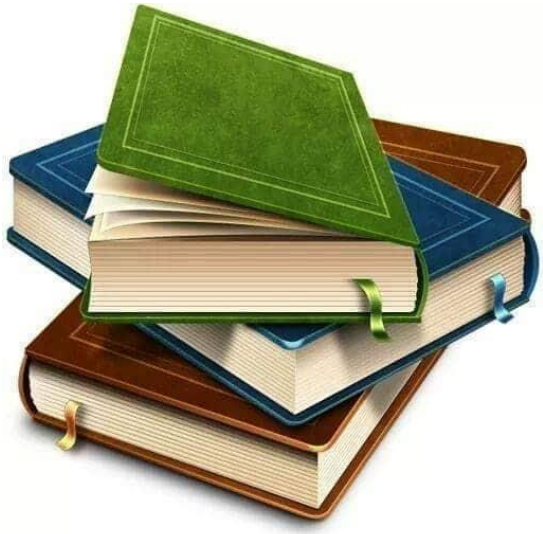

إهداء

إلى ..

روح أمي الحبيبه "طيب الله ثراها".

وروح أبي العزيز "طيب الله ثراه".

﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾

جزء من الوفاءوالبر بهما، زرعوا فحصدوا نزرع فيحصدون

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمّد وعلى آله الطاهرين

اما بعد..

لمّا كان القرآن العظيم كتاب هداية نزل لِهداية النَّاس في كل عصر ومصر للحقِّ، وإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وتبصيرهم بسبل الوقاية والنّجاة من الشرور والآثام، وكان النَّاس متباينين في مداركهم وأفهامهم، مختلفين باختلاف بيئاتهم واستعداداتهم ... كان من الحكمة أن تتنوع أساليب القرآن الكريم وأن تعدد طرقه؛ من أجل أن تلائم أحوال النَّاس على اختلاف بيئاتهم وقيمهم وعاداتهم، وما طُبعت عليه نفوسهم من تباينٍ في التكوين والاستعداد، أو في الثقافة والتفكير.

وقد أشار المفسر الطاهر بن عاشور (ت:١٩٧٣م) إلى هذا المعنى بقوله: (جاء القرآن الكريم بأسلوب من الإرشاد قويم ذي أفنان لا يحول دونه ودون الولوج إلى العقول حَائل، ولا يغادر مسلكاً إلى ناحية من نواحي الأخلاق والطبائع إلا سلكهُ إليها تحريضاً أو تحذيراً، بحيث لا يعدم المتدبر في معانيه اجتناء ثمار أفنانه)[١].

(١) تفسير التحرير والتنوير، ١٥/٤٠.

نعم؛ ينفرد أسلوب القرآن في آياته كونه أسلوباً متميزاً لا نظير له بين الأساليب العربية، يقول الباقلاني (ت:٤٠٣هـ): (أسلوب القرآن خاص به لا يضارعه فيه غيره، كما أنه خارج عن الأساليب المعروفة)[١].

وقد نبَّه الله ﷻ إلى هذا التنوّع في كتابه الكريم في مواطن عدة، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾[٢]. ويخرج لفظ التصريف إلى معانٍ عدة، منها: الزيادة، والترديد والتكرير، والتبيين، والتنويع.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾[٣]. من خلال هذه الآية يتضح بأن القرآن الكريم جاء مشتملاً على أصناف من النصوص التي تنوعت في اساليبها.

ومن أجل أن يُحقّقَ القرآن الكريم مقاصدَه المتعددة مع مراعاة أختلاف الناس تنوعت أساليبه؛ وهذه الأساليب كان منها ما له وقع ملموس في مؤلفات علوم القرآن، ومنها لم يتم ذكره ألبته، ولحظت فيمن لحظ ان طالبنا الجامعي العزيز المتخصص ناهيك عن المثقف لم يتسنى له دراسة هذه الأساليب بطريقة عملية تطبيقية ميالة الى بيئة هادفة متخصصة في علوم القرآن الكريم.

مع كل ما تقدم من أسباب للشروع بتأليف هذا الكتاب: **(أساليب القرآن الكريم)** هو ان صاحب هذه الاسطر كان مفتقراً الى بيانها أيضاً، فبعد قراءة مجموعة من

---

(١) إعجاز القرآن، ص٦٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٤١.

(٣) سورة النور، الآية: ٣٤.

مؤلفات علوم القرآن الكريم[١]، كان الحافز قد تجدد والسبب قد تجذر والعزم بعد الاتكال على الله تعالى في تهيئة كتاب خاص بأساليب القرآن الكريم قد نضج.

اما منهج الكتاب، فكان المنهج الوصفي التحليلي، وخطته فكانت كما هي مبينة في بعض تفاصيلها في قائمة المحتويات: أسلوب (علم) القصة والأمثال والأقسام والجدال والفاصلة القرآنية وأسلوب توجيه الخطاب والتقديم والتأخير والايجاز والاطناب وأخيراً أسلوب المجاز في القرآن الكريم.

وتجدر الإشارة ان بعض الباحثين المؤلّفين في علوم القرآن يذكرها تحت عنوان "علم" وبعضهم على انها أسلوب، ولا نجد في ذلك مشاحة لا سيما وان المضمون واحد في محتواه.

واما سبب اختيار هذه الأساليب دون غيرها، فهذا يعود لأهميتها وانتشارها وأثرها التربوي والنفسي، وحاجة طالبنا العزيز إليها وكذلك المثقف، كما وكنت مبتعداً عن التعقيد، حريصاً على سلاسة العبارة ووضوح المعنى، منتفعاً بقدر كبير من العلوم الأخرى من دون الخوض في خصوصيتها ودقة معانيها ومصطلحاتها، فالغاية من تأليف هذا الكتاب هو ربط الإنسان بخالقه، بتدبر آيات الكتاب العزيز، فالقرآن لم ينزل ليُتلى في المقابر ولا ليقرأ على الأموات، ولا ليتكسب به المال فحسب، بل الغرض منه الاطلاع على الحقائق، وتهذيب الخلائق.

نعم انزله الله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[٢]، فمن قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي الى صراط

---

(١) ينظر على سبيل المثال: عبد الله بن يوسف الجديع، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ص٣٧١، د. مصطفى ديب البغا وآخر، الواضح في علوم القرآن، ص١٨١-٢١١، د. فضل حسن عباس، محاضرات في علوم القرآن، ص٣٠٧-٣٤٤، موسى إبراهيم موسى، بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم، ص١٨٤-٢١١، د. عادل حسن علي، الجمان في علوم القرآن، ٢/٣٠٧-٤٠٣.

(٢) سورة يس، الآية: ٧٠.

مستقيم، قال الإمام علي عليه السلام: (واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب. وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى، أو نقصان في عمى)[١].

وبعد بيان سبب اختيار موضوع الكتاب، وأهميته والغاية من مضمون فصوله، ارى من المناسب ان اذكر ان لهذا الكتاب قصة.

قصة الكتاب: قبل سنتين من تاريخ انتهاء هذا الكتاب، كان المقرر هو الشروع بكتاب عن علوم القرآن وتاريخه، وحقاً كان التوفيق من الله تعالى في المباشرة في جمع المصادر، وكان أول ما كتبت هو عن تاريخ القرآن كباب أول فيه، ومن ثم الدخول في الباب الثاني الذي كان عن علوم القرآن الموضوعية، وكان هناك فصل يقره بعض من ألف في علوم القرآن ويهمله الكثير، والذي كان تحت عنوان: أساليب القرآن، وان كان منهم يدرج موضوعاته ليس تحت العنوان أعلاه وانما يذكر فصول منه كأسلوب القصة أو بعنوان علم القصة وعلم الامثال والاقسام والجدل وغيرها من غير تفصيل.

فأرجأت الشروع بهذا الفصل حتى استعلم أمره واجعله آخر شيء في فصول كتابنا علوم القرآن وتاريخه، وحين عكفت بالمطالعة والكتابة وجرت الأيام والليالي وتواصل العمل بجهد حثيث، وإذا يصل المطاف ان اعيد النظر بهذا الفصل وما ان خصّصت له القلم والوقت والجهد وكدست من المصادر حوله، وجدته موضوعاً يستحق ان يكون كتاباً مستقلاً، وقد كانت النية حينها ان اختصر كما اختصر غيري ممن سبقني، إلا ان القلم كان له قول آخر، فامتدت الاسطر لتتسع الأوراق، وينفسخ العزم كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (عرفت الله سبحانه بفسخ العزائم

(١) نهج البلاغة، ٩١/٢.

وحل العقود)[١]، فبعد ان كان هو فصلاً من كتاب صار كتاباً، وبعد ان كان الأخير صار الأول في الطبع، وبعد ان كان العزم بتأليف كتابٍ واحدٍ كان التوفيق من الله ﷻ ثلاثة مؤلفات، أولها تحت عنوان: علوم القرآن التاريخية، وثانيها: علوم القرآن الموضوعية، وثالثها ما بين يديك الآن: أساليب القرآن الكريم.

على أمل توفيق من الله تعالى ان يعقبه في الطبع كتاب: علوم القرآن التاريخية، بعد ان ندخر ما يمكن ادخاره من المال لأجل طبعه اسوة بمؤلفاتنا الأخرى التي سبقته، ومن ثم نردفه بكتابنا الثالث: علوم القرآن الموضوعية، وسبب تقديم كتابنا الحاضر على المؤلفين الآخرين هو لأجل الإشارة في كتاب علوم القرآن الموضوعية في الفصل الذي ندرجه فيه تحت عنوان: أساليب القرآن وذكر ملخصات لبعض الأساليب والاحالة لهذا الكتاب – ان شاء الله تعالى –، ولا أكون أكشف سراً ان اتساع عدد صفحات الكتاب تكون عبئاً مالياً على كاهلي.

أخيراً.. وفيما حبّرت أناملي حاولت الاجتهاد على قدر الجهد وحسبَ الطّاقة، غير مقلد تقليد يقتضي الجمود، ولا مستنكفاً عن فائدة يجود بها من يجود، من كبير كان أو صغير يكون، ادور حيث دارت المعلومة والحكمة، قال النبي الأكرم ﷺ: (الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها)[٢].

فإن تعثرت في الطريق إليها فقد جَل من لا يخطئ، ومَن يعمل لا بدَّ ان يزل، ولا عليه من ذلك ما دام الخطأ مرحلة من مراحل الصواب على التحقيق كما يقول أحد الفلاسفة: (فلست أدعي الكمال إذن، بل متى يُظنُ ذلك مني حتى أنفيه!).

---

(١) المجلسي، بحار الانوار، ١٧٥/٥، العزائم جمع العزيمة: الإرادة المؤكدة. وفسخها نقضها. والعقود جمع العقد بمعنى النية تنعقد على فعل أمر، وبهذا النقض والحل يعرف أن هناك قدرة سامية قاهرة فوق إرادة البشر ومشيئته تحول بين الانسان وإرادته، وهي قدرة الله تعالى، ولولاها لكان الانسان أمضى ما عزم، وفعل ما عقد.
(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ٩٩/٢.

فما أنا إلا بشر رائده قول ألبرت هوبارد (ت:١٩١٥م): (أعظم خطأ يرتكبه الإنسان؛ هو الخوف من الوقوع في الخطأ)، وأحسن منه قول أمير المؤمنين علي عليه السلام: (إذا هبت أمراً فقع فيه، فإن شدة توقيه أعظم مما تخاف منه)[١]، لذلك كتبت ما كتبت، ودونت ما إليه وصلت في هذا الكتاب وغيره، فالخطأ فيه وارد ومحاولة التصويب من غيرنا ثمرته.

ختاماً.. أسأل الله سبحانه ان يوفقنا فيما سطّرنا وان يبارك لمن يقرأ سطورنا، ويجعلنا وإياكم من أهل طاعته وفي خدمة كتابه الكريم على هدي الحبيب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الكرام عليهم السلام، والحمد لله رب العالمين.

محمد كاظم حسين الفتلاوي
جامعة الكوفة / النجف الاشرف

وفوق كل ذي علم عليم

(١) نهج البلاغة، الحكمة: ١٧٥.

المحتويات

الآية المباركة ٣

الإهداء ٥

المقدمة ٧

الفصل الأول: أسلوب القصة في القرآن الكريم ١٧

أولاً: القصة في اللغة والاصطلاح..... ٢١

ثانياً: طريقة عرض القصة في القرآن الكريم..... ٢٢

ثالثاً: أنواع القصص القرآني ٢٣

رابعاً: التكرار الهادف في القصص القرآني ٢٤

خامساً: خصائص القصص القرآني..... ٢٦

سادساً: تنوع الاستهلال بالقصة القرآنية..... ٣٠

سابعاً: أهداف القصة القرآنية..... ٣٠

ثامناً: انموذج قصصي؛ قصة ذو القرنين..... ٣٥

الفصل الثاني: أسلوب الأمثال في القرآن الكريم..... ٤٥

أولاً: الأمثال في اللغة والاصطلاح..... ٤٨

ثانياً: تصنيف الأمثال بوجه العموم..... ٥٠

ثالثاً: أقسام التمثيل ٥٣

رابعاً: أقسام الأمثال في القرآن الكريم..... ٥٥

خامساً: خصائص ومزايا أمثال القرآن الكريم..... ٥٩

سادساً: فوائد الأمثال في القرآن الكريم..... ٦٠

سابعاً: الفرق بين المثل والحكمة ٦٢

ثامناً: الفرق بين الأمثال والقصص..... ٦٣
تاسعاً: نماذج من الأمثال القرآنية ٦٤
الفصل الثالث: أسلوب القسم في القرآن الكريم ٧١
أولاً: القسم في اللغة والاصطلاح..... ٧٤
ثانياً: الفرق بين الحلف والقسم..... ٧٤
ثالثاً: أنواع القسم في القرآن الكريم..... ٧٦
رابعاً: أركان القسم..... ٧٧
خامساً: أقسام القسم..... ٨٢
سادساً: أغراض القسم..... ٨٣
سابعاً: القسم بغير الله ﷻ ٨٤
ثامناً: وقفة مع (لا أقسم) ٨٧
تاسعاً: ما يجري مجرى القسم ٨٩
الفصل الرابع: أسلوب المجادلة في القرآن الكريم ٩٣
أولاً: المجادلة في اللغة والاصطلاح..... ٩٦
ثانياً: النظرة التاريخية في المجادلة ٩٧
ثالثاً: أنواع الجدل في القرآن الكريم..... ٩٧
رابعاً: طرق الاستدلال في القرآن الكريم ١٠٠
خامساً: ضوابط وآداب الجدل في القرآن الكريم ١٠٥
الفصل الخامس: أسلوب الفاصلة القرآنية ١١١
أولاً: الفاصلة في اللغة والاصطلاح..... ١١٣
ثانياً: الفرق بين الفاصلة والقافية والسجع..... ١١٤
ثالثاً: أنواع الفواصل ١١٥
رابعاً: تاريخ التأليف في الفواصل القرآنية..... ١١٩

الفصل السادس: أسلوب الخطاب في القرآن الكريم ١٢١
أولاً: الخطاب في اللغة والاصطلاح..... ١٢٤
ثانياً: أقسام الخطاب بوجه العموم ١٢٥
ثالثاً: عناصر الخطاب القرآني ١٢٦
رابعاً: خصائص الخطاب القرآني ١٢٧
خامساً: دلالات من خلال السياق القرآني..... ١٣٥
سادساً: أنواع (أوجه) خطاب القرآن الكريم..... ١٣٧
الفصل السابع: أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم..... ١٥١
أولاً: التقديم والتأخير في اللغة والاصطلاح..... ١٥٤
ثانياً: أهمية علم التقديم والتأخير عند العلماء..... ١٥٥
ثالثاً: فوائد علم التقديم والتأخير ١٥٨
رابعاً: أسلوب التقديم والتأخير بين المؤيدين والمعارضين..... ١٦٣
خامساً: أقسام التقديم والتأخير ١٦٦
سادساً: مقاصد التقديم والتأخير في القرآن الكريم..... ١٧٥
الفصل الثامن: أسلوب الإيجاز والاطناب في القرآن الكريم..... ١٨٥
أولاً: الإيجاز ١٨٨
١. في اللغة والاصطلاح..... ١٨٨
٢. أقسام الإيجاز..... ١٩٠
٣. أسباب الإيجاز..... ١٩٤
ثانياً: الاطناب ١٩٦
١. في اللغة والاصطلاح..... ١٩٦
٢. أقسام الزيادة ١٩٧
٣. أسباب الاطناب ١٩٧
٤. أنواع الاطناب ١٩٨

٥. موارد الاطناب ٢٠٧
الفصل التاسع: أسلوب المجاز في القرآن الكريم..... ٢٠٩
أولاً: المجاز في اللغة والاصطلاح..... ٢١٢
ثانياً: أقوال العلماء حول المجاز في القرآن الكريم..... ٢١٣
ثالثاً: الحقيقة وأنواعها ٢١٥
رابعاً: أهمية معرفة المفسر بالحقيقة والمجاز..... ٢١٦
خامساً: المجاز وقيمته الفنية..... ٢١٩
سادساً: دواعي المجاز وأغراضه في القرآن الكريم..... ٢٢٠
سابعاً: أقسام المجاز في القرآن الكريم..... ٢٢٤
١. المجاز اللغوي ٢٢٤
٢. المجاز العقلي ٢٣٣
الخاتمة..... ٢٣٧
قائمة المصادر ٢٣٩
الملخص باللغة الإنكليزية..... ٢٤٨

الفصل الأول

أسلوب القصة في القرآن الكريم

من تواضع لله رفعه

الفصل الأول:

أسلوب القصص القرآني

لقد فكر الإنسان كثيراً عندما صاغ من فكره فن الحكاية أو الأقصوصة التي تطورت بشكلها الفني واسمها الأدبي كجنس من الاجناس الأدبية لتكون القصة، وأدت القصة أمرين مهمين من أمور الإنسان: أولهما التسلية والاستمتاع، وثانيهما: تسجيل أحداثه وأسراره.

لهذا كانت القصة عامل مؤثر ومهم في حياة الإنسان فهي تحاكي نفسه وعقله في وقت واحد، والقرآن الكريم كتاب للبشرية جمعاء، جاء متناغماً مع الفطرة الإنسانية السليمة، متوسلاً بسبل الهداية والإرشاد بوسائل عدة، كان منها أسلوب القصة؛ الذي يُعد علم من علوم القرآن الكريم الموضوعية، إذ يدرس هذا العلم ظاهرة القصة في القرآن، إذ شغلت القصص قريب ثلث القرآن، وإنها ظاهرة تستحق الوقوف عندها وبيان أهمية القصص وأسلوب القرآن فيه، والضوابط والقواعد الضرورية للمسلم في هذا الأمر.

قد قص الله تعالى فى القرآن الكريم قصصاً للأنبياء والمرسلين وما دار بينهم وبين أقوامهم، وما حدث من وقائع وأحداث في زمانهم، قصها علينا بأساليب متنوعة يتحقق بها إعجاز القرآن الكريم، ذلك أن أسلوب القصص القرآن ذا خصائص يمتاز بها عن سائر الأساليب فله في المعنى واللفظ ألوان من التوجيه، وفنون من الإيحاء والتعليم، كما أنه له – كما للقرآن الكريم كله – من الجدة التي لا تبلى، وتلك الروعة التي لا تزول.

إن القصص القرآنيّة أداة توجيه وتربية وتثقيف للفرد والجماعة، كما أنّ القصّة تمثّل محوراً ومرتكزاً هامّاً في رسالة القرآن الكريم، في تأدية فكرة معيّنة ترغيباً وترهيباً، عبر الأسلوب الفنيّ القصصيّ، بحيث يحدث هذا الأسلوب الاهتزاز النفسي، والتفاعل الحيّ والحيويّ مع الأحداث، ويترك هذا الأسلوب الأثر المطلوب في الشخصيّة على المستوى الذهني والنفسي والروحي، فتصبح أكثر إقبالاً وقرباً من الفكرة وغايتها، عندها يصبح دورها بمدى استفادتها من هذا الواقع الجديد الّذي تحكيه القصّة، وربط معانيها ومفاهيمها بالواقع واستخلاص الدّروس والإرشادات...

ولا نظن بأن أحداً لا يريد التطلع الى تجارب الآخرين، فالفائدة متحققة، وما على العاقل إلا أن يعتبر ويتزود في رحلته الى الله ﷻ، ويزيده القصص ثباتاً في طريقه ودعوته.

وفي أهمية التجارب والإفادة منها يقول الإمام علي ﷺ: (لولا التجارب عميت المذاهب، وفي التجارب علم مستأنف)[١]، وقال ﷺ أيضاً: (الاعتبار يقود إلى الرشاد)[٢].

١. معنى القصة:

ووالقصص مأخوذة من الفعل قصَّ أي اتبع الأثر، قال تعالى: ﴿**وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ**﴾[٣] أي تتبعي أثره لتعرفي خبره، وقال تعالى: ﴿**فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً**﴾[٤] أي رجعا متتبعين آثارهما في الطريق الذي أتيا منه.

---

(١) الكليني، الكافي، ٢٢/٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) سورة القصص، الآية: ١١.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٦٤.

والقاص هو الذي يقص القصص، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[١] أي نوضح لك أحسن البيان والتوضيح.

ويأتي قصَّ بمعنى الإخبار والإنباء[٢] قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾[٣] ويساعد المعنى اللغوي في وضع حد اصطلاحي لمعنى القصة وهو كالتالي:

القصص القرآني في الاصطلاح:

وللقصة تعاريف كثيرة لدى العلماء، نقتصر على ذكر ما قل منها ودل خشية الإطالة والاملال، نذكر منها:

(أن القصة بمفهومها القرآني هي كلام إلهي مفرغ في قالب الوحي يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام)[٤].

وعرفت بانها: (وسيلة للتعبير عن الحياة أو قطاع معين من الحياة يتناول حادثة واحدة، أو عدداً من الحوادث بينها ترابط سردي ويجب أن تكون لها بداية ونهاية)[٥]

ونختار التعريف الأول لقربة من خصوصية القصة في القرآن الكريم، إذ قيدها (كلام إلهي مفرغ في قالب الوحي) فخرجت القصة البشرية الفنية الحرة المتوخى منها أداء غرض فني طليق، وبهذا فلا يصح ان نسمي القصص القرآني قصصاً

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٣.

(٢) ظ: المعجم الوسيط، ٧٤٦/٢.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١٣.

(٤) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٣٠٨/٢.

(٥) محمد كامل حسن، القرآن والقصة الحديثه، ص٩.

بالمعني المصطلح عليه عند النقاد، فهو ليس عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه فحسب كما هو الشأن في القصة الفنية، بل يمتاز بأسلوبه المعجز في سرد الاحداث محققاً بذلك الغرض الأسمى في ظل ذلك السرد القصصي، وبهذه الميزة الفنية الاعجازية تحدى الله ﷻ العرب قاطبة على ان يأتوا بمثله او ببعضه.

وبقيد الهداية الى سبل السلام خرج ما كان لمجرد المتعة وقضاء الوقت في قراءات القصص أو الاستماع اليها اذ ليس في ذلك عظة وعبرة يستلهما القارئ او المستمع ليهتدي بها الى سبل السلام وتوصله الى بر الأمان.

وكيف كان فالقصص القرآني يختلف عن غيره من القصص في ناحية أساسية هي ناحية الهدف والغرض الذي جاء من أجله، ذلك ان القرآن الكريم لم يتناول القصة لأنها عمل (فني) مستقل في موضوعه وطريقة التعبير فيه، كما أنه لم يأتي بالقصة من أجل التحدث عن أخبار الماضين وتسجيل حياتهم وشؤونها – كما يفعل المؤرخون– وانما كان عرض القصة في القرآن الكريم مساهمة في الاساليب العديدة التي سلكها لتحقيق أهدافه وأغراضه الدينية التي جاء الكتاب الكريم من أجلها، بل يمكن أن تقول: ان القصة هي من أهم هذه الأساليب[١].

ثانياً: طريقة عرض القصّة في القرآن الكريم:

لما كانت القصة في القرآن تهدف الى مقاصد دينية وإيمانية كانت طريقة القص في القرآن متميزة عن المألوف في هذا الفن، لكي يتلاءم أسلوب عرض القصة مع الوفاء بحق الغرض الذي سيقت لأجله، فنشاهد في القرآن الكريم طرائق مختلفة للابتداء في عرض القصة وهي كالآتي:

---

(١) ظ: محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص٣٥٣.

١. بعض القصص جاءت بطريقة السرد، ومثالها قصة نوح عليه السلام، وقصة الذي انسلخ من اسم الله الأعظم، وقصة آدم في سورة البقرة ...
٢. وبعضها جاءت بطريقة الحوار، ومثالها في قصة النبي موسى والخضر عليهما السلام، وقصة إبراهيم عليه السلام وقومه، والنمرود...
٣. وبعضها جاءت تحمل في أسلوبها السرد والحوار معاً كقصة النبي يوسف عليه السلام، ومَنْ سأل عن قرينه الذي كاد أن يغويه لولا رحمةُ ربّه به[١].
٤. وبعضها جاءت مسرحيّة حوارية كقصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام في سورة الأعراف[٢] وكقصة موسى عليه السلام في السورة نفسها[٣].

ثالثاً: أنواع القصص القرآني:

والقصص في القرآن ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قصص الأنبياء عليهم السلام، وقد تضمن دعوتهم الى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين، كقصص نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، والحبيب محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

النوع الثاني: قصص قرآني لأمم وأشخاص غير الأنبياء، تتعلق بحوادث غابرة، كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. وطالوت وجالوت، وابني آدم وأهل الكهف، وذي القرنين وقارون، وأصحاب السبت، ومريم وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.

---

(١) ظ: سورة الصافات، الآيات: ٥ . ٦١.
(٢) ظ: سورة الأعراف، الآيات: ٥٩ . ٩٣.
(٣) ظ: سورة الأعراف، الآيات: ١٠٣ . ١٥٦.

النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن الرسول الأكرمﷺ كغزوة بدر وأُحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة والإسراء، ونحو ذلك.

رابعاً: التكرار الهادف في القَصَص القرآنيّ:

يشتمل القرآن الكريم على كثير من القصص التي تتكرر في غير موضع، فالقصة الواحدة يتعدد ذكرها في القرآن، وتعرض في صور مختلفة في التقديم والتأخير، والإيجاز والإطناب، وما شابه ذلك. وحكمة هذا ما نلحظه في:

١. بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها. والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر، وتصاغ في قالب غير القالب، لكن هذا التكرار لا يعني بالضرورة التطابق في المضمون والتفعيلات (الأحداث)، فقد يكون تقديم وتأخير أو إيجاز وإطناب، فكل قصة لها إطارها الخاص بها حسب موقعها في السورة يختلف تماماً عن الموقع الآخر التي ذكرت فيه حسب ما يقتضيه الحال بنمط وأسلوب يجذب القارئ ويُشعره بجديد يطرد السآمة والملل وهذا ما امتاز به الأسلوب القرآني عن الأساليب الأخرى(١).

٢. قوة الإعجاز: فإيراد المعنى الواحد في صور متعددة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة أبلغ منها في التحدي.

٣. الاهتمام بشأن القصة لتمكين عِبَرها في النفس، فإن التكرار من طرق التأكيد وإمارات الاهتمام. كما هو الحال في قصة موسى عليه السلام مع فرعون، لأنها

(١) ظ: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٣/٢٣٠، د. عدنان زرزور، علوم القرآن، ص٣٨٢، د. عبد الله سلوم، إعادة المعنى في النص القرآني، ص٢٢٨، محمد باقر الحكيم، القصص القرآني، ص٦٣.

تمثل الصراع بين الحق والباطل أتم التمثيل مع أن القصة لا تكرر في السورة الواحدة مهما كثر تكرارها.

٤. أنّ التكرار يكون سبباً في فاعلية القصّة كمنبّه للأمّة على علاقة القضية الخارجية التي تواجهها في عصر النزول أو بعده بالمفهوم الإسلامي؛ لتستمدّ منه روحه ومنهجه، فيكون تكرار القصّة بياناً للمنبّه عند الحاجة إليه، فتختلف الغاية التي تساق من أجلها القصة. فتذكر بعض معانيهما الوافية بالغرض في مقام، وتبرز معان أخرى في سائر المقامات حسب اختلاف المقتضيات.

ولعلّ هذا السبب والسبب الذي قبله هو ما يمكن أن نلاحظه في تكرار قصّة موسى عليه السلام، والفرق بين روحها العامة في القصص المكّي وروحها في القصص المدنيّ، فإنّها تؤكّد في القصص المكّي منها على العلاقة العامة بين موسى عليه السلام من جانب وفرعون وملأه من جانب آخر، دون أن تذكر أوضاع بني إسرائيل تجاه موسى نفسه، إلّا في موردين يذكر فيهما انحراف بني إسرائيل عن العقيدة الإلهيّة بشكل عام، وهذا بخلاف الروح العامة لقصّة موسى عليه السلام في السور المدنية؛ فإنّها تتحدّث عن علاقة موسى مع بني إسرائيل، وتتحدّث عن هذه العلاقة وارتباطها بالمشاكل الاجتماعية والسياسية.

٥. تُعرض القصّة الواحدة بأساليب متفاوتة في الطول والقصر: قد عُرف من أسلوب القرآن أنه يُطْنِبُ في مكان ويوجز في مكان، ويتوخى مقاصد القصص الكلية مع أنه ربّما لا يذكر بعض جزئياتها في مكان دون مكان. وذلك أنّ الدعوة الإسلامية مرّت بمراحل متعدّدة في سيرها الطولي، وقد كان القرآن الكريم يواكب هذه المراحل ويماشيها في عطائه وطبيعة أسلوبه.

فإننا نرى أنه ذكر قصة نوح عليه السلام في سورة هود عليه السلام في نحو عشرين آية، ثم ذكرها في سورة العنكبوت في آيتين، وقصة موسى عليه السلام أطال فيها في سورتي

الأعراف والشعراء جداً ثم ذكرها في سورة الذاريات مع جماعة من القصص في الآية والآيتين والثلاث.

خامساً: خصائص القصة القرآنية:

تمتاز القصة القرآنية بمنهج وخصائص تختلف عن القصص الفني الطليق من جوانب متعددة، والتي منها(١):

١. **الواقعية التاريخية:** ونعني بها أن كل ما في قَصص القرآن الكريم من أخبار الأولين هي حقائق تاريخية صادقة لا يصادمها عقل، ولا يخالفها نقل، وسواءٌ في تلك المصداقية ما كان من أخبار الأنبياء مع أقوامهم، وما كان من قبيل المعجزات وخوارق العادات، كانفلاق البحر وكلام الهدهد والنملة، وليس فيها أي نوع من التناقض أو الاختراع، ولا أي شكل من أشكال الخيال أو التصوير المجرد عن الحقيقة، ولا أي صورة من صور الرمز أو الإشارة(٢).

---

(١) ظ: د. فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم، ص٣٦-٤٠، سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص١٤٨-١٥٥، د. محمد خازر المجالي، الوجيز في علوم الكتاب العزيز، ص٢٣٠، د. نور الدين عتر، علوم القرآن، ص٢٤٠.

(٢) قد تعرض القصص القرآني لهجمات وطعون منذ نزول القرآن الكريم، فقيل عن قصصه أنها أساطير وأكاذيب، وأنها مختلقة ومنتحلة، وهي افتراءات لازمت القصص القرآني مع الاستشراق الذي أعاد تكرار كثير منها، محاولاً منحها قدراً من المنهجية والعلمية. وقد تولى كِبر هذه الدعوى في عصرنا الحديث أمين الخولي، وتلميذه محمد أحمد خلف الله، والذي تقدم برسالة دكتوراه في عام ١٩٤٧م بعنوان (الفن القصصي في القرآن الكريم)، يصف القرآن فيها بأنه "أساطير"، كما وصفه به المشركون! يقول خلف الله: (فطن العقل الإسلامي إلى أن هذه الأشياء لا تفهم على أنها الحق التاريخي والواقع العلمي إلا بضروب من التأويل، ولو أن العقل الإسلامي أقام فهمه للقصص القرآني منذ اللحظة الأولى على المذهب الأدبي لما احتاج إلى هذه التأويلات). الفن القصصي في القرآن الكريم، ص٤٤. وقد غفل خلف الله أن كثيراً من المؤرخين يعتمدون على كتب الأدب القديمة لمعرفة مجريات التاريخ والأحداث، ككتابات "كونفوشيوس"، وإلياذة "هوميروس"، أو المعلقات الشعرية الجاهلية، أو غيرها، كمرجعية تاريخية صادقة لديهم، ثم يأتي

٢. القصة القرآنية قصة هادفة مرتبطة بواقع الحياة: فالغاية الأولى من قصص القرآن الكريم هي تأملها وأخذ العبرة منها وتصحيح العقائد والأخلاق، حتى ينصلح الفرد والمجتمع، فاذا (انفصلت القصّة عن هذا الواقع فلا يمكن للإنسان أن يستفيد منها للحاضر والمستقبل؛ لأنّها تصبح مجرد صور وفرضيات قد تنسجم مع واقعه الفعلي، وربّما لا تنسجم، ولذا ربّما لا يشعر بها، ولا يصدّق بها نفسياً وروحياً)[١].

وبهذا ليست غايتها قاصرةً على إمتاع النفوس بسماع قصص مسليّة أو بطولات خيالية، أو إظهارَ براعة أدبية مجردة عن هدف الإصلاح – كما هو الحال في عامة الفنِّ القصصي – وليست الغاية أيضاً سرداً تاريخياً جافاً، كما هي مهمة المؤرخين، فالقرآن الكريم بكل ما فيه من قصص وغيرها هو كتاب هداية وعبرة بالدرجة الأولى، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[٢].

وهذا هو الذي يفسّر لنا ما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، إذ قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (إن القرآن حي لم يمت، وإنه يجري كما يجري الليل والنهار، وكما يجري الشمس والقمر، ويجري على آخرنا كما يجري على أولنا)[٣]، وقوله عليه السلام أيضاً: (ان القرآن حي لا يموت، والآية حية لا تموت، فلو كانت الآية إذا نزلت

ليقول: إن القرآن مجرد كتاب أدبي ليس إلا! مع أنه لا مجال للمقارنة بين كلام الله وكلام البشر. للتوسعة في الرد على هذه الافتراءات ظ: محمود شلتوت، تفسير القرآن الكريم، ص٢٧٣، مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص٣١٩، د. علي بن سليمان العبيد، الوجيز في علوم القرآن العزيز، ص٣٣٠، د. فضل حسن عباس، محاضرات في علوم القرآن، ص٣١٤.

(١) محمد باقر الحكيم، القصص القرآني، ص٢٤.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١١١.

(٣) المجلسي، بحار الانوار، ٤٠٤/٣٥.

في الأقوام ماتوا ماتت الآية، لمات القرآن)[١]، فإنّ انطباق هذا الكلام على القصص والأحداث ذات العلاقة بالأنبياء عليهم السلام وأقوالهم أو بالتاريخ الماضي إنّما هو بلحاظ هذا البُعد والصفة في القصّة القرآنية.

٣. **الإعجاز القصصي:** إن القصة تمثل جزءاً كبيراً من القرآن الكريم، وبالتالي فهي كسائر القرآن في كل خصائصه وسِمَاته العامة، ومن ذلك كونه معجزً؛ فوجوه الإعجاز التي تجدها في سائر القرآن الكريم تجدها في القصص، لكن القصص يزيد على ذلك بوجوه أخرى من الإعجاز تميزه عن غيره.. فمن تلك الوجوه: التكرار الهادف – كما تقدم –.

٤. **إن القصص القرآني يتسم بالعفة** والبعد عن إثارة الشهوة أو الغريزة فلا يثير القارئ بل يجعله يقف في خشوع وسكينة فهو ينأى بألفاظه عن الألفاظ العارية الفاضحة[٢].

٥. **الشمولية المطلقة:** فقصص القرآن الكريم شاملة من عدة جهات:

١. في حصر النفوس المخاطبة وطِباعها ووجهاتها ومكامن شعورها..
٢. في تنويع الأساليب والوسائل الملائمة لكل جنس وطبقة ولون..
٣. ومن حيث الزمن؛ فالقصة تتحدث عن الماضي والحاضر والمستقبل...
٤. ومن حيث شمولية موضوعاتها؛ فكما أنك تجد في موضوعات القرآن الكريم شمولاً.. فكذلك تجد في قصص القرآن الكريم شمولاً لكل تلك الموضوعات، من عقائد وعبادات وأخلاق وآداب اجتماعية واقتصادية وسلطانية وغير ذلك..

---

(١) المجلسي، بحار الانوار، ٤٠٣/٣٥.

(٢) أما القصص البشري فان من ألفوه يعمدون إلى ألفاظ تثير الغريزة الجنسية أو الغضبية وغيرها مما تحرك القارئ فتجعله مضطرب النفس ربما بعد القراءة يحاول تقليد أو تطبيق ما قرأه.

٦. **الاقتصار في حوادث القصة على الغرض الديني:** القصة القرآنية لم تسرد حوادث القصة ووقائعها سرداً تاريخياً ولم تتطرق إلى الجزئيات فيها خوفاً من الإطالة والابتعاد عن مغزى وهدف القصة الديني، ويؤكد هذا المعنى السيد محمد حسين الطباطبائي في قوله: (والقرآن الكريم كتاب دعوة وهداية لا يتخطى عن صراطه ولو خطوة، وليس كتاب تاريخ ولا قصّة، وليست مهمته مهمة الدراسة التاريخية، ولا مسلكه مسلك الفن القصصي، وليس فيه هوى ذكر الأنساب، ولا مقدرات الزمان والمكان، ولا مشخصات أخر لا غنى للدرس التاريخي والقصّة التخيلية عن إحصائها وتمثيلها)[١].

ومثال هذا الاقتصار ما نلحظه فيما قصه علينا القرآن الكريم في سورة الكهف عن الفتية الذين آمنوا بالله رباً وفروا من الكفر، فلم يذكر القرآن أسماء هؤلاء الفتية ولا البلد التي كانوا فيها ولا عددهم ولا نوع العملة التي كانوا يتعاملون بها، إلى غير ذلك من الجزئيات التي لا يضر الجهل بها ولا يفيد العلم بها. وإنما يكتفي ببيان العبرة والغرض الديني وهو تحقيق الهداية في حياة الناس.

٧. **العبر والعظات والنصائح بين ثنايا القصة:** يفصل القرآن الكريم بين أجزاء القصة بفواصل من العبر والعظات تنبه القاريء إلى الهدف المنشود من وراء هذه المباحث ومن ثم تربط على قلب الإنسان برباط الخشية والمراقبة الإلهية، فتنمو ملكة الضمير وبالتالي تصلح أعمال الإنسان في هذه الحياة.

ومن أجل ذلك لم نجد في القرآن فصولاً خاصة بالتشريع وأخرى خاصة بالحديث عن علم الغيب كالجنة والنار أو ما يتعلق بعلم الساعة وعالم الملائكة أو العوالم الأخرى.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، ١٦٧/٧.

سادساً: تنوع الاستهلال في القصة:

لقد اختلفت الاستهلالات بين قصة وأخرى في القرآن الكريم وذلك لشد انتباه القارئ فقد تبدأ القصة بالأمر كقوله تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ**﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ**﴾(٢)، وأحياناً بالسؤال كقوله تعالى: ﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ**﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى**﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ**﴾(٥)، وقوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ**﴾(٦)، وتارة أخرى تبدأ بالتقرير والإتيان بصيغة الماضي كقوله تعالى: ﴿**قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى**﴾(٧).

سابعاً: أهداف القصة القرآنية:

إن الهدف الأول من القصص القرآني لا يتجاوز المحور الأعظم لأهداف القرآن الكريم، ألا وهو كونه هداية للناس أجمعين فالقصة القرآنية تمثل جزءاً كبيراً من القرآن الكريم، وهي تتحد مع ما سواها مصدراً وموضوعاً وغايةً، ولكن إذا ما أردنا شيئاً من التفصيل فإننا نستطيع أن نجمل أهداف القصص القرآني في النقاط

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٦٩ – ٧٠.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٧.
(٣) سورة الذاريات، الآية: ٢٤.
(٤) سورة النازعات، الآية: ١٥.
(٥) سورة الغاشية، الآية: ١.
(٦) سورة الفجر، الآية: ٦.
(٧) سورة طه، الآية: ٣٦.

التالية: وذلك من خلال ما أشارت إليه آيات القرآن الكريم متفرقة في معرض حديثها عن قَصص متعددة(١):

١- **بيان أسس الدعوة إلى الله** ﷻ، وتوضيح أصول الشرائع السماوية التي بُعث بها كل رسول، وبيان أن دعوة الأنبياء عليهم السلام واحدة في أصول العقائد مثل الإقرار بوحدانية الله وعدم الإشراك به، وأن الأنبياء والرسل جميعاً عليهم السلام جاءوا بكلمة واحدة، وهي كلمة "**لا إله إلا الله**" وقضية واحدة هي: ﴿**يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ وهي قضية العبودية لله وحده دون شريك له في الملك والألوهية والحاكمية والتشريع، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾(٢).

٢- **تثبيت قلب رسول الله** ﷺ **وقلوب الأمة الإسلامية** على دين الله والعمل على زيادة ثقة المؤمنين بنصرة الحق وأهله وخذلان الباطل وأعوانه وتأتي القصة القرآنية للتسلية والتفائل والمواساة لقلب رسول الله ﷺ وقلوب المؤمنين عندما يلقون العنت والتشريد والعذاب بسبب إيمانهم فيعرض عليهم قصص الأمم السابقة ليعلموا أن المؤمنين من قبلهم لقوا من العذاب ألواناً، فصبروا على عقيدتهم حتى أتاهم النصر في الدنيا والجزاء الأوفى في الآخرة، قال تعالى: ﴿**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ**﴾(٣).

---

(١) للتوسعة ظ: محمد باقر الحكيم (ت:٢٠٠٣م)، علوم القرآن، ص٣٥٤، د. فضل حسن عبّاس (ت:١٤٠٧هـ)، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ص١٠-١١، د. صلاح الخالدي (ت:١٤١٩هـ)، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، ص٢٨، جعفر السبحاني، القصص القرآني دراسة ومعطيات، وأهداف، ٩/١، د. مصطفى ديب البغا وآخر، الواضح في علوم القرآن، ص١٨٣.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٣) سورة غافر، الآية: ٢١.

٣- **بيان العبرة والعظة:** لقد ذكر الله سبحانه قصص الأمم الماضية وأخبارهم وما حاق بهم من العذاب والهلاك نتيجة لتكبرهم على الحق وتكذيبهم للرسل وعنادهم وتجبرهم في الأرض بغير الحق وأوضح الحق تبارك وتعالى قدرته في استئصال المعاندين المكذبين ليكونوا عبرة لمن سيأتي من بعدهم، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً﴾(١).

٤- **تصديق الأنبياء السابقين وإحياء لدعوتهم** وبيان لنعمة الله عليهم مثل قصة سليمان وداود وأيوب وإبراهيم وموسى وعيسى وزكريا ويونس عليهم السلام حيث كانت ترد حلقات من قصص هؤلاء الأنبياء تظهر نعمة الله عليهم في كثير من المواقف.

٥- **إثبات الوحي والرسالة،** وبيان أن الدين كله من عند الله من آدم عليه السلام إلى عهد النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة ففي سورة الأنبياء مظهر واضح لوحدة الرسالة فقد تحدثت السورة عن قصص الأنبياء فذكرت طرفاً من قصة موسى وهارون وإبراهيم ولوط وداود وسليمان وأيوب وإسماعيل ثم عقّبت على ذكرهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾(٢).

٦- **إظهار صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته** وأنه نبي يوحى إليه فقد أشار الحق تبارك وتعالى عقب كل قصة من عرضها بما يثير الانتباه إلى هذه المعلومات أنها لا يمكن أن تكون من محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنه لبث فيهم أربعين عاماً، ولم يذكر لهم عنها شيئاً كقصص الأنبياء أو الأمم السابقة وأنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يذهب إلى أحبار اليهود ورهبان النصارى ليأخذ عنهم أخبار الأنبياء والأمم السابقة وإنما هي وحيٌ من عند

(١) سورة الكهف، الآية: ٥٩.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩١.

الله، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾(١).

٧- **القصص القرآني يكشف عن الزيف والتحريف الذي قام به أهل الكتاب،** ويوضح ما كتموه من البينات والهدى ويتحداهم بكشفه عما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل من الحقائق، قال تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرائيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرائيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(٢).

٨- **أسلوب تربوي توعوي:** تساهم القصة مع (جملة الأساليب العديدة الاخرى التي استخدمها القرآن الكريم؛ لتحقيق أهدافه وأغراضه الدينية التي جاء من أجلها، وكانت القصّة القرآنية من أهمّ هذه الأساليب)(٣). إذ ان في القصص القرآني أهداف أخرى كثيرة لمن تأملها من أولي الألباب، مثل التوكل على الله، لاسيما بالنسبة للدعاة والمصلحين، وانتهاج الأسوة الحسنة في الأنبياء عليهم السلام، والتجمل بمكارم الأخلاق، وتعلم آداب الحوار، والجدال بالحسنى، وأساليب الدعوة إلى الله تعالى، والتربية الناجحة، وكيف يدخل الداعية إلى قلوب المدعوين، ومعرفة طبائع الناس عامةً عند كفرهم وإيمانهم، وطبائع أقوام بعينهم مثل بني إسرائيل، وكيفية التعامل معها، وتشخيص أمراض المنحرفين والمعاندين، وكيفية معالجتها، وغير ذلك ...

هذا ما يتعلق بأهداف القصص القرآني عموماً، أما إنْ أردنا تفصيلاً أكثر فإننا سنجد أنفسنا أمام بحر لا ساحل له ولا قرار، حيث إنَّ المتدبر لقصص القرآن الكريم واجدٌ في كل قصة، بل في كل آية، وفي كل كلمة والتفاتة قرآنية، ومن

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٣.

(٣) محمد باقر الحكيم، القصص القرآني، ص٢١.

الأهداف والعبر والإشارات واللطائف.. ما تعجز عنه الألسن ولا تبلغ مداه الأفهام، وصدق الله العظيم إذ يقول مبيناً تلك الأهداف العظيمة من القصص: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(١). وتأمَّلْ كيف جاء لفظ [عبرةٌ] منكراً ليفيد الشمول والعموم؛ ففي قصصهم عبرة عن كل شيء، وفي كل شيء من قصصهم عبرة.. ولكنْ مَن يستخرجُ تلك الدرر والجواهر؟!! إلا من آتاه الله عقلاً نيراً وقلباً مبصراً.. ولذلك جعل العبرة في الآية السابقة قاصرة على أولي الألباب.. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(٢).

وبهذا نلحظ ان القصة القرآنية لا ينطبق فيها مفهوم القصة العادية لأنها ليست خاطرة في ذهن الله ﷻ ولا هي تسجيل تأثرت بها مخيلته، ولا هي بسط لعاطفة إختلجت في صدره فأراد أن يعبر عنها بكلام ليحدث أثراً في نفوس القارئين مثل أثرها في نفسه(٣).

لذا نقول ونؤكد: إن القصة القرآنية ليست عملاً فنياً مقصوداً لذاته، وإنما هي وسيلة للإرشاد والإيمان والعظة وشرح الأوامر والنواهي الشرعية ونشر فكرة الحق والخير والتعاون بين الناس، وكانت القصة إحدى وسائل القرآن إلى غايته.

مخطئون أولئك الذين يدرسون القصة القرآنية كما يدرسون القصة البشرية ومخطئون أولئك الذين يريدون تعلم التاريخ من القرآن ويفتشون عن المصادر التي استقي منها أخباره وقصصه، لأن القرآن ليس كتاب تاريخ ولا كتاب قصص وما

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١١١.

(٢) سورة ق، الآية: ٣٧.

(٣) ظ: د. بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، ص٢١٦.

ذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام وبعض حوادثهم إلا للعبرة والموعظة وتغذية النفوس بالصلاح والإستقامة وتحسين الأخلاق والآداب بسياج الفضيلة.

ثامناً: إنموذج قصصي: قصة ذو القرنين:

من قصص القرآن العظيمة التي قصها الله علينا في كتابه قصة ذي القرنين، قال الله تعالى في سورة الكهف:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨)﴾[1].

(١) سورة الكهف، الآيات: ٨٣-٩٨.

جاء جواب اليهود من الله ﷻ على سؤالهم: **(وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ)** عن طريق رسول الله ﷺ بقوله: **(قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا)**.

وقصة ذي القرنين هي القصة الخامسة من القصص الواردة في سورة الكهف، وفي هذه القصص الخمسة تناسب فيما بينها ودلالات عظيمة الفائدة أشار إليها كثير من المفسرين والباحثين، ولازال الكلام فيها غضاً طرياً رحباً نافعاً، وخشية الاطالة نرجئ الكلام عنه في مقام آخر – ان شاء الله تعالى –[١].

هل كان نبياً أم ملك من الملآئكة؟

لم يرد في القرآن الكريم ما يدل على نبوّة ذي القرنين كما لم يرد نفيها، يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: (ولا يمكن الإستفادة بشيء مِن صريح القرآن للدلالة على أنَّهُ كان نبيّاً، بالرغم مِن وجود تعابير تُشعِر بهذا المعنى)[٢].

ويؤكد هذا المعنى الأحاديث والروايات الكثيرة عن النبي ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام بأنه: (لم يكن نبيّاً بل عبداً صالحاً)[٣]. ويؤكد ذلك ما قاله الشيخ الصدوق (ت:٣٨١هـ): (والصحيح الذي أعتقده في ذي القرنين أنه لم يكن نبياً، وإنما كان عبداً صالحاً أحب الله فأحبه الله، ونصح لله فنصحه الله)[٤].

---

(١) وللوقوف على بعض هذا التناسب بين القصص القرآنية في سورة الكهف على سبيل المثال ظ: د. يوسف سليمان الطحان، الوصف في قصص سورة الكهف–دراسة تحليلية، ص٣٣، نبراس خضير عباس، التناسب والترتيب في سورة الكهف وأثره في الإعجاز، ص٦٩.

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٣٦٦/٩.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ١٧٨/١٢.

(٤) الخصال، ٢٤٨/١.

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: (ملك الأرض كلها أربعة: مؤمنان، وكافران، فأما المؤمنان فسليمان ابن داود وذو القرنين، والكافران نمرود وبخت نصر)[١].

وجاء في تفسير الطبري (ت:٣١٠هـ): (ملك الأرض مشرقها ومغربها أربعة نفر: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان: سليمان بن داود وذو القرنين، والكافران: بختنصر ونمرود بن كنعان، لم يملكها غيرهم)[٢].

رجل مكن الله تعالى له في الأرض بالملك وآتاه من كل شيء سبباً، فماذا فعل؟ لقد أضاف إليها أسباباً من عنده، وهذا رد عنيف على قضية التواكل والتكاسل عن العمل كما يفعل الناس.

ذو القرنين حينما آتاه الله عز وجل الملك لم يكتف بالجلوس على أريكته، بل أتبع سبباً بالذهاب الى المشرق والمغرب لبسط حكم الله عز وجل فيهما.

ووصف شخصية ذي القرنين إذ عرفت بالطواف وبلوغ مشارق الأرض ومغاربها ومقاومة المفسدين وإنصاف المظلومين بإقامة صرح العدالة، وسبب تسمية ذي القرنين آراء متعددة منها[٣]:

١. لأن صفحتي رأسة كانت من نَحاس.
٢. لأنه ملك الروم وفارس.
٣. لأنه بلغ المشارق والمغارب.
٤. لأن رأسه شبه القرنين.

---

(١) الخصال، ٢٤٨/١.

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن، ٤٣٣/٣.

(٣) ظ: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٠٥/٣، نعمة الله الجزائري، قصص الأنبياء، ص١٧٩، د. أحمد جمال العمري، دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، ص٢٢٢.

٥. لأنه بلغ قرن الشمس مشرقها ومغربها.
٦. سمي بذي القرنين لأنه انقرض في وقته قرنان من الناس.
٧. سمي بذلك لأنه دخل النور والظلمة.

أما ما جاء عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في كثير من المصادر لمّا سُئل عن ذي القرنين أنبياً كان أم ملكاً؟ قال: (لم يكن نبياً ولا ملكاً، ولم يكن قرناه من ذهب ولا فضة، ولكن كان عبداً أحب الله فأحبه الله ونصح الله فنصحه الله، وإنَّما سُمِّي ذا القرنين لأنه دعا قومه إلى الله عز وجل فضربوه على قرنه فغاب عنهم حيناً ثم عاد إليهم فضرب على قرنه الآخر، وفيكم مثله)[١].

ويوضح لنا السيد الطباطبائي مقصد الإمام عليه السلام في حديثه فيقول: (أما قوله: (وفيكم مثله): أي مثل ذي القرنين في شجّتيه يشير عليه السلام إلى نفسه، فإنه أصيب بضربة من عمرو بن عبد ود، وبضربة من عبد الرحمان بن ملجم فاستشهد بها، والرواية مستفيضة عنه عليه السلام روته عنه الشيعة وأهل السنة بألفاظ مختلفة، وأبسط ألفاظها ما أوردناه، وقد لعبت به يد النقل بالمعنى فأظهرته في صور عجيبة وبلغ بها التحريف غايته)[٢].

وصف أحداث قصة (ذو القرنين):

اما وصف الحدث الأفعال التي قام بها (ذو القرنين) ما نلحظه في:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٖ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا﴾[٣]

(١) الصدوق، علل الشرائع، ٤٠/١.
(٢) الميزان في تفسير القرآن، ٣٧٤/١٣.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٨٦.

حدث بلوغ ذي القرنين مغرب الشمس الذي هو جزء من هذا الكون الفسيح الممتد إذ ان الشمس تضرب في عين نارية حامية متقدة وهي حمأة الطين الأسود، وهذه الامور تحدث في رأي العين(١).

حدث بلوغ ذي القرنين مطلع الشمس، وهناك وجد قوماً يعيشون تحت الشمس بدون حماية.

حدث بلوغ ما بين السدين أي الجبلين فوجد قوماً لا يفهمون الكلام ولكن جاء نفر منهم ليخبروه بإفساد يأجوج ومأجوج فطلبوا بناء السد.

ووصف الحدث نرى مراحل بناء السد من ذي القرنين:

﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾(٢)

يدل النص القصصي على أوصاف السد على وفق الآتي:

١. وضع زبد الحديد.
٢. إفراز القطر عن الحديد.
٣. الانتهاء من الحاجز الصناعي.

فقد بنى ذو القرنين الحاجز الصناعي ليلتحم بالحاجز الطبيعي فالتحم الحاجزان الطبيعي وهو (الجبل) والصناعي وهو (الردم) ليكون بذلك الحاجز الحصين وهو

(١) ظ: عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص٩.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٩٦.

السد العالي المنيع القوي لتأمين عدم تمكن يأجوج ومأجوج من اجتيازه او نقبه ليقوموا بالإفساد: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾[١].

وقد وقف المؤرخون والمفسرون جميعاً أمام قصة ذي القرنين، وكثير منهم حاولوا بيان ما فيها من مبهمات، وتحديد تفصيلاتها التاريخية والواقعية. وأوردوا في ذلك أقوالاً كثيرة، غالبها مأخوذ من الإسرائيليات، وأخبار أهل الكتاب، وفيها ما فيها من أقاويل وأباطيل.

نعم لو (سلمت التوراة من التحريف والزيادة لكانت مرجعاً يعتمد عليه في شيء من تلك الأحداث، ولكن التوراة أحيطت بالأساطير التي لا شك في كونها أساطير، وشحنت كذلك بالروايات التي لا شك في أنها مزيدة على الأصل الموحى به من الله، فلم تعد التوراة مصدراً مستيقناً لما ورد فيها من القصص التاريخي)[٢].

نعم إن النص القرآني لا يذكر شيئاً عن شخصية ذي القرنين، ولا عن زمانه، أو مكانه، وهذه هي السمة المطردة في قصص القرآن، الذي لا يفيض في الحديث عن التفاصيل، فيقتصر على رسم ملامح الصورة عن الأشخاص الذين يتحدث عنهم، لأنه لا يعتبر القصة ملهاةً لإثارة الفضول وإشباعه، لتكون الأمور الجزئية التفصيلية أساساً في حركة القصة، بل يراها درساً فكرياً أو عملياً، من خلال ما توحي به الملامح البارزة التي تمثل حركة القضية المطروحة في السير العملي للشخصيات. وقد نحتاج إلى استلهام هذا النهج في كتابة التاريخ، لأن ما نستفيده للمستقبل من عبرةٍ لا يحتاج إلى سرد الكثير من تفاصيله، وبذلك نبتعد عن

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٩٧.

(٢) سيد قطب، تفسير في ظلال القرآن، ٢٢٩٠/٤، ظ: محمد طاهر الصفار، من هو ذو القرنين...؟، https://imamhussain.org/arabic/٣٠١٥٩

الاستغراق في الملامح الذاتية للشخص العظيم، نبياً كان أو إماماً أو ولياً أو زعيماً صالحاً، إلا في ما يتصل بالمعنى الرسالي أو القيادي من ذلك(١).

إذن إنما المقصود من القصة هو العبرة المستفادة من القصة، والعبرة تتحق بدون حاجة إلى تحديد الزمان والمكان في أغلب الأحيان.

العبرة من قصة ذي القرنين:

العبر من القصة كثيرة يمكن تلخيصها في دروس مستفادة منها:

أولاً: أنّه على الداعي للإسلام أن يكون عالماً بالشيء قبل أن يدعو إليه، فقد سأل المشركون الرسول ﷺ عن خبر ذي القرنين، فقد قال تعالى: ﴿**وَيَسأَلونَكَ عَن ذِي القَرنَينِ**﴾.

وكان سؤالهم تحدّياً له، فهذا سؤالٌ لا يجيبه سوا نبي، فأنزل الله ﷻ آيات من القرآن الكريم تجيبهم على ما سألوا، قال سبحانه: ﴿**قُل سَأَتلو عَلَيكُم مِنهُ ذِكرًا**﴾.

ثانياً: أنَّ عمل هذه الدنيا لا يتمّ دون توفير أسبابه، لذا فإنَّ الله تبارك وتعالى وهَب الوسائل والأسباب لتقدم وانتصار «ذِي الْقَرْنَيْنِ» في علمه: ﴿**وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا**﴾. وفي نفس الوقت استفاد «ذو القرنين» مِن هذه الأسباب والوسائل بأفضل وجه ممكن: ﴿**فَأَتْبَعَ سَبَبًا**﴾.

ثالثاً: قوة البناء: كلما كان البناء قويّاً، كان عمرُه أطولَ وأدوم، ولا يستطيع أحد أن ينقضه؛ فذو القَرنين بنى ما بين الجبَلين من حديد، ثم أذاب عليه النحاس؛ ليَزيدَه قوة وصلابة، فلما أراد القوم المفسدون أن يهدموه فشِلوا؛ قال تعالى: ﴿**فَمَا**

(١) ظ: محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، ٣٨٢/١٤.

اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾، فعجَزوا عن أن يعتلوه؛ لارتفاعِه، أو يثقُبوه؛ لصلابتِه.

رابعاً: الأنموذج الطيب للحاكم الصالح، يمكّنه الله الأرض، وييسر له الأسباب، فيجتاح الأرض شرقاً وغرباً، ولكنه لا يتجبر ولا يتكبر، ولا يطغي ولا يتبطر، ولا يتخذ من الفتوح وسيلة للغنُم المادي، واستغلال الأفراد، والجماعات والأوطان، ولا يعامل البلاد المفتوحة معاملة الرقيق ولا يسخر أهلها في أغراضه وأطعامه، إنما ينشر العدل في كل مكان يحل به، ويساعد المستضعفين في الأرض.

خامساً: بالرغم مِن أنَّ غروب الشمس في عين من ماء آسن سببهُ خطأ في الباصرة واشتباه مِنها، إلاَّ أنَّ المعنى الذي نلمحهُ مِن هذا المثال هو إمكان تغطية الشمس مع عظمتها بالعين الآسنة ومثلها في ذلك مثل ذلك الإنسان العظيم الذي يسقط وينهار بسبب خطأ واحد فتغرب شخصيته من انظار الناس.

سادساً: لا تستطيع أي حكومة أن تنتصر بدون ترغيب الأنصار والأتباع، ومعاقبة المذنبين المخطئين، وهذا هو نفس الأساس الذي اعتمد عليه ذو القرنين حيثُ قال: ﴿**أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ... وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى**﴾.

سابعاً: التكليف الشاق والتصعُّب في الأُمور وتحميل الناس ما لا يطيقون، كل هذه الأُمور لا تناسب الحكومة الإلهية العادلة أبداً، ولهذا السبب فإنَّ ذا القرنين بعد أن صرّح بمعاقبة الظالمين وتشويق الصالحين، أضاف: ﴿**وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا**﴾ حتى يمكن إنجاز الأعمال عن شوق ورغبة.

ثامناً: الاعتراف بفضل الله: فمهما يبلُغ الإنسان مِن مُلك أو سلطان، فلا يجوز أن يَشغَله ذلك عن شُكر نعمة الله، والإقرار بمنِّه وكرَمِه عليه، كما فعل ذو القرنين؛ قال تعالى: ﴿**قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا**﴾.

تاسعاً: العفَّة والقناعة: لما عُرِضَ عليه أن يأخذ خَراجاً في مقابل أن يبنيَ لهم السد، عَفَّ عن مالهم؛ طمعاً فيما أعطاه الله له؛ قال ربنا: ﴿**فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا**﴾.

أخيراً.. ان وجه الانتفاع من القصص القرآني لا ينقطع أبداً فهي تحاكي واقع الإنسان وان اختلفت فيها الأماكن وتنوعت مسميات الأشخاص، لأن حياة الإنسان بشكل عام سلسلة من الأحداث والتطورات وهو بطلها وشخصها وهو المحور الذي تدور حوله جميع معان الحياة ورموزها المتشابكة قد يكون هو الذي شكل بعضها او شكلت نتيجة عوامل أخرى فوق طاقته أو أقوى منه ولكنها في النهاية له أو عليه بخيرها وشرها، وهي في المحصلة النهائية سيرة الإنسان أو قصته أو قصة أحداثه أو زمانه أو مكانه بدأها السابق لتنتقل إلى اللاحق وهكذا.

مؤلفات في قصص القرآن:

١. قصص الأنبياء عليهم السلام، لابن كثير (ت:٧٧٤هـ).
٢. قصص الأنبياء عليهم السلام، للسيد نعمة الله الجزائري (ت:١١١٢هـ).
٣. القصص القرآني، للسيد الشهيد محمد باقر الحكيم (ت:٢٠٠٣م).
٤. قصص القرآن الكريم، للدكتور فضل حسن عباس (ت:٢٠١١م).

الفصل الثاني

أسلوب الأمثال في القرآن الكريم

رأس الحكمة مخافة الله

الفصل الثاني:

أسلوب الأمثال في القرآن الكريم

من بديع أساليب القرآن، ووجوه إعجازه أيضاً أمثاله التي (ضربها الله لنفوس العباد؛ حتى يدركوا ما غاب عن أسماعهم وأبصارهم الظاهرة)[١]. والأمثال القرآنية هي من علوم القرآن المهمَّة[٢]، قال أبو الحسن الماوردي (ت:٤٥٠هـ): (من أعظم علم القرآن علم أمثاله، والنّاس في غفلة عنه لاشتغالهم بالأَمثال، وإغفالهم الممثَّلات، والمثل بلا ممثَّل كالفرس بلا لجام والناقة بلا زمام)[٣]. إذ ان معرفة علم الأمثال في القرآن الكريم من العلوم الواجب تعلمها، قال الفقيه الشافعي (ت:٢٠٤هـ) في علم الأمثال: (مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن)[٤].

ومن قبل كل مَن تقدم كان تأكيد أهل البيت عليهم السلام على معرفة الأمثال في القرآن الكريم وتدبرها، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (نزل القرآن أرباعاً: ربع فينا، وربع في عدوّنا، وربع سنن وأمثال، وربع فرائض وأحكام)[٥].

وقال الإمام محمد الباقر عليه السلام لأخيه زيد بن علي: (هل تعرف يا أخي من نفسك شيئاً مما نسبتها إليه فتجيئ عليه بشاهد من كتاب الله، أو حجّة من رسول

---

(١) الترمذي محمد بن علي (ت:٣٢٠هـ)، الأمثال من الكتاب والسنة، ص٢.

(٢) أبو الحسن الماوردي عدها من أهم علوم القرآن، وهو أول من صنَّف في الأمثال القرآنية كتاباً مستقلاً، وقد سمَّاه (أمثال القرآن).

(٣) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ٣٤٣/٢.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المجلسي، بحار الأنوار، ٣٠٥/٢٤.

الله، أو تضرب به مثلاً، فانّ الله ﷻ أحلَّ حلالاً وحرّم حراماً، فرض فرائض، وضرب أمثالاً، وسنَّ سنناً)[١].

وحقيقة أن الأمثال بشكل عام تزّة بألوان تعبيرية مختلفة (وتجتمع فيها أربعة أمور لا تجتمع في غيرها من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية)[٢].

نعم تعدّ الأمثال المنهل الذي يساعد على دراسة أي أمة من الأمم والتعرّف على محتواها الفكري والثقافي واللغوي، إذ يصفها الزمخشري بأنها: (قصارى فصاحة العرب العرباء، وجوامع كلمها، ونوادر حكمها... وبلاغتها التي أعربت بها عن القرائح السليمة... حيث أوجزت اللفظ فأشبعت المعنى، وقصرت العبارة فأطالت المغزى، ولوَّحت فأغرقت في التصريح...)[٣].

وإذا كان هذا حال المثل البشري فحال المثل القرآني أعظم، وأجلُّ، وأبلغ، فقد بلغ قمة شاهقة، وذروة عالية في براعة التصوير، ودقة التعبير. وهذا السمو يحتاج لدراسة تحليلية تسبر أغواره، وتخرج درره الكامنة، وتكشف جوانب من إعجازه البلاغي. إلا اننا نقتصر الكلام فيه بما يسعفنا فيه المقام والغاية من تأليف هذا الكتاب التي تمت الإشارة إليها في مقدمته.

أولاً: تعريف الأمثال في اللغة والاصطلاح:

والأمثال: جمع مثل، والمَثل والمِثل والمثيل: كالشَّبه والشِّبه والشبيه لفظًا ومعنى.

---

(١) الكليني، الكافي، ٥/٥٥١.

(٢) ابن حيان، الأمثال في الحديث النبوي، ص١٨.

(٣) المستقصي في أمثال العرب، ١/ب-ج-هـ.

وسمي مثلاً لأنه ماثل لخاطر الإنسان أبداً، يتأسى به، ويعظ ويأمر ويزجر، والماثل: الشاخص المنتصب، من قولهم (طلل ماثل) ... وفي المثل ثلاث خلال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه(١).

واصطلاحاً: عرفه البلاغيون بأنه: (اللفظ المركب المستعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة ما بين مضربه ومورده، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي)(٢).

ويمكن **تعريف المثل القرآني:** بانه إبراز المعنى في صورة حسية تُكسبه روعة وجمالاً وتوصله للسامع بسهولة ويسر نظراً لما له من وقع في النفس.

والتمثيل: هو القالب الذي يبرز المعاني في صورة حيّة تستقرُّ في الأذهان، بتشبيه الغائب بالحاضر والمعقول بالمحسوس، وقياس النظير على النظير..

وكم من معنى جميل أكسبه التمثيل روعة وجمالاً، فكان ذلك أدعى لتقبل النفس له واقتناع العقل به، وهو من أساليب القرآن الكريم في ضروب بيانه ونواحي إعجازه.

وقد ارتبطت الأمثال بعدة مصطلحات منها (ضَرب المثل)، والحقيقة أن العلماء اختلفوا في الأصل الحسي الذي أُخذ منه هذا اللفظ. فيقال: (وضرب المثل جعله يسير في البلاد، من قولك: ضرب في الأرض، إذا سار فيها، ومنه سُمي

---

(١) ظ: ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ص٢٧٩-٢٨٠.

(٢) للتوسعة في التعريفات اللغوية والاصطلاحية للمثل والمثل القرآني، ظ: استاذنا الدكتور محمد حسين الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني، ص٤٣-٧٣، حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغه، ٣١٠/٣، سميح عاطف الزين، الأمثال والمثل والتمثيل والمثلات في القرآن الكريم، ص١٢، مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص١٨١.

المضارب مضارباً)[١]، ويقول الزمخشري: (والضرب البيان، من قولك: ضرب له موعداً، أي: بيّنه)[٢]، ويقول في الكشاف: (وضرب المثل: اعتماده وصنعه من ضرب اللبن)[٣]، والحقيقة يراد بضرب المثل إطلاقه واستعماله في الحالات المتجددة، التي تشبه الحالة الأولى، والتمثل به واستعماله في الحالات الحادثة التي تشبه الحالة التي أُطلق فيها أولاً.

ثانياً: تصنيف الامثال بوجه العموم:

عند تناول أنواع الأمثال بوجه العموم تجد أن تصنيفاتها في المراجع المختلفة قد تنوعت وفقاً لثلاثة اتجاهات رئيسة:

١. **تصنيفها وفقاً لأزمنتها:** تقسم الأمثال في هذا النوع، تبعاً لترتيب زمني تتابعي، ينتقل بها من الأقدم إلى الأحدث تتابعياً؛ وصولاً الى الأمثال اليوم في اللهجات المختلفة[٤].

٢. **تصنيفها وفقاً لعلة نشوئها:** إن هذا الشكل من التقسيم يعتمد على السبب الذي وضع المثل فيه[٥]، ومنها:

١- المثل الناشئ عن حادث: وهو الذي يقال بعد أن ينتهي الحادث، ففي المثل: وافق شن طبقة.
٢- المثل الناشئ عن تشبيه: وصف الرجل الكريم فقيل له: أجود من حاتم.

---

(١) أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ١١/١.
(٢) المستقصي في أمثال العرب، ١/هـ.
(٣) تفسير الكشاف، ١٤٢/١.
(٤) ظ: د. محمد توفيق أبو علي، الأمثال العربية في العصر الجاهلي دراسة تحليلية، ص٤٣.
(٥) ظ: محمد أبو صوفة، الأمثال العربية ومصادرها في التراث، ص١٨.

٣- المثل الناشئ عن القصة: والمقصود بالقصة المروية أو المتداولة على ألسنة الناس كقصة التيه التي عاقب الله تعالى بها قوم موسىعليه السلام أنتجت المثل: أَتْيَهُ من قوم موسىعليه السلام.

٤- المثل الناشئ عن حكمة: كقول زهير بن أبى سلمى:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب ... تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم.

فقد أصبح هذا البيت مثلاً.

٥- المثل الناتج عن الشعر: كالمثل: أي الرجال المهذب، فهو جزء من بيت شعر قاله النابغة وهو:

ولست بمستبق أخاً لا تلمه ... على شعث، أي الرجال المهذب.

٦- الأمثال الناشئة عن القرآن والحديث الشريف[١]: وهي أنواع منها أمثال كامنة غير مصرح بأنها كذلك، وإنما تكون قريبة من معنى مثل معروف، ومنها خير الأمور أوسطها وهو موجود في قوله تعالى: ﴿**لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ**﴾[٢]، وأمثال موجزة اكتسبت صفة المثلية بعد شيوعها بين الناس ولم تكن كذلك عند نزولها، وتكون عبارة عن مبادئ خلقية ودينية، منها قوله تعالى: ﴿**الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ**﴾[٣].

٣. تصنيفها وفقاً لسمتها الاصطلاحية: هذا النوع من التقسيمات يختلف عن الأول؛ بكونه لا يعتد بالزمن الذي يشير إليه المثل، بل يتناوله وفقاً لسماته الاصطلاحيه، والتي تؤثر عليه بشكل واضح. وهي على النحو الآتي:

---

(١) هذا النوع إضافة للأنواع السابقة الدكتور محمد توفيق أبو علي في كتابه: الأمثال العربية، ص٤٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٦٨.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٥١.

1. المثل الموجز أو السائر: وهذا النوع من الأمثال هو الذي يتبادر إلى الذهن عند إطلاق لفظ المثل، وغالباً ما عرّفه العلماء والأدباء... وقد تضمن الحكم التي شاعت بين الناس... كقولهم: العود أحمد[١]، النساء حبائل الشيطان. كما يدخل ضمنه الأمثال الشعرية[٢]، وهي كلمات استحسنت في الشعر، وطابقت وقائع عامة جارية، فتداولها الناس، وأجروها مجرى الأمثال النثرية. ويدخل في هذا النوع أيضاً الأمثال التي على وزن أفعل من والتي تدل على المبالغة في التشبيه، كقولهم: أجود من حاتم.

٢. المثل القياسي: وهو سرد وصفي أو قصصي يستهدف توضيح فكرة ما... وهذا النوع من الأمثال يكاد يكون معدوماً في الأمثال العربية القديمة، ولكننا نجده بكثرة في القرآن الكريم وفي كلام الرسول ﷺ. ثم نسج حكماء الإسلام أمثالاً قياسية على منوال أمثال القرآن والسنة[٣]. ويكون على نوعين: إما أن يضرب نموذجاً من السلوك الإنساني بقصد التأديب، أو التمثيل والتوضيح، وإما أن يجسد مبدأ يتعلق بملكوت الله تعالى ومخلوقاته، ومن الأول قوله تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُواْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ، مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ**﴾[٤] ومن الثاني قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ**

(١) ظ: الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، ٣٣٥/١.

(٢) ظ: عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية، ص٢٨.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٦- ١٧.

﴿نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١]، وهو كلام مطنب بالنسبة إلى الأمثال الموجزة، ولا يشكل تلخيصاً لقصة، ولا إشارة إليها، وليس اقتباساً، وإنما يشكل قصة بأكملها، أو صورة مجازية مبسوطة جاء بها الحكيم للإيضاح أو التأديب أو التحذير. فقد روي عن الإمام علي بن أبى طالب عليه السلام قوله: (مثل الدنيا كمثل الحية، لين مسها، والسم الناقع في جوفها، يهوي إليها الغر الجاهل ويحذرها ذو اللب العاقل)[٢].

٣. **المثل الخرافي:** وهو تلك الكلمات الموجزة السائرة التي أجراها العرب على ألسنة الحيوان، أو بنوها على قصص خرافي نسجوه حوله... وهي غير واقعية، ومن ثم كان علماء اللغة يطلقون عليها أكاذيب العرب. ويبدو أن منشأه البيئات البدوية... والأدب العربي _ شعراً ونثراً_ حفل بهذا اللون القصصي، وهو يعد صورة من صور الأدب الرمزي الذي ينسج فيه الأديب الأحداث والحوار إلى الحيوانات والجمادات.

ثالثاً: أقسام التمثيل:

قد عرفت أن التمثيل عبارة عن إعطاء منزلة شيء لشيء عن طريق التشبيه أو الاستعارة أو المجاز أو غير ذلك، فهو على أقسام:

النوع الأول: التمثيل الرمزي: وهو ما ينقل عن لسان الطيور والنباتات والأحجار بصورة الرمز والتعمية ويكون كناية عن معاني دقيقة[٣].

---

(١) سورة يونس، الآية: ٢٤.

(٢) محمد عبده، نهج البلاغة، ٦٨٨/٣.

(٣) وهذا النوع من التمثيل يعجّ به كتاب: «كليلة ودمنة» لابن المقفع (ت:١٤٣هـ).

النوع الثاني: التمثيل القصصي: وهو ما جاء ليبين أحوال الأمم وقصصهم للعبرة، كقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾(١). وقوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا، قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾(٢)، فهذه الآية تذكر قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح لكن كانت هذه القصة مثلاً ليُبين الله عز وجل بها ان المتعلم يجب يتبع العالم أي اقلهم علماً يجب يتبع أكثرهم علماً.

النوع الثالث: التمثيل الطبيعي: وهو تشبيه غير الملموس بالملموس، والمتوهم بالمشاهد على أن يكون ذلك في الأمور التكوينية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٣).

والأمثال القرآنية تدور بين كونها تمثيلاً قصصياً، أو تمثيلاً طبيعياً كونياً. وأما التمثيل الرمزي فإنما يقول به أهل التأويل(٤).

---

(١) سورة التحريم، الآية: ١٠.

(٢) سورة التحريم، الآية: ١٠.

(٣) سورة يونس، الآية: ٢٤.

(٤) كقصة النملة مع سليمان عليه السلام، وقصة آدم عليه السلام مع الشيطان، فيرى البعض انها رموز لحقائق علوية. وقد تقدم القول فيمن يرى الرمزية في القصص القرآنية في محله. ونختصر في ردنا ها هنا بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لاَولِى الألْبابِ ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى وَلكِنْ تَصْدِيقَ الّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلّ شَيءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤمِنُون﴾. سورة يوسف، الآية: ١١١.

وتلحظ من الأقسام، كيف أن القرآن ضرب الأمثال صريحة وغير صريحة، وكأنه يقول للناس عرضت لكم الحق وبينته، ورددت الباطل وأزهقته وقربت لكم طريق الهداية، وجعلته ظاهراً لا لبس فيه، فلم يبق لأحد حجة في معرفة التوحيد وبطلان الشرك، ومعرفة الطاعة من المعصية والخير من الشر.

رابعاً: أقسام الأمثال في القرآن الكريم:

تنقسم الأمثال في القرآن الكريم الى ثلاثة أقسام:

الأول: الأمثال الصريحة: هي الظاهرة والمصرح فيها بلفظ المثل أو ما يدل على التشبيه، مثل قوله تعالى: ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ، أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ**﴾ إلى قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[(١)]. فلا يحتاج إلى دليل، كفى بلفظها الصريح دليلاً[(٢)].

ففي هذه الآيات ضرب الله للمنافقين مثلين: مثلاً ناريّاً في قوله: ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً**﴾ لما في النار من مادة النور، ومثلاً مائيّاً في قوله: ﴿**أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ**﴾ .. لما في الماء من مادة الحياة، وقد نزل الوحي من السماء متضمناً لاستنارة القلوب وحياتها. وذكر الله حظ المنافقين في الحالين. فهم بمنزلة من استوقد ناراً للإضاءة والنفع حيث انتفعوا ماديّاً بالدخول في الإسلام، ولكن لم يكن له أثر نوري في قلوبهم، فذهب الله به في النار من الإضاءة: ﴿**ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ**﴾ وأبقى ما فيها من الإحراق، وهذا مثلهم الناري.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧.

(٢) يرى أستاذنا الدكتور محمد حسين الصغير ان الذي ينطبق عليه مفهوم المثل القرآني هو المثل الصريح دون القسمين الأخيرين، فيقول: (فهو وحده الذي يحقق لنا المثل في دلالته القرآنية). الصورة الفنية في المثل القرآني، ص١١٤.

وذكر مثلهم المائي فشبههم بحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق فخارت قواه ووضع أصبعيه في أذنيه وأغمض عينيه خوفاً من صاعقة تصيبه؛ لأن القرآن بزواجره وأوامره ونواهيه وخطابه نزل عليهم نزول الصواعق.

الثاني: الأمثال الكامنة: وهي التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل، ولكنها تدل على معان رائعة في إيجاز يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها، فالمثل هنا يؤخذ من مكنون النص ودلالاته، ويمثلون لهذا النوع بأمثلة منها:

– ما في معنى قولهم: (ليس الخبر كالمعاينة): قوله تعالى في إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾(١).

– أو يكون ما في معنى قولهم: (كما تدين تُدان): في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾(٢).

– أو يكون في اختصاص الصلح: (لكّل مقام مقال)، في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقر﴾(٣).

– أو يكون في معنى: (خير الأمور اوسطها)، ونلحظه في أربعة مواضع في القرآن العزيز، في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾(٥)، وقوله تعالى:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٣.
(٣) سورة الانعام، الآية: ٦٧.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٦٨.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾[٢].

– أو يكون بمعنى: (من جهل شيئاً عاداه)، وهو في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾[٣].

– أو يكون في معنى: (من أعان ظالماً سلّطه عليه)، في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلاَّهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾[٤].

الثالث: الأمثال المرسلة: وهي جمل أرسلت إرسالاً من غير تصريح بلفظ التشبيه، وقد اكتسبت صفة المثلية بعد نزول القرآن الكريم وشيوعها بين المسلمين، ولم تكن أمثالاً في وقت نزوله، وهي في جملتها مبادئ خلقية ودينية موجزة مركزة، وهذا النوع من قبيل التشبيهات الضمنية التي تؤكد المعاني وتبرزها إبرازاً يجعلها متميزة في النفس أكمل تمييز، أو هي من قبيل الكنايات التي تأتي بالمعني مصحوباً بدليله، فتجري مجري الحكم.

وهذا النوع أمثلته في القرآن الكريم كثيرة جداً سوف نذكر جملة منها، مع بيان ما تضرب هذه الأمثال من أجله من المناسبات حسب ما فهمناه، فمن هذه الأمثال:

– قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [١]، يضرب للتبشير بقرب الفصل في الأمر، مع الاطمئنان للنتيجة.

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

(٤) سورة الحج الآية: ٤.

- وقوله تعالى: (كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ)[٢]، يضرب للعمل الجاري على طبيعة صاحبه واعتباره وأصله على طريقة أن كل إناء ينضح بما فيه.

- وقوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾[٣]، يضرب لعدم الاغترار بقوة تماسك الظاهر مع تصدع وتفكك الواقع وتنافر القلوب.

- وقوله تعالى: ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾[٤]، يضرب للتحقير والتهوين من شأن من يدعي القوة أو تُدعي له وهو ليس كذلك بل هو في غاية الضعف.

- وقوله تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ العَامِلُونَ﴾[٥]، يضرب للترغيب في التنافس في الخير بعد بيان حسن جزائه.

- وقوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ﴾[٦]، يضرب للفت العقلاء إلى ما ينبغي الاتعاظ بما يقع لغيرهم من شدائد جزاء عملهم حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه.

وغيرها الكثير مما لا مجال لحصره في هذا المقام.. ولكن يجدر بنا الإشارة هنا إلى أن بعض العلماء منعوا استخدام الآيات القرآنية للتمثيل كالزركشي (ت:٤٩٧هـ) والرازي (ت:٦٠٦هـ) حيث قالوا بأن القرآن الكريم لم ينزل ليتمثّل به بل ليتدبر فيه ونعمل بأحكامه، فيما أجازه آخرون شرط أن يكون في مقام الجدّ، لا في الهزل والمزاح.

---

(١) سورة هود، الآية: ٦٧.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٤.
(٣) سورة الحشر، الآية: ١٤.
(٤) سورة الحج، الآية: ٧٣.
(٥) سورة الصافات، الآية: ٦١.
(٦) سورة الحشر، الآية: ٢.

خامساً: خصائص ومزايا أمثال القرآن:

تتعدد خصائص المثل القرآني، ويمكن اجمالها في الآتي:

١. دقة التصريح وإبراز العناصر المهمة، كقوله تعالى في الكفار الذين لم يستجيبوا لدعوة رسول الله ﷺ: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾(١).

٢. التصوير المتحرك الحيّ الناطق، كقوله تعالى في أعمال الكفار: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ البَعِيدُ﴾(٢).

٣. صدق المماثلة بين الممثل والممثل له، كقوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلادُهُم مِّنَ اللهِ شَيْئاً وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(٣).

٤. ايجاز في المثل مما يزيد في بلاغته ورقيه في مخاطبة السامع وهذه من صور بلاغة القرآن التي لا حصر لها، ومنها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾(٤).

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٧١.

(٢) سورة ابراهيم، الآية: ١٨.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ١١٦-١١٧.

(٤) سورة النور، الآية: ٣٩.

سادساً: فوائد الأمثال في القرآن الكريم:

لورود الأمثال في القرآن الكريم فوائد جمة في مجال التمكين للمعاني في النفوس والدعوة إلى الله تعالى، من هذه الفوائد ما يلي:

أولاً: أنها تبرز الأمور المعقولة في مشاهد محسوسة يراها الناس أو يلمسونها، فتتقبلها عقولهم، ويمكن الاستشهاد لذلك بما ضربه الله تعالى مثلاً لحال المنفق رياءً، إذ لا يحصل من إنفاقه على شيء من الثواب وذلك في قوله سبحانه: ﴿**كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا**﴾(١).

والمعنى: أن ما يراءون به المسلمين في الدنيا بإنفاقهم إنما هو بمثابة طبقة التراب الرقيقة تغشى الحجارة فإذا نزل المطر أزالها، فكذلك إذا كان يوم القيامة، ذهب ما كانوا يراءون به، وتركوا من غير ثواب مطلقا.

فهذه الأمثال تكشف عن الحقائق، وتعرض الغائب في معرض المشاهد، وذلك أوقع في النفس من جهة تأثرها، وشاهدنا الآخر ما ورد في التمثيل لحال آكل الربا يوم القيامة بشناعة حاله: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ...**﴾(٢).

ثانياً: أنها تعبر عن جانب من جوانب الإعجاز القرآني، لأنها توجز المعاني الرائعة في عبارات يسيرة، وأوضح الشواهد على ذلك ما مضي ذكره من الأمثال الكامنة والأمثال المرسلة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

ثالثاً: كما يضرب المثل للترغيب، كقول الله سبحانه: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾(١).

رابعاً: ويضرب المثل للتنفير حيث يكون الممثل به مما تكرهه النفوس، كما في قوله تعالى: ﴿**...وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ...**﴾(٢).

خامساً: ويضرب المثل للمدح، كما في قوله تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وَجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ...**﴾(٣)، فحال بعض الصحابة في بدء الأمر أنهم كانوا قلة، ثم أخذوا في النمو والكثرة حتى استحكم أمرهم، وامتلأت القلوب إعجاباً بعظمتهم.

سادساً: يضرب المثل للذم، حيث يكون في الممثل به صفة يستقبحها الناس، وشاهد ذلك ذلك ما ضربه الله تعالى مثلاً لحال من آتاه الله كتابه، فتنكب طريق العمل، وانحدر في الدنايا والرذائل منغمساً فيها، وذلك في قول الله تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ، وَلَوْ شِئْنَا**

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦١.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٢. للتوسعة في معنى هذه الآية المباركة ظ: المؤلف، التفسير التربوي، ص٣٥.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١].

سابعاً: ضرب الأمثال وسيلة تربوية: من فوائد ضرب الأمثال في القرآن الكريم، أنها: أوقع في النفس وأبلغ في الوعظ، وأقوى في الزجر، وأقوم في الإقناع، لأن (النفس تأنس بالنظائر والأشباه وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير)[٢]، وقد أكثر الله تعالى الأمثال في القرآن الكريم للتذكرة والعبرة، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا القُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ العَالِمُونَ﴾[٤]، وضربها النبي ﷺ في حديثه، واستعان بها الداعون إلى الله تعالى في كل عصر لنصرة الحق وإقامة الحجة، وتنبيه المخطئ إلى خطئه، والمحسن إلى إحسانه.

ويستعين بها المربون، ويتخذونها من وسائل الإيضاح والتشويق، ووسائل التربية في الترغيب أو التنفير، في المدح أو الذم، وتربية النفوس بإظهار نموذج القدوة الحسنة؛ للاقتداء بها، وإظهار نموذج القدوة السيئة؛ للنفور منها، والاعتبار بها.

سابعاً: الفرق بين المثل والحكمة:

أولاً: أن الحكمة عامة في الأقوال والأفعال والمثل خاص بالأقوال.

ثانياً: أن المثل وقع فيه التشبيه والحكمة قد يقع فيها التشبيه وقد لا يقع فإذا وقع فيها التشبيه اجتمعت مع المثل وإلا اختلفت عنه.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٥-١٧٦.

(٢) جعفر السبحاني، الأمثال في القرآن الكريم، ص١٢.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٢٧.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

ثالثاً: أن المقصود من المثل الإحتجاج ومن الحكمة التنبيه والإعلام والوعظ ولا يبعد أن يقال بعد ذلك إن المثل هو من الحكمة فهي تعمه وتعم غيره، إذن كل حكمة سائرة تسمى مثلاً.

رابعاً: يمتاز المثل بالشيوع والانتشار وكثرة الدوران على الألسن، فالقول الصائب الصادر عن تجربة يسمّى حكمة إذا لم يتداول، ومثلاً (إذا كثر استعماله وشاع أداوَه في المناسبات المختلفة)[١].

ثامناً: الفرق بين الأمثال والقصص:

إن بين الأمثال والقصص فارقاً كبيراً، وإن كان يجمعهما قدر مشترك من تنبيه الذهن إلى أخذ العبرة وقياس الحال على الحال.

وهذا الفارق هو: أن الأمثال لا يشترط في صحتها أن تكون واقعة تاريخية ثابتة، وإنما يشترط فقط إمكان وقوعها، حتى يتسنى للذهن تصورها كما لو أنها وقعت فعلاً.

وليس معنى هذا أننا نشترط في الأمثال عدم صحتها في نطاق الواقع التاريخي، إذ ربما ضرب المثل بقصة واقعة، وتسمى القصة عندئذ تمثيلاً، لأنها وردت للتمثيل لا للإخبار عنها.

إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ

(١) جعفر السبحاني، الامثال في القران الكريم، ص١١.

تاسعاً: نماذج من الأمثال القرآنية:

ولبيان موضوع أسلوب الأمثال في القرآن أكثر فيما يلي جملة من الأمثال القرآنية:

١. الاتعاظ بحال الأمم الماضية:

حذر القرآن الكريم الناس من الركون الى الدنيا ونبّه الى ضرورة الاتعاظ بحال الماضين منهم، قال تعالى: ﴿**وَأَنذِرِ النّاسَ يَوم يَأْتِيهِمُ العَذَابُ فَيَقُولُ الّذينَ ظَلَمُوا رَبّنَا أَخّرْنَا إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ ما لَكُمْ مِنْ زَوالٍ، وَسَكَنْتُمْ فِي مَساكِنِ الّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنا بِهِمْ وَضَرَبْنا لَكُمُ الأَمْثالَ، وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لتَزُولَ مِنْهُ الجِبال**﴾[١].

إنّ الآية تمثل حال قوم شاهدوا نزول جزء من العذاب والبلاء فعادوا يظهرون الندم على أعمالهم البغيضة ويطلبون الإمهال حتى يتلافوا ما فاتهم من الإيمان والعمل الصالح، كما يحكي عنه سبحانه، ويقول: (**وَأَنذِرِ النّاسَ يَوم يَأْتِيهِمُ العَذَابُ**) أي مشاهدة نزول العذاب في الدنيا بشهادة استمهالهم، كما في قوله تعالى: (**فَيَقُولُ الّذينَ ظَلَمُوا رَبّنَا أَخّرْنَا إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ**).

فيرد دعوتهم بأنّ هذا الطلب ليس طلباً صادقاً وإنّما ألجأهم إليه رؤية العذاب. فيقال لهم توبيخاً: (**أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ ما لَكُمْ مِنْ زَوالٍ**).

وعلى ما ذكرنا يكون مفاد الآية: أن هؤلاء الظالمين عندما يقولون يا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤٤-٤٦.

يقال لهم من قبل الله والملآئكة على سبيل التوبيخ والتبكيت: أو لم تكونوا – أيها الظالمون – تقسمون بالأيمان المغلظة فى الدنيا، بأنكم بعد موتكم ستبقون فى قبوركم إلى أن تبلى أجسادكم، وأنه ليس بعد ذلك من بعث ولا حساب، ولا ثواب ولا عقاب، وظننتم انّكم بما تمتلكون من القوة والسطوة أمّة خالدة مالكة لزمام الأمور، فلماذا تستمهلون؟

ثمّ يخاطبهم بجواب آخر وهو قوله: **(وَسَكَنْتُمْ فِي مَساكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنا بِهِمْ وَضَرَبْنا لَكُمُ الأَمْثالَ)** أي سكنتم ديار من كذب الرسل فأهلكهم الله ﷻ وعرفتم ما نزل بهم من البلاء والهلاك والعذاب كقوم عاد وثمود، وضربنا لكم الأمثال وأخبرناكم بأحوال الماضين لتعتبروا فلم تتعظوا.

وعلى ذلك فالمشبه به هو حال الأمم الهالكة بأفعالهم الظالمة.

والمشبه هو الأمم اللاحقة لهم الذين رأوا العذاب فاستمهلوا الأجل وندموا ولات حين مناص.

٢. مثال المُنفقين المُخلصين:

فكان ينبغي على كل مسلم أن يتفكر في هذه الأمثال التي ضربها ربه في كتابه، ومنها: ﴿**مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ**﴾[1]، فشبه المنفق في سبيله بالباذر، يبذر الحبة والحبة تحت الأرض، وهذا إشارة إلى الإخلاص في الإنفاق، والمشبه به هو الحبة المتبدلة إلى سبعمائة حبة.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦١.

يتعاهد الباذر هذه البذرة بالسقي، يسقيها بماء الإخلاص، ورجاء ثواب الله، واحتساب الأجر عنده، يتعاهدها وينفي عنها كل ضار يضر بالزرع، الرياء العجب المن الأذى، ما هي النتيجة؟ أن الله يضاعفها كما أن هذه الحبة: ﴿أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ﴾.

فيكون الناتج سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة فصارت الحبة سبعمائة حبة، بمضاعفة الله لها، ولا يخفى أنّ هذا التمثيل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعة، فإنّ في هذه إشارة إلى أنّ الأَعمال الصالحة يمليها الله عزّ وعجلّ لأَصحابها كما يملي لمن بذر في الأَرض الطيبة.

وفي بيان هل في الواقع يوجد سنبلة فيها مائة حبة حتى يضرب بها المثل؟! يجيب المفسر البغوي (ت:٥١٦هـ) على هذا السؤال بقوله: (ذلك متصور غير مستحيل وما لا يكون مستحيلاً جاز ضرب المثل به وإن لم يوجد معناه)[١].

٣. أمثلة المُنفقين المرائين:

وقال تعالى محذراً وضارباً المثل للمرائين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾[٢] الصخر الأملس، عليه تراب، مجرد طبقة، لا يمكن أن يزرع عليها شيء، فأصابه وبل، لما نزل المطر ماذا حصل لهذا التراب؟ ذهب، المطر غسل

---

(١) تفسير معالم التنزيل، ١/٢٣٤. إلا ان الأمر في حقيقته واقع ومشاهد إذ يقول الشيخ جعفر السبحاني: (ثم إن ما ذكره القرآن من التمثيل ليس أمرا وهميا وفرضا خياليا بل هو أمر ممكن واقع، بل ربما يتجاوز هذا العدد، فقد حكى لي بعض الزراع أنه جنى من ساق واحد ذات سنابل متعددة تسعمائة حبة، ولا غرو في ذلك فإنه سبحانه هو القابض والباسط)، الأمثال في القرآن الكريم، ص١١٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

الصخرة، وزال التراب، فهل تنبت شيئاً؟ لا، ﴿فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[١].

هذا المثل لعمل المرائي، ونفقة المرائي، وكيف يبطل الرياء الأجر، ويمنع الثواب، تركه صلداً صلباً أملس لا تصلح لشئ من الزرع، ﴿لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ أعمالهم التي عملوها في الدنيا لن تعطيهم شيئاً يوم القيامة، لقد وضعوها في غير موضعها أيضاً.

فعمل المرائي له ظاهر جميل وباطن رديء، فالإنسان غير العارف بحقيقة نية العامل يتخيل أن عمله منتج، كما يتصور الإنسان الحجر الأملس الذي عليه تراب قليل فيتخيل أنه صالح للنبات، فعندما أصابه مطر غزير شديد الوقع ونفض التراب عن وجه الحجر تبين أنه حجر أملس لا يصلح للزراعة، فهكذا عمل المرائي إذا انكشفت الوقائع ورفعت الأستار تبين أنه عمل ردئ عقيم غير ناتج[٢].

ثم إنّ المانّ والمؤذي بعد الإنفاق أشبه بعمل المرائي.

٤. مثل الدنيا وزينتها:

ضرب الله ﷻ لنا أيضاً مثلاً يحذرنا فيه من فتنة الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾[٣]، فلا تفتنوا بها أيها الناس؛ فإن فيها بهجة

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

(٢) ظ: جعفر السبحاني، الأمثال في القرآن، ص١١٥.

(٣) سورة يونس، الآية: ٢٤.

وحلاوة وجمال خضرة، لكن ما هي النهاية؟ زائلة فانية ذاهبة، فلا تفتنكم، ولا تنشغلوا بها عن عبادة ربكم، لا بأموالها وتجاراتها، ولا بألعابها ومتعها، خذوا منها المباح الحلال الذي تعبرون به إلى الدار الآخرة، واجعلوا أكثر أعمالكم في الدنيا طاعة لله، فإن الله أمر بالتنافس: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾(١)، في الخيرات ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾(٢)، ﴿سَابِقُوا﴾(٣)، في أمور الآخرة، سارعوا، سابقوا، فليتنافس، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾(٤)، وفي الدنيا قال: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾(٥)، مشي ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾(٦)، هذا هو الأهم الأول الذي يصرف له الوقت الأكثر، والجهد الأكبر: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾(٧)؛ لأنه لا بدّ لك من شيء تعيش به.

٥. ميدان الأعمال:

ومن المجالات المهمة التي تناولتها الأمثال القرآنية مجال الأعمال؛ أعمال المؤمنين، وأعمال الكافرين.

فكثرت الأمثال التي توضح بطلان أعمال الكافرين، وتجسم أعمالهم بالرماد المتجمع بعضه فوق بعض، ثم تذروه الرياح، فتتناثر ذراته في كل اتجاه.

---

(١) سورة المطففين، الآية: ٢٦.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.
(٣) سورة الحديد، الآية: ٢١.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.
(٥) سورة الملك، الآية: ١٥.
(٦) سورة القصص، الآية: ٧٧.
(٧) سورة القصص، الآية: ٧٧.

يقول تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾(١).

فيصور الله ﷻ في هذا المثل أعمال الكفار في مقاومة رسل الله، ومحاربة دينه، بالرماد المتجمع في مكان ما، لكن لا تماسك بين ذراته، وهو خفيف جداً، فاشتدت به الريح في يوم عاصف، فنسفت ذلك الرماد، وبددته في كل مكان، حتى لم يعد له وجود حقيقي، كذلك أعمال الكافرين في مواجهة الرسول، وأولياء الله، فهي كالرماد متفرقة مشتتة في كل مكان، ويوم القيامة يجعل تلك الأعمال هباء منثوراً، وهي كناية عن أن أعمال الكافرين لا تقوى على مقاومة قدرة الله وقوته.

وفي مثلٍ آخر يتخذ من (الريح) أيضاً أداة التدمير، كما كانت في المثل السابق أداة البعثرة للرماد، ونثره في كل مكان، فيقول الله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(٢).

فيصور الله لنا أعمال أهل الكفر التي يظنون أنها تفيدهم بأنها مثل السراب في صحراء قاحلة، تظهر من بعيد للظمآن ماء، لكنه إذا اقترب منه لم يجده شيئاً، فينخدع من بعيد، وعند الحاجة تتكشف له الحقيقة، بأنه مجرد سراب لا يسمن ولا يغني من جوع، كذلك الكفار يظنون أن أعمالهم في الدنيا تغنيهم شيئاً يوم القيامة، لكن هذا الزعم الخادع ينكشف لهم يوم القيامة.

فالمثلان مترابطان في بيان ضياع أعمال الكافرين، والتركيز فيهما على أعمالهم لا على ذواتهم، كما يلاحظ اتحاد المثلين في الإفناء والضياع.

---

(١) سورة ابراهيم، الآية: ١٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٧.

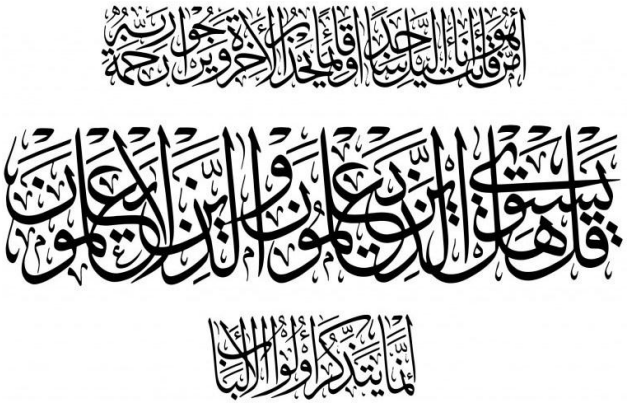
أم من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه
قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
إنما يتذكر أولوا الألباب

الفصل الثالث

اسلوب القسم في القرآن الكريم

إن رحمت الله قريب من المحسنين

الفصل الثالث:

القسم في القرآن الكريم

نزل القرآن الكريم للناس كافة، ووقف الناس منه مواقف متباينة ومتخالفة؛ فمنهم مهتد موقن، ومنهم ضال منكر، ومنهم مصدق موافق، ومنهم مكذب مخاصم. وقد استدعت هذه المواقف المتباينة والمتخالفة أن يتوجه القرآن إلى كلٍّ منها بما يناسبه من خطاب، وبما يلائمه من أسلوب. وكان من الأساليب التي سلكها القرآن مع الكافرين والجاحدين أسلوب (القَسَم)، إقامة للحجة عليهم.

أسلوب القسم في أسلوب العرب، طريق من طرق توكيد الكلام، وإبراز معانيه ومقاصده على النحو الذي يريده المتكلم، إذ يؤتى به لدفع إنكار المنكرين، أو إزالة شك الشاكين.

والقسم من المؤكدات المشهورة التي تمكن الشيئ في النفس وتقويه، ومعلوم أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب، وعلى أسلوب كلامهم، ومناحي خطاباتهم، وكان من عادتهم انهم إذا قصدوا توكيد الأخبار وتقريرها، جاءوا بالقسم، وعلى هذا جاءت في القرآن الكريم أقسام متنوعة، في مواضيع شتى، لتوكيد ما يحتاج إلى التوكيد.

قال الشيخ الطبرسي (ت:٥٤٨هـ): (القَسَم جملة من الكلام يؤكَّد بها الخبر، بما يجعله في قسم الصواب)[١] .

(١) مجمع البيان، ٢٢٥/٥.

أولاً: تعريف (القَسَم):

في **اللغة:** قال ابن منظور (ت:٧١١هـ): (القَسَمُ بالتحريك: اليَمِين)[١] وقد ورد في المعجمات (أَقْسَمَ) بمعنى (حَلَفَ)[٢]، و(حَلَفَ) بمعنى (أَقْسَمَ)[٣].

وفي **الاصطلاح:** يعرّف القسم أو اليمين بأنه: ربط النفس بالامتناع عن شيء أو الإقدام عليه، بمعنى معظم عند الحالف حقيقة أو اعتقاداً. وسمي الحلف يميناً لأن العرب كان أحدهم يأخذ بيمين صاحبه عند التحالف.

ثانياً: الفرق بين الحلف والقسم:

قال تعالى: ﴿**وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَما هُمْ مِنْكُمْ**﴾[٤]، وقال سبحانه: ﴿**وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ**﴾[٥]، ما الفرق بين (الحلف والقسم) في القرآن الكريم؟

كثيراً ما يفسّر أحدهما بالآخر، وقلما تفرق بينهما المعاجم. نحتكم إلى البيان الأعلى، في النص المحكم الموثق، فيشهد الاستقراء الكامل بمنع ترادفهما. جاءت مادة (ح ل ف) في ثلاثة عشر موضعاً[٦]، كلها بغير استثناء، في الحنث باليمين (أي اليمين الكاذبة)، ﴿**فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ**﴾[٧]..

---

(١) لسان العرب، ٤٨١/١٢.

(٢) ظ: الراغب، مفردات غريب القرآن، ص٤٠١.

(٣) القاموس المحيط، ١٢٩/٣.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٥٦.

(٥) سورة الواقعة، الآية: ٧٦.

(٦) ظ: سورة النساء، الآية:٦١، سورة التوبة، الآية: ٤٢، ٥٦، ٦٢، ٩٦، سورة المجادلة، الآية: ١٤، ١٨، سورة القلم، الآية: ١٠.

(٧) سورة المائدة، الآية: ٨.

وأما القسم، فيأتي في الأيمان الصادقة سواء كانت حقيقة أو وهماً. وبهذا يختص الحلف بالحنث في اليمين (أي اليمين الكاذبة) ويكون القسم لمطلق اليمين، وهذا ما اطرد استعماله في البيان القرآني(١).

ثُمَّ إنَّ القرآن لم يستعمل (حَلَفَ) قط حين يكون القسم بالله صراحة، كما لم يرد الفعل منه قط مسنداً إليه تعالى، في أي موضع من كتابه الكريم. على حين لم يأت الفعل (أُقْسِم) مؤكداً ب(لا)، إلا مُسْنَداً إلى الله تعالى، في كلِّ المرَّات الثماني التي استعمل فيها القرآن (لا أُقْسِم).

وجاء المصدر من (قسم) موصوفاً بالعظمة في آية الواقعة: ﴿**وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ**﴾(٢)، ويجيء الفعل مُسْنداً إلى غير الله تعالى، في أربعة مواضع، لكن في غير سياق الكذب أو الحنث باليمين: ﴿**فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ولا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنْ الْآثِمِينَ**﴾(٣)،... وأمام هذا الاستعمال القرآني، لا يهون أبداً أن نُفَسِّر القَسَمَ بالحَلْفِ، وصنيع القرآن فيهما يلفت إلى فرق دقيق بين اللفظين المقول بترادفهما، وهو فرق يؤيِّده فقه العربية، فاختلاف مادتي اللفظين يؤذن باختلاف مدلول كل منهما، وبين حَلَفَ وحَنَثَ من القرب، ما ليس بين حَلَفَ وقَسَمَ، مما يبعد معه أن يكونا سواء(٤).

---

(١) ظ: أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص٤١، د. بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، ص٢٢٤.

(٢) الآية: ٧٦.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٢٠٦ ظ: سورة المائدة، الآية: ٢٠٧، سورة الروم الآية: ٥٥، سورة القلم،الآية:٢.

(٤) ظ: بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، ١٥٧/١.

أمَّا اليمين؛ فـ(اسم للقَسَمِ مستعار، وذلك أنَّهُم كَانُوا إِذَا تَقَاسَمُوا عَلَى شَيءٍ تَصَافَقُوا بِأَيْمَانِهِم، ثُمَّ كَثُرَ ذَلِك حَتَّى سُمِّيَ القَسَمُ يَمِيْنًا)[١].

وأسلوب القسم: جملة يُؤَكَّد بها جملة أخرى، والقَسَمُ يمينٌ يُؤَكِّد به قائله شيئاً من إيجاب أو جحد.

ثالثاً: أنواع القسم في القرآن:

وقد خلص علماء التفسير إلى أن أنواع اليمين المذكورة في القرآن الكريم ثلاثة وهي على النحو الآتي:

أولاً: اليمين اللغو: وهو اليمين الساقط الذي لا يعتد به، وهو الذي لا يؤاخذكم الله بما سبقتكم به ألسنتكم من الأيمان على عجلة وسرعة، قال تعالى: ﴿**لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ**﴾[٢] أَيْ: بِمَا صَمَّمْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَيْمَانِ وَقَصَدْتُمُوهَا.

ثانياً: اليمين المنعقدة: وهي الحلف على فعل أو ترك آت. وهي في قوله تعالى: ﴿**وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ**﴾.

ثالثاً: اليمين الغموس: اليمين الغموس: هو الحلف على فعل أو ترك ماضٍ كاذباً. وهي في قوله تعالى: ﴿**وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ**﴾.

قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى

(١) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص٤٢٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٥.

رابعاً: أَرْكَانُ القَسَمِ:

وأركان القسم خمسة كما نلحظها في الآتي:

١. الصيغة: حرف القسم، الفعل المتعدي بالباء أو الواو أو التاء.
٢. المُقسم.
٣. المقسم به.
٤. المقسم عليه.
٥. الغاية المتوخاة من القسم[١].

الركن الأول: صيغة القسم:

الصيغة الأصلية للقسم أن يؤتى بالفعل (أقسم) أو (أحلف) متعدياً بالباء إلى المقسم به. ثم يأتي المقسم عليه، وهو المسمى بجواب القسم، كقوله تعالى: ﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ**﴾[٢].

ولما كان القسم يكثر في الكلام اختصر فصار فعل القسم يحذف ويكتفى بالباء، ثم عوض عن الباء بالواو في الأسماء الظاهرة، كقوله تعالى: ﴿**وَاللَّيْلِ إِذا يَغْشى**﴾[٣]، وبالتاء في لفظ الجلالة، كقوله تعالى: ﴿**وَتَاللهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ**﴾[١] وهذا قليل، أما الواو فكثيرة.

---

(١) بحسب تتبع الباحث فإن الأركان ثلاثة عند المؤلفين والباحثين وهن: (١. الصيغة، ٢. المقسم به، ٣. المقسم عليه)، اضفنا هنا الركن الثاني (المُقسم) ووجدناه أجدر بالإضافة لأهميته الواضحة، أما الركن الخامس (غاية القسم) فقد وجدناه عند الشيخ جعفر السبحاني الركن الرابع أضافة للأركان الثلاثة المتفق عليها إذ لم الحظ هذا الركن عند غيره من المؤلفين والباحثين، ظ: الأقسام في القرآن الكريم، ص١٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٨.

(٣) سورة الليل، الآية: ١.

الركن الثاني: الْمُقسِم

المراد منه الذي صدر منه القسم، وهو في القرآن الكريم على خمسة أنواع:

١. أقسام صدرت من الله ﷻ ابتداءً وانشاءً. وقد ورد ذلك فى سبع وثلاثين آية مكية، وفي آية مدنية واحدة؛ نحو: ﴿**وَالتِّينِ وَالزَّيتونِ**﴾(٢).

٢. أقسام علّمها الله ﷻ رسوله وأمره بها. وقد ورد ذلك فى آيتين مكيتين، وآية مدنية واحدة؛ نحو قوله تعالى: ﴿**وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ**﴾(٣).

٣. أقسام حكاها القرآن عن الأنبياء والمؤمنين. وقد ورد ذلك فى سبع آيات مكية، وأربع آيات مدنية؛ نحو قوله تعالى: ﴿**وَتَاللهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ**﴾(٤).

٤. أقسام حكاها القرآن عن المنافقين والكافرين. وقد ورد ذلك في ثلاث عشرة آية مكية، وآيتين مدنيتين؛ نحو قوله تعالى: ﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ بَلى وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمونَ**﴾(٥).

٥. أقسام حكاها القرآن عن ابليس، وقد ورد ذلك في أربع آيات؛ نحو قوله تعالى: ﴿**قالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾(٦).

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٥٧.

(٢) سورة التين، الآية: ١.

(٣) سورة يونس، الآية: ٥٣.

(٤) سورة الانبياء، الآية: ٥٧.

(٥) سورة النحل، الآية: ٣٨.

(٦) سورة النحل، الآية: ٨٢.

الركن الثالث: المقسم به في القرآن:

١- أقسم الله تعالى بنفسه في القرآن في خمسة مواضع:

في قوله تعالى: ﴿فَوَ رَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّياطِينَ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَالْمَغارِبِ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿فَوَ رَبِّ السَّماءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾(٥).

وأمر نبيه ﷺ أن يقسم به في ثلاثة مواضع:

في قوله تعالى: ﴿قُلْ بَلى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾(٦).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ بَلى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾(٧).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾(٨).

٢- أقسم فيما بقي من القرآن بمخلوقاته في مواضع عدة، منها على سبيل المثال:

---

(١) سورة مريم، الآية: ٦٨.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٢.
(٣) سورة النساء، الآية: ٦٥.
(٤) سورة المعارج، الآية: ٤٠.
(٥) سورة الذاريات، الآية: ٢٣.
(٦) سورة التغابن، الآية: ٧.
(٧) سورة سبأ، الآية: ٣.
(٨) سورة يونس، الآية: ٣٥.

١. القسم بالقرآن الكريم والكتاب المبين: ومن امثلته: ﴿يس، وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾(١)، ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾(٢)، ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾(٣)، ﴿والكتابِ الْمُبِين﴾(٤).

٢. وأقسم تعالى ببعض الأزمنة: منه قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ﴾، ﴿وَالضُّحى﴾.

٣. وأقسم بمخلوقاته الأرضية، ومنها على سبيل المثال: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾(٥)، ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾، أقسم بهما لما فيهما من فؤائد جمة. وإن كان من باب المثال.

٤. وأقسم بالمخلوقات والظواهر السماوية: ومنها على سبيل المثال، ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾(٦)، ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾(٧).

الركن الرابع: المقسم عليه في القرآن الكريم:

لم يقسم في القرآن الكريم على مثل ما يقسم عليه الناس من أمور صغيرة وتافهة، بل أقسم على القضايا الكبيرة، فأقسم على الحق الذي جاء به رسوله إلى الناس، والله هو الحق، ولقاؤه حق، والنبيون حق، والجنة حق، والنار حق، لقد أقسم القرآن الكريم على أعظم أركان الإيمان وهو الإيمان بالله فقال ﷻ: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفاً، فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً ، فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً، إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾(٨)، وأقسم على صدق نبيه

(١) سورة يس، الآية: ١.
(٢) سورة ق، الآية: ١.
(٣) سورة ص، الآية: ١.
(٤) سورة يونس، الآية: ٣٥.
(٥) سورة البلد، الآية: ٣. والمراد بهما إبراهيم الخليل (ع) وإسماعيل (ع).
(٦) سورة البروج، الآية: ١.
(٧) سورة الشمس، الآية: ١.
(٨) سورة الدخان، الآية: ١.

ﷺ، فقال: ﴿يس، والْقُرْآنِ الحَكِيمِ، إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾(١)، وأقسم على صدق القرآن وأنه حق من عند الله، فقال: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ والأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾(٢)، وأقسم على صدق البعث وأنه واقع لا محالة، فقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾(٣).

الركن الخامس: الغاية من القسم:

إن الغاية إما هي تحقيق الخبر ودعوة المخاطب الى الإيمان والإذعان، كما هو الغالب في الأقسام الواردة في القرآن الكريم، أو ان الغاية منه هو لفت النظر وبيان عظمة المقسم به، وما يكمن فيه من أسرار ورموز، أو لبيان قداسته وكرامته، كما في قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(٤).

ومن خلال هذا البيان، يتضح الجواب على ما ربما يقال من أنّ حلفه سبحانه إن كان لأجل المؤمن فهو يصدقه بلا حلف، وإن كان لأجل الكافر فلا يفيده.

والجواب: انّ إيمان المؤمن بصدق إخباره سبحانه لا ينافي تأكيده بالحلف، مضافاً إلى ما عرفت من أنّ حلفه سبحانه بشيء إشارة إلى كرامته وقداسته أو إلى عظمته وما يكمن فيه من أسرار ورموز(٥).

ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد

(١) سورة يس، الآية: ١-٣.
(٢) سورة الذاريات، الآية: ٢٣.
(٣) سورة التغابن، الآية: ٧.
(٤) سورة الحجر، الآية: ٧٢.
(٥) ظ: جعفر السبحاني، الأقسام في القرآن الكريم، ص١٣.

خامساً: أقسام القسم:

القسم في القرآن الكريم على قسمين: أما ظاهر، وإما مضمر.

١. القسم الظاهر: هو ما صُرِّح فيه بفعل القسم، وصرح فيه بالمقسم به، ومنه قول الله تعالى: ﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ**﴾(١)، ويمكن أن يأتي من هذا القبيل ما حذف فيه فعل القسم اكتفاء بالجار: من الواو، كما في قوله تعالى: ﴿**وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ**﴾(٢)، أو التاء كما في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ**﴾(٣).

٢. القسم المضمر: فهو ما لم يصرح فيه بفعل القسم ولا بالمقسم به، وهذا ينقسم إلى قسمين:

الأول: قسم دلت عليه اللام المؤكدة التي تدخل على جواب القسم، ومثاله قوله تعالى: ﴿**لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ**﴾(٤) والتقدير: والله لتبلون.

الثاني: قسم دل عليه المعنى، ومثاله قول الله تعالى: ﴿**وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِياً**﴾(٥)، تقديره: والله ما منكم إلا واردها، وضمير المفعول في «وَارِدُهَا» يعود إلى النار أعاذنا الله منها.

ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب

---

(١) سورة النور، الآية: ٥٣.

(٢) سورة الطارق، الآية: ١.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٨٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨٦.

(٥) سورة مريم، الآية: ٧١.

سادساً: أغراض القسم في القرآن:

وللقسم في القرآن الكريم مقاصد يمكن بيانها على النحو الآتي:

١: تحقيق الخبر وتوكيده، ليكون أوقع في التلقي وأرجى للقبول، كقوله تعالى: ﴿**وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ**﴾(١). وقوله تعالى: ﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾(٢).

٢: بيان شرف المقسم به، وعلو قدره، حتى يعرف الناس مكانته عند الله ورفعة منزلته لديه، كالقسم بحياة النبيّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾(٣). وكقوله تعالى مبيناً شرف القرآن وقدره: ﴿**وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ**﴾(٤).

٣: توجيه النظر إلى الآيات الكونية، والمشاهد الطبيعية، للتوصل منها إلى خالقها، والتأمل فيها تأملاً يبين مبلغ نعمتها، وقدرة الخالق في ملكه وعظيم خلقه، وذلك كالقسم بالسماء وبنائها، وبالنفس وخلقها، كما في قوله تعالى: ﴿**وَالسَّماءِ وَما بَناها**﴾(٥)، وقوله تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها**﴾(٦).

٤: تصحيح العقائد الباطلة، فالقسم بالنجم إذا هوى، وبالكواكب، وبالشمس، والقمر، فيه رد على من اعتقد أنها آلهة، وأن لها تصرفاً في العالم السفلي، وأنها غير جديرة بالعبادة، وإنما الجدير بالعبادة هو خالقها، قال تعالى: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذا**

---

(١) سورة يونس، الآية: ٥٣.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٢.
(٣) سورة الحجر، الآية: ٧٢.
(٤) سورة ص، الآية: ١.
(٥) سورة الشمس، الآية: ٥.
(٦) سورة الشمس، الآية: ٧.

هَوى﴾[١]، منبهاً بقوله: {هوى}- أي غاب وسقط- إلى أنه لا يجوز أن يُعبد، لأنه مخلوق وعرضة للغيبة والزوال.

٥: لفت الأنظار إلى أحداث بارزة، كان لها أكبر الأثر في تاريخ البشر، وذلك الغرض يظهر في القسم بالأمكنة مثل قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ﴾[٢]، فالقسم به فيه إشارة إلى ماكان عند ذلك الجبل من الآيات التي ظهرت لموسى عليه السلام.

٦: الإشارة الى المنفعة والفائدة فيما قسم الله تعالى به، كقوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾[٣].

٧: إبراز المعقول في صورة المحسوس، وذلك أن الأمر المعقول إذا صور في شيء حسي، فإن العقل يستوعبه، أكثر ما لو كان مجرداً عن الحس، ومثله تشبيه الوحي بالضحى في رائعة النهار، وتشبيه الباطل بالليل، وانتصار الحق بالنهار، إشارة إلى أن الليل البهيم، لابد وأن يعقبه صبح مشرق بهيج، يبدد ظلامه وظلماته، وكذلك ظلام الشرك والجهل، لابد وأن يعقبه نور الحق واليقين.

سابعاً: القسم بغير الله تعالى:

يثار هذا التساؤل حول جواز الحلف بغير الله تعالى على الرغم من وروده في موارد كثيرة في القرآن الكريم كما تقدم، كما ورد ذلك في السنة النبوية الشريفة وحجة البعض في المنع أن الحلف بغير الله عز وجل من الشرك بالله، واعتماداً على بعض المرويات، بل ان بعض المفسرين لم يحري جواباً لذلك، فقال مبرراً: (لله أن

(١) سورة النجم، الآية: ١.
(٢) سورة الطور، الآية: ١.
(٣) سورة التين، الآية: ١.

يقسم بما شاء من مخلوقاته.. وإن لم يُعلم وجه الحكمة في ذلك)[١]، حتى أن البعض ذهب إلى تقدير مضاف خروجاً عن الإشكال، فيكون بالتين والزيتون (مثلاً): قسماً برب التين والزيتون[٢].

ولكن وروده في القرآن الكريم وحلفه تعالى بكثير من مخلوقاته يفيد أن هذا أمر سائغ ولا يمت إلى الشرك بصلة ولو كان فيه شائبة ذلك لما اعتمده تعالى أسلوباً ولكان كلامه تعالى أولى بالتحرز منه خصوصاً مع حرص المؤمنين على الاستفادة من القرآن الكريم حتى في استخدام أساليبه، أما ما رووا من أحاديث المنع (على القول بسلامتها من النقد) فهي معارضة بأحاديث أخرى تثبت الجواز والمرجع حينئذ هو الكتاب العزيز المثبت للجواز.

وأمّا في أدلة السُنّة فقد حلف النبي ﷺ في غير مورد بغير اسم اللّه ﷻ:

١ . فقد أخرج مسلم في صحيحه: أنّه جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللّه، أيّ الصدقة أعظم أجراً؟ فقال: (أمَا وأبيكَ، لتُنَبَّأنَّه أن تصدّقَ وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء)[٣].

وقد حلف غير واحد من الصحابة بغيره سبحانه، فهذا أبو بكر بن أبي قحافة على ما يرويه مالك في مُوطّئه: أنّ رجلاً من أهل اليمن أقطع اليد والرجل قدم

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٥٥/١٩.

(٢) وأضافوا الى ما تقدم:

١. إن العرب كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها فنزل القرآن على ما يعرفون.

٢. إن الأقسام إنما تكون بما يعظم المقسم أو يجلّه وهو فوقه، والله تعالى ليس – شيء فوقه، فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته لأنها تدل على بارئ وصانع. ظ: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ٤٧/٤، د. مصطفى ديب البغا وآخر، الواضح في علوم القرآن، ص٢٠٩.

(٣) صحيح مسلم، ٩٤/٣.

فنزل على أبي بكر، فشكا إليه أنّ عامل اليمن قد ظلمه، فكان يُصلِّي من الليل، فيقول أبو بكر: وأبيك، ما ليلُك بليلِ سارقٍ)[١].

ونلحظ كذلك الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قد حلف بغيره سبحانه في غير واحد من خُطبه، فقال:

١. (وَلَعَمْرِي، مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالِ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ وَخَابَطَ الْغَيَّ مِنْ إِدْهَانٍ وَلا إِيهَانٍ)[٢].
٢. (وَلَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَلا بِهِمُ الْعُهُودُ)[٣].

ملحوظة:

نعم.. لا بد في القضاء ورفع الخصومات من الحلف بالله تعالى أو صفاته وذلك لقيام الأدلة على ذلك.

(١) شرح الزرقاني على موطّأ مالك، ١٥٩/٤ برقم: ٥٨٠.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٣و٨٥.
(٣) نهج البلاغة: الخطبة: ٢٣و٨٥.

ثامناً: وقفة مع (لا أقسم):

كثر في موراد عديدة من القسم القرآني، سبق (لا) على (اقسم) كما في قوله تعالى: ﴿**لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿**فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُوم**﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿**لاَ أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ..**﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وما لا تبصرون**﴾[٤] وغير ذلك من الآيات، فما المقصود باللا ولما ذكرت؟

اختلف المفسرون في ذلك على أقوال:

أولاً: أنها نفي للقسم، والمعنى: لا أقسم؛ إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم[٥]، واعترض على هذا القول بأنه (يأباه تعيين المقسم به وتفخيم شأن القسم به)[٦].

ثانياً: أنّ (لا) زائدة، وذلك إن العرب تزيد كلمة (لا) في القسم لتأكيد المعنى وتقويته، وهذا عليه أغلب المفسرين[٧]، كما في قول الشاعر:

تذكرت ليلى فاعترتني صبابة ..... وكاد صميم القلب لا يتقطع

أي يتقطع..، ولكن هل هذا مقبول في كتاب الله؟! محل خلاف.

---

(١) سورة القيامة، الآية: ١.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٧٥.

(٣) سورة البلد، الآية: ١-٣.

(٤) سورة الحاقة، الآية: ٣٨.

(٥) ظ: البغوي، أنوار التنزيل، ٢٩٢/٥.

(٦) أبو السعود، تفسير إرشاد العقل السليم، ١٩٩/٨.

(٧) ظ: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٣٥٠/١٠، الزمخشري، الكشاف، ١٨٩/٤، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٤٤/١٧، الشوكاني، فتح القدير، ٤٣٤/٥.

ثالثاً: أنها نافية، أي أنها تنفي كلاماً سابقاً قد تقدم، ففي سورة القيامة عندما أنكروا البعث قيل لهم ليس الأمر كذلك ثم أستأنف فقال: أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة أن البعث حق. وكقولك: لا والله إن القيامة لحق، كأنك أكذبت قوماً أنكروه.

رابعاً: أن "لا" هي لام الابتداء، والأصل: (فلأقسم) أو (لأقسم) بحسب موقعها في السورة، وأشبعت الفتحة فتولد منها ألف(١).

خامساً: بأن "لا" لنفي القسم كأنه قال: لا أقسم عليك بذلك اليوم وتلك النفس، ولكني أسألك غير مُقسم، أتحسب أنّا لا نجمع عظامك إذا تفرّقت بالموت؟! إن الأمر من الظهور بحيث لا يحتاج الى قسم، وهذا لغرض الاهتمام والتوكيد، كما في قوله تعالى: ﴿**لاَ أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ، وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ، وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ**﴾(٢)، قال الشيخ الطبرسي (ت:٥٤٨هـ): (معناه لا اقسم بهذا البلد وأنت حلّ فيه منتهك الحرمة مستباح العرض لا تحترم فلم يبق للبلد حرمة حيث هتكت حرمتك)(٣).

وفي هذا المعنى قالت الدكتورة بنت الشاطئ (ت:١٩٩٨م): (وفرق بعيد أقصى البعد بين أن تكون (لا) لنفي القسم– كما قال بعضهم– وبين أن تكون لنفي الحاجة إلى القسم، كما يهدي إليه البيان القرآني .. ومن نفي الحاجة إلى القسم يأتي التأكيد، والتقرير؛ لأنه يجعل المقام في غنًى بالثقة واليقين عن الإقسام)(٤).

كما أن تأكيد الأمر عن طريق النفي مألوف في لغة العرب، فإنك إذا قلت لصاحبك: (لا أوصيك بفلان)، فإنما تريد تأكيد التوصية به، وتبالغ في الاهتمام به.

---

(١) ظ: أبو حيان، البحر المحيط، ٢١٢/٨، الشوكاني، فتح القدير، ١٥٨/٥، د. محمد خازر المجالي، الوجيز في علوم الكتاب العزيز، ص٢٤٥.

(٢) سورة البلد، الآية: ١–٣.

(٣) مجمع البيان، ٣٦١/١٠.

(٤) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، ص٥٤.

فتبلغ بالنفي ما لا تبلغه بالأسلوب الصريح المباشر، وكذلك نفي القسم، استعمل في القسم من طريق آكد وأبلغ.

تاسعاً: ما يجري مجرى القسم

يرى بعض المفسرين ان في القرآن الكريم جمل تجري مجرى الأقسام، منها:

١. **تأذّن:** كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ**﴾[١].

تأذن ربك عزم ربك، وهو تنقل من الإيذان؛ وهو الإعلام.. وأجرى مجرى فعل القسم، كعلم الله، وشهد الله؛ ولذلك أجيب بما يجاب به القسم...[٢].

٢. **عاهد:** كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ**﴾[٣].

(عاهدوا الله) بمنزلة القسم، و(لا يولون الأدبار) جوابه». وهذا القسم جاء على الغيبة عنهم، ولو جاء كما لفظوا به لكان التركيب: لا نولي الأدبار[٤].

٣. **تمت:** كما في قوله تعالى: ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾[٥].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٧.

(٢) ظ: الزمخشري، تفسير الكشاف، ١٧٣/٢.

(٣) سورة الاحزاب، الآية: ١٥.

(٤) ظ: أبو حيان الاندلسي، تفسير البحر المحيط، ٢١٩/٧.

(٥) سورة هود، الآية: ١١٩.

الجملة ضمنت معنى القسم، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ..﴾، ثم قال: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾[١].

٤. **قضينا:** كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾[٢].

(لتفسدن): جواب قسم محذوف، ويجوز أن يجري القضاء المبتوت مجرى القسم، فيكون (لتفسدن) جواباً له، كأنه قال: واقسمنا لتفسدن[٣].

٥. **وعد:** كما في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ﴾[٤].

يقول الزمخشري: (فإن قلت: أين القسم المتلقى "باللام" و"النون" في (ليستخلفنهم)، قلت: هو محذوف تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أو نزل (وعد الله) في تحققه منزلة القسم، فتلقى بما يتلقى به القسم، كأنه قيل: أقسم بالله ليستخلفنهم)[٥].

٥. **تتفكروا:** كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾[٦].

---

(١) ظ: أبو حيان الاندلسي، تفسير البحر المحيط، ٢٧٤/٥.
(٢) سورة الاسراء، الآية: ٤.
(٣) ظ: الزمخشري، الكشاف، ٦٤٩/٢.
(٤) سورة النور، الآية: ٥٥.
(٥) الزمخشري، الكشاف، ٢٥١/٣.
(٦) سورة سبأ، الآية: ٤٦.

الوقف عند أبي حاتم وابن الأنباري عند قوله: {ثم تتفكروا}، و{ما بصاحبكم من جنة} نفي مستأنف[١].

قال ابن عطية (ت:٥٤٢هـ): (وهو عند سيبويه جواب ما ينزل منزلة القسم، لأن تفكر من الأفعال التي تعطي التمييز كتبين، ويكون على هذا في آيات الله والإيمان به)[٢].

٧. **كتب:** كما في قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾[٣].

{لأغلبن}: جواب قسم محذوف، وقيل: هو جواب (كتب) لأنه بمعنى قال[٤].

٨. **يعلم:** كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾[٥].

(ربنا يعلم) جار مجري القسم في التوكيد، وكذلك قولهم: شهد الله، وعلم الله[٦].

٩. **يشهد:** كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[٧].

لأن الشهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد، يقول الرجل: أشهد، وأشهد بالله وأعزم وأعزم به في موضع أقسم وبه استشهد أبو حنيفة على أن (أشهد) يمين[١].

---

(١) ظ: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٤٠٢/٥.
(٢) أبو حيان الاندلسي، تفسير البحر المحيط، ٤٤٦/٨.
(٣) سورة المجادلة، الآية: ٢١.
(٤) ظ: أبو البقاء العكبري، إملاء ما مَن به الرحمن، ٢٥٨/٢.
(٥) سورة يس، الآية: ١٦.
(٦) ظ: الزمخشري، الكشاف، ٩/٤.
(٧) سورة المنافقون، الآية: ١.

١٠. **أخذ الميثاق:** كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾[٢].

أخذ اليمين استحلاف[٣].

١١. **أم لكم أيمان:** كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾[٤].

معنى (أم لكم أيمان) أم أقسمنا لكم[٥].

وبهذا نكتفي بما تقدم ذكره عن (الأقسام في القرآن الكريم).

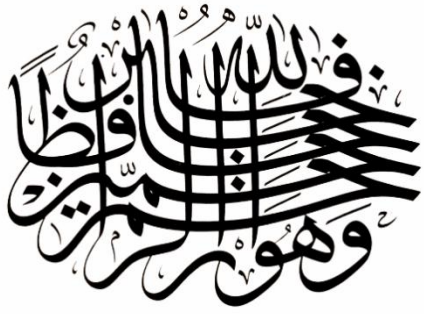

(١) ظ: الزمخشري، الكشاف، ٥٣٨/٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٣) ظ: أبو البقاء العكبري، إملاء ما مَن به الرحمن، ٧٩/١.

(٤) سورة القلم، الآية: ٣٩.

(٥) ظ: أبو حيان الاندلسي، تفسير البحر المحيط، ٣١٥/٨. للتوسعة في الأمثال ظ: محمد عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ٢٤٨/١٠.

الفصل الرابع

أسلوب المجادلة في القرآن الكريم

الفصل الرابع:

علم المجادلة في القرآن الكريم

يعد الجدل من طبائع الإنسان التي فُطر بها، ﴿**وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا**﴾(١) فهو آثر ميلاً للجدل والمناقشة، وحينما تطرق القرآن إلى الحديث عن هذا الموضوع أُقر لكونه طبيعة من طبائع الإنسان وأمره بذلك لكن في نفس الوقت قيد هذا الأمر بالوجهة الصحيحة والحسنة للجدل.

إذ ان الجدل مدعاةَ إثارة، ومظنة هياج، يدفع إلى المخاشنة والسخرية، ويغري بالاجتراء على الحقيقة واستباحة طمسها بالحيلة والافتراء، وربما دفع إلى القتال والانتقام، وهيهات مع هذه الملابسات أن يبلغ الجدل منتهاه، ويؤتي ثمرته المرجاة إلا مع الحلم، وإحسان الظن، ورياضة النفس على الصبر والاحتمال.

من أجل ذلك يؤدب الله عباده في شخص رسوله الكريم بما يكفل للجدل أن يصل إلى الحقيقة التي دعتهم إليه، فيقول سبحانه: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾(٢)، ويقول: ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آَمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾(٣)، فلم يكتف القرآن في هذه الآية بحثِّ المؤمنين على أن يكون جدالهم لأهل الكتاب بالتي هي أحسن، ولكنه زاد فحث الرسول على مودتهم واستمالة قلوبهم، والمجاهرة بأنهم يؤمنون بما أنزل إليهم وما أنزل إلى

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٥٤.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٦.

أنبيائهم، وأنهم وإياهم يعبدون إلهًا واحدًا لا خلاف عليه، وينهى عن الجدال في الحجِّ، ويَجعله فيما ينهى عنه قرين الرفث[١] والفسوق[٢]، فيقول: ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ**﴾[٣]، وهذه الثلاثة قبيحة مستهجنة في غير الحج، لكن تخصيص الحج يجعلها فيه أشدَّ قبحًا واستهجاناً.

أولاً: تعريف الجدل في اللغة والاصطلاح:

في **اللغة:** جدَلَ الجيم والدّال واللاّم أصل واحد، وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام[٤]. وأصله من جدلت الحبل، أي: أحكمت فتله ومنه: الجدال، فكأن المْتَجَادِلَين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه.

الجدل في **الاصطلاح:** هو (في الأصل فن الحوار والمناقشة)[٥].

الجدل القرآني هو: براهينه وأدلته التي اشتمل عليها وساقها لهداية الناس وإلزام المعاندين في جميع ما هدف إليه من المقاصد التي يُريد تحقيقها وترسيخها في أذهان الناس من جميع أصول الشريعة وفروعها[٦].

---

(١) الرفث: الفحش في القول.

(٢) الفسوق: مجاوزة حدود الشريعة.

(٣) سورة الحج، الآية: ١٩٧.

(٤) ظ: ابن فارس، كتاب مقاييس اللغة، ٣٣/١.

(٥) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ٣٩١/١. ظ: محمد التومي، الجدل في القرآن الكريم فعاليته في بناء العقلية الإسلامية، ص١٤. د. زاهر عوض الألمعي، مناهج الجدل في القرآن، ص٢٠.

(٦) ظ: زاهر الالمعي، مناهج الجدل في القرآن، ص٢١.

لذا فإن كل محاورة فكرية وردت في القرآن الكريم داخلة في جدل القرآن فهي وان لم تكن بلفظ الجدل فهي بمعناه اللغوي.

إذ الحوار أهم وأنجح الوسائل التي يستخدمها المرء لتحقيق أهدافه والتعبير عن أفكاره، ولذلك نجد أن القرآن الكريم اعتمد كثيراً على هذا الأسلوب في عرض الأحداث قصيرها وطويلها، فالقرآن –بلا شك– يرسم منهجاً متكاملاً للحوار، وقد تميّز القرآن بهذا الأسلوب فقد أتى لنا بنماذج وأمثلة تشمل كل أنماط الحوار المعروفة أو المقصورة في الذهن حتى قال بعض المفسرين: (القرآن كتاب حوار)[١].

وتأتي المناظرة بمعنى المجادلة المحمودة وهو استخراج الصواب، ولا يبعد أن يقال إن علم الجدل هو علم المناظرة والحوار لأن المآل منهما واحد.

ثانياً: النظرة التاريخية: أول من سن الجدال: هم الملآئكة، وهو الواضح في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلآئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[٢]. كما ذكر بعده جدال إبليس لله تعالى، ونلحظ أن جدال الملآئكة كان طاعةً لله ﷻ، بينما جدال إبليس تكبراً.

ثالثاً: أنواع الجدل في القرآن الكريم:

١– جدال محمود، وهو الجدال المحمود يكون ممدوحاً شرعاً إذا قصد به تأييد الحق أو إبطال الباطل أو أفضى إلى ذلك بطريق صحيح ومن أمثلته في

---

(١) محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن الكريم، المقدمة.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ، وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾(١)

٢- جدال مباح، مثاله في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ..﴾(٢).

٣- جدال مذموم، وهذا الجدال ينقسم إلى:

١. جدال بغير علم، ومثاله في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾(٣).

٢. جدال لنصرة الباطل بالشغب والتمويه بعد ظهور الحق، كما قال تعالى: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾(٤).

٣. جدال الطريق المسدود: وهو الحوار الذي تعلن النتيجة فيه منذ البداية ولا يستمع فيه إلى رأي الطرف الآخر، ومما في القرآن من هذا النوع حوار ابني آدم في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾(٥)، فقد أعلنت النتيجة أولا وكانت النهاية كذلك.

٤. الجدال الإلغائي (التسفيهي): وهو الحوار الذي يسير به أصحابه إلى حصر الصواب في جهتهم فلا رأي إلا رأيهم، ولعل من ذلك مقولة فرعون لقومه: ﴿قَالَ

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ١.

(٣) سورة الحج، الآية: ٣.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٢١-٢٢.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٢٧.

﴿فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[١]، ولا يكتفي أصحاب هذا اللون بذلك بل يعمدون إلى تسفيه كل وجهة نظر تخالفهم، ومن ذلك مقولة فرعون عن موسى عليه السلام: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ﴾[٢]. فهو بهذا أراد ازدراء النبي عليه السلام وتنقيصه في أعين الناس.

٥. الجدال السلبي التعجيزي: وهو الحوار الذي ينظر فيه إلى سلبيات الطرف الآخر ويعمد فيه إلى إبرازها ولو كانت عيوباً لفظية، وينتهى فيه إلى عدم تحقيق أي فائدة، وهذا النوع من الجدال يترك نوعاً من الإحباط لدى أحد أو كلا الطرفين المتحاورين، كما أنه يوصد كل باب قد يوصل إلى نتائج، ولعل من هذا النوع مقولة كفار مكة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٣]، إذ ليس غرضهم الوصول إلى الحق بدليل ما طلبوا وإلا لقالوا إن كان هذا هو الحق فإننا سنتبعه.

٦. الجدال السلطوي: وهو الحوار الذي يستخدم فيه المحاور سلطته في تهديد الطرف الآخر، ويظهر فيه إلغاء كيان الطرف الآخر، ومنه حوار فرعون مع السحرة حين خروا سجداً: ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ وانظر إلى ردهم عليه: ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾[٤].

---

(١) سورة غافر، الآية: ٢٦.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٥٢.

(٣) سورة الانفال، الآية: ٣٢.

(٤) سورة طه، الآية: ٧٢.

٧. الجدال المبطن: وهو الحوار الذي يستخدم فيه أحد الأطراف المحاورة بعض الألفاظ فيجعل منها أداة للسخرية بالطرف الآخر، ولعل من ذلك مقولة فرعون: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾(١).

رابعاً: طرق الاستدلال في القرآن الكريم

ذكر القرآن الكريم جملة من طرق الاستدلال في إثبات الحق وترسيخه عند من يعرفه، ويراعي الأسلوب النفسي والحواري البياني وغيره فيمن نفسه تمانعه، ودحض شبهة المنحرفين وإقامة الحجة الدامغة واثبات الحق على المخالفين(٢)، وطرق الاستدلال متنوعة نوجز الكلام على بعض منها وعلى النحو الآتي:

أولاً: ما يسوقه القرآن الكريم من الأدلة ابتداء: من الآيات الكونية، المقرونة بالنظر وبالتدبر، وذلك للاستدلال على أصول الدين كوحدانية الله ﷻ، وأصل النبوة وأصل المعاد، وهذا الطريق كثير في القرآن المجيد..

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا للهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٣).

---

(١) سورة القصص، الآية: ٣٨.

(٢) للتوسعة ظ: موسى إبراهيم موسى، بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم، ص٢٠٢، عبد الله بن يوسف الجديع، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ص٣٧٤، د. زاهر بن عواض الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، ص١٢٣، د. علي بن سليمان العبيد، الوجيز في علوم القرآن العزيز، ص٣١٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٥٦.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾(٢).

ثانياً: ما يرد به على الخصوم: وهذا ما يسمى بالجدل وله طرق كثيرة منها:

١. **السبر والتقسيم:** معنى السبر والتقسيم، أن تحصر أوصاف الموضوع الذي هو محل البحث وجزئياته وجميع الاحتمالات الواردة فيه ثم يُعاد النظر في هذه أوصاف ويرد عليها واحدة واحدة حتى يسلم الوصف الصحيح منها وتتجلى فيه الحقيقة المطلوبة بوضوح تام.

ولا شك أن هذا المسلك من أهم أنواع الاستدلال وإقامة الحجة، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾(٣).

ألا ترى ما أحسن مأخذ هذا الكلام وألطف مغزاه، فإنه أخذهم على طريقة التقسيم فقال: لا يخلو هذا الرجل من أن يكون كاذباً، فكذبه يعود عليه ولا يتخطاه.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠-١٩١.

(٢) سورة يس، الآية: ٨١.

(٣) سورة غافر، الآية: ٢٨.

وإن كان صادقاً فيصيبكم بعض الذي يعدكم إن تعرضتم له، فلا أفضل لكم من أن تتركوه وشأنه ولا تتعرضوا له بالأذى. والشاهد في الآية واضح.

٢. **التسليم الجدلي:** هو أن يفرض المحال إما منفياً أو مشروطاً بحرف الامتناع ليكون المذكور ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه ثم يسلم وقوع ذلك تسليماً جدلياً، ويدل على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه كقوله تعالى: ﴿**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾(١).

٣. **الجدل على طريقة الحوار:** ويقصد بهذا النوع من الجدل العظة والعبرة والإرشاد لما هو أقوم من العقائد والأخلاق وذلك كحوار النبي إبراهيم عليه السلام عندما قال فيما يحكي الله عنه: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾(٢).

إنه حوار يجتث جذور الأحاسيس التي قد تخطر بالنفس البشرية حول حقيقة البعث والنشور ولئلا يستغرب الإنسان هذه الخواطر والمشاعر في نفسه ولا يجرؤ على إظهارها، فها هو أبو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام يحاور فيها ربَّه ويجيبه الله عز وجل إجابة حسية يراها بعينه ويسجلها القرآن الكريم درساً يتعظ به المؤمنون الى قيام الساعة.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٩١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

٤. **قياس الخلف:** وهو إثبات المطلوب بإبطال نقيضه، وذلك في قوله ﷻ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[١]. ويسمى هذا الدليل برهان التمانع أيضاً.

ومن أمثلته أيضاً في القرآن الكريم: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾[٢]. ففي الآية الأولى تعدد الآلهة باطل لأنه يورث الفساد فثبت أن الله ﷻ واحد. وفي الآية الثانية الاختلاف والتناقض باطل لا وجود له في القرآن الكريم فثبت نقيضه وهو أنه محكم معجز فهو لذلك كلام الله ﷻ[٣].

٥. **مطالبة الخصم بتصحيح دعواه:** وذلك كدعوى اليهود بأنهم لن تمسهم النار إلا بقدر الأيام التي عبدوا فيها العجل فردّ الله عليهم بقوله ﷻ: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٤]، وإذا انتقضت الدعوى وتبين فسادها فقد هزم صاحبها وخذل وتوضحت الحقيقة بعكس ما كان يدعية.

٦. **الاستدلال بالقصص القرآني:** وذلك في موارد كثيرة في القرآن الكريم منها على سبيل المثال قصة نبي الله إبراهيم ﷺ وكيف جادل قومه لإبطال عبادة الأصنام والكواكب كما حكى الله ﷻ عنه في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾[٥]، وكذلك ما يقصه الله علينا

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٣) ظ: زهران الالمعي، مناهج الجدل في القرآن، ص٧٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٨٠.

(٥) سورة الانعام، الآية: ٧١.

من مواقف النبي موسى عليه السلام مع فرعون والنبي يوسف عليه السلام مع صاحبي السجن وغير ذلك من القصص المعبر الذي سلك فيه الأنبياء عليهم السلام أقوم الطرق لإقامة الحجة على أقوامهم، وعلينا أن نستفيد من تلك المواقف والحجج ما ندعم به أسلوبنا في الدعوة الى الله تعالى ولإقامة الحجة على الناس وطلب هدايتهم الى دين رب العالمين.

٧. **إلزام الخصم بما يعترف به هو مما هو شاهد محسوس:** وذلك كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾(١)، وهل أقوم من ذلك حجة في بيان أحقية تفرد الله وحده بالربوبية والإلهية وأن جميع ما يعبدون من دونه أحقر من أن يخلقوا ذباباً، بل يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه!!

٨. **عرض شبهة الكافرين والرد عليها:** وذلك ان يستعرض شُبهة الكافرين والمعاندين واعتراضاتهم الباطلة التي يتشبثون بها ويفندها ويرد عليها ويوضح خوائها وفسادها ويضع أصحابها أمام الحقيقة، فإما أن يتبعوها، وإما أن يظلوا هائمين على الأوهام.

مثال ذلك الرد على الكافرين في إنكار البعث بعد الموت ما نلحظه في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾(٢)

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٣.

(٢) سورة الحج، الآية: ٧٣.

في سبب النزول نُقل عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: (جاء أبي بن خلف (أو العاص بن وائل) فأخذ عظماً بالياً من حائط ففته ثم قال: إذا كنا عظاماً ورفاتاً إنا لمبعوثون خلقاً؟)[١]، فكان سبب نزول الآية رداً عليه، ومهما كان سبب نزولها فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فتلك دعوى الكافرين وهذا ردُّ الله عجل عليها ولا يحتاج الأمر الى مزيد من الشرح والإيضاح ولكن مجرد التأمل في قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، كافٍ وشافٍ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

٩. **المناقضة:** هي تعليق أمر على مستحيل، إشارة الى استحالة وقوعه، كقوله تعالى: ﴿وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ﴾[٢].

خامساً: ضوابط وآداب الجدال من القرآن الكريم:

وهناك ضوابط وآداب للمجادلة بالتي هي أحسن[٣]، وهي:

أولاً: إخلاص النية لله عجل، فالداعية إلى الله تعالى لا يبتغي من وراء الجدال المفروض عليه إلّا مرضاة الله عجل، والوصول إلى الحق المبين، بعيداً عن المباهاة والرياء، قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبادِ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولئِكَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللهُ وَأُولئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ﴾[٤].

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ٤٢/٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٤٠.

(٣) للتوسعة ظ: إبراهيم محمد مرزوق، قواعد الجدل وآدابه في القرآن الكريم، ص٦٠، يوسف عمر العساكر، الجدل في القرآن خصائصه ودلالاته-جدال بعض الأنبياء مع أقوامهم انموذجا-، ص١٢٠، د. زاهر الالمعي، مناهج الجدل في القرآن، ص٤٣١، مجاهد محمود أحمد، منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة، ص١٧٨.

(٤) سورة الزمر، الآية: ١٧-١٨.

ثانياً: الاحتجاج على المخالف بالأدلة التي يعتقدها؛ فإنّ ذلك أقرب لفهمه، وأدعى إلى حصول المراد من المجادلة.

ثالثاً: أن تكون الأدلة والبراهين واضحة، تعطي مدلولاً محدداً؛ بحيث لا يترك الداعية إلى الله ﷻ سبيلاً للمخالف يتفلت من خلاله، أو حجة يتمسك بها، أو شبهة يستأنس بها على باطله.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(١).

رابعاً: أن تكون المجادلة في إطار الأدب والخلق، وألّا تؤدي إلى الخصام والملاسنة؛ وتبتعد عن تحقيق المقصود.

فالمجادلة بالحسنى هدفها هداية الخلق، وقصد الحق، وليس إفحامهم والغلبة عليهم. قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٢). ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾(٣).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

(٢) سورة الانعام، الآية: ١٠٨.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

خامساً: أن تكون المجادلة مبنية على الرفق واللين وحسن الإقناع وسعة الصدر. فإنّ ذلك أدعى إلى تهدئة نفوس المخالفين، والتقليل من تعصبهم وعنادهم، وتكون مدعاة لتفلتهم من الحق، وانصرافهم عن مجلس الدعوة.

فقد أمر الله ﷻ موسى وهارون "عليهما السلام" أن يخاطبا فرعون رمز الكبر والجحود بلين الجانب مع الرفق وغاية التلطف، فقال تعالى: ﴿**فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ**﴾(١).

سادساً: أن تكون المجادلة مبنية على العلم والمعرفة. فلا يصح من الداعية الدخول والمدافعة عن أمر أو حكم وهو غير عالم به، محيطٌ بجميع أبعاده؛ لئلا يتيح للمخالفين الفرصة في الطعن في أفكاره ومعتقداته؛ فتصبح المفسدة المترتبة على هذا الجدال تفوق بكثير المصلحة المقصودة. قال تعالى: ﴿**قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾(٢).

سابعاً: إشعار المخالف أنّ المقصود من مجادلته هو الوصول إلى الحق والصواب، بعيداً عن المراء، أو المساس بشخص المخالف أو مكانته.

فقد ذمّ الله ﷻ المكذبين بحقيقة عيسى ﷺ؛ حيث رفضوا الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأخذوا يجادلون فيه، ويشككون في الحق بعد ظهوره. قال تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ**﴾(٣).

ثامناً: إنصاف المخالف، وإنزاله منزلته، والثناء عليه عند الصواب، ونصحه إذا أساء. قال تعالى: ﴿**وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾(١).

---

(١) سورة طه، الآية: ٤٤.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٣) سورة مريم، الآية: ٣٤.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(٢).

تاسعاً: الإشفاق على المخالفين، والرحمة بهم، والتودد إليهم، وإظهار الحرص على استنقاذهم من باطلهم، وحمايتهم من أنفسهم. يظهر هذا المعنى في جدال مؤمن آل فرعون لقومه. قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ، مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ، وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ، يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾(٣).

عاشراً: التعلم والتفقه والتثقف..، في الوقت الذي نهى فيه القرآن الكريم عن الجدال مع الخصوم بغير أدلة دامغة، لأن ذلك مما يزيد من عداوتهم وتعصبهم؛ فإنه في الوقت نفسه حث على التفقه والتثقف، فما طلب الله من نبيه ﷺ زيادة في شيء كما طلب منه الزيادة في العلم، قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(٤)، ووجود طبقة مثقفة متفقهة في الدين: تعرف ما هو مطروح في الساحة من أفكار وشبهات، وتحسن التصدي لها؛ فيه إعزازاً لكلمة الحق في عصر عاد فيه الدين غريباً..، قال النبي الخاتم ﷺ: (أربعة تلزم كل ذي حجى وعقل من أمتي، قيل: يا رسول الله ما هن؟ قال: استماع العلم، وحفظه، ونشره، والعمل به)(٥).

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٨٣.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٨.

(٣) سورة غافر، الآية: ٣٠-٣٣.

(٤) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٥) المجلسي، بحار الانوار، ١٦٠/٧٤.

أخيراً نختم كلامنا في علم الجدل بالقول: ان منهج القرآن الكريم هو منهج الحجة الكبرى تحت قاعدة: ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[1]، وفيه من الأدلة والمناهج ما يقنع الناس جميعاً على اختلاف أصنافهم وتباين أفهامهم، وتفاوت مداركهم، لذلك تميز أسلوبه الفكري والبياني بنورانية المعنى وبيان الحق، بحيث لا يعلو على مدارك طائفة بعد بيان النبي ﷺ. فالقرآن بهذا المنهج الاستدلالي في طلب الحق قد استعمل الجدل والاستدلال والبيان، بمختلف الطرق البرهانية الملائمة للإقناع بالحقائق.

(١) سورة البقرة، الآية: ١١١.

وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم

الفصل الخامس

أسلوب الفاصلة القرآنية

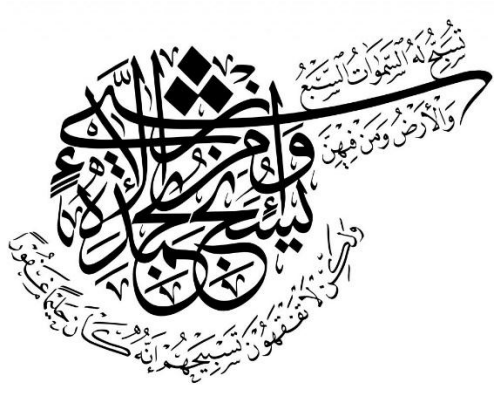
تسبح له السموات السبع
والأرض ومن فيهن
وإن من شيء إلا يسبح بحمده
ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا

الفصل الخامس:

أسلوب الفاصلة القرآنية

القرآن كما هو معجز في مضمونه، فهو معجز في أسلوبه، ومن أساليب القرآن المعجزة، وتراكيبه المبدعة الكلمات التي تُختم بها آياته، وتسمى فواصل القرآن.

أولاً: الفاصلة في اللغة والاصطلاح:

الفاصلة في اللغة: دالة على معان أهمها: بون بين الشيئين، والقطع، والقضاء بين الحق والباطل، والحاجز بين الشيئين(١).

الفاصلة في الاصطلاح: وردت لها عدة تعريفات متقاربة في المضمون، نختار منها ما عرفه بها الرماني (ت:٣٨٤هـ) بقوله: (الفواصل حروف متشاكلة في المقطع توجب حسن إفهام المعاني)(٢).

والفواصل جمع فاصلة، والفاصلة القرآنية: هي آخر كلمة في الآية، وهي بمثابة السجعة في النثر، وبمنزلة القافية في الشعر.

وتقع عند الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي انفرد القرآن بها عن سائر الكلام، وسُمّيت فواصل، لأنه ينفصل عندها الكلامان، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها.

ولعل هذه التسمية أُخذت من قوله تعالى: ﴿**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ**﴾(٣)، وقوله سبحانه: ﴿**كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾(٤).

---

(١) ظ: ابن منظور، لسان العرب، مادة فصل.
(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص٩٧.
(٣) سورة هود، الآية: ١.
(٤) سورة فصلت، الآية: ٣.

ثانياً: الفرق بين الفاصلة والقافية والسجع:

الفاصلة من الناحية البلاغية أقرب إلى مفهوم القافية في الشعر، والسجع في النثر من جهة تشابه الحروف أو تقاربها في المخرج، ولكنّها تختلف عنهما من جهة المقصد والمرجعية، وقد ذكر السيوطي كلاماً بهذا الصدد حاصله؛ أنه لا يجوز تسمية الفواصل القرآنية قوافي إجماعاً؛ لأن الله تعالى لما سلب عن القرآن اسم الشعر، وجب سلب القافية عنه أيضاً؛ لأنها منه وخاصة به، فكما يمتنع استعمال القافية في القرآن، يمتنع استعمال الفاصلة في الشعر؛ لأنها صفة لكتاب الله تعالى، فلا تتعداه(١).

وهذا ما أكده ابن عاشور (ت:١٩٧٣م) في قوله: (وما بني عليه أسلوب القرآن من تساوي الفواصل، لا يجعلها موازية للقوافي، كما يعلمه أهل الصناعة منهم، وكل من زاول مبادئ القافية)(٢).

وعليه لابد من التفريق في الكلام العربي، وانه ليس على شاكلة واحدة، وان القرآن الكريم ليس بشعر أو نثر، وهذا ما اعترف به كبار الأدباء قديماً وحديثاً، ونذكر هنا شهادة رجلين من الأدباء الدكتور طه حسين (ت:١٩٧٣م) في قوله: (ولكنكم تعلمون أن القرآن ليس نثراً، كما أنه ليس شعراً، إنما هو قرآن، ولا يمكن أن يسمَّى بغير هذا الاسم، ليس شعراً، وهذا واضح، فهو لم يتقيد بقيود الشعر، وليس نثراً؛ لأنه مقيّد بقيود خاصة به، لا توجد في غيره، وهي هذه القيود التي يتصل بعضها بأواخر الآيات، وبعضها بتلك النغمة الموسيقية الخاصة، فهو ليس شعراً، ولا نثراً، ولكنه: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾(٣)، فلسنا نستطيع أن نقول: إنه نثر، كما نص على أنه ليس شعراً)(٤).

---

(١) ظ: الاتقان في علوم القرآن، ٢٦٢/٢.
(٢) تفسير التحرير والتنوير، ٢٦٢/٢٢
(٣) سورة هود، الآية: ١.
(٤) من حديث الشعر والنثر، ص٢٧.

وشهادة أستاذنا الدكتور محمد حسين الصغير، إذ قال: (ان الكلام العربي – مطلقاً– على ثلاثة أنواع: قرآن، نثر، شعر، فليس القرآن نثراً وإن استعمل جميع أساليب النثر عند العرب، وليس القرآن شعراً وإن اشتمل على جميع بحور الشعر العربي)[١].

فتبين مما سبق أن القرآن كلام الله تعالى، أحكم آياته، وفصَّلها، وبيَّنها، بكلام عربي مبين، وليس هو على طريقة ما عرفه العرب من الشعر، والنثر، بل هو قرآن، قسم خاص، لا يشبه الشعر والنثر، ولا يشبهانه.

ويبدو مما سلف: أن نهاية بيت الشعر تسمى قافية، ونهاية جملة النثر تسمى سجعاً في الأسجاع، ونهاية الآية تسمى فاصلة.

ثالثاً: أنواع الفواصل:

أولاً: تقسيم الفواصل باعتبار المتماثل والمتقارب في الحروف:

ويلاحظ أن فواصل القرآن الكريم إما أن تكون متماثلة أو متقاربة:

١. الفاصلة المتماثلة الاتفاق في الصوتين الآخرين، ومثاله في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾[٢]، فالصوتان (الراء والكاف) مشتركان في صفة الانفتاح والاستفال ما جعلهما ينسجمان مع جو الحنان والرحمة ومظاهر الرعاية الربانية التي انعكست على الفاصلة فتمخّضت عنها موسيقى شجية وأداء سام. وقد ورد هذا التلوين الصوتي ليعبّر عن الضيّق والكيّد اللذيْن أثقلا كاهل الرسول ﷺ.

(١) مصطلح الفاصلة في القرآن، ص١٤٣.
(٢) سورة الانشراح، الآية: ١-٤.

٢. الفاصلة المتقاربة؛ والتي من صورها الميم مع النون مثالنا في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[١]، وفي ترتيب الصفتين (الرحمن والرحيم) الانسجام بين الصوتين وهذا ما تدركه الفطرة، فلو تقدّمت صفة على أخرى لكان التقسيم مضطرباً نفس الشيء، مع (مالك يوم الدين)، فالتقارب بين الصوتين (الميم والنون) في صفات كالجهر والغنّة والتوسط منح الآيتين نظماً بديعاً وبناء مخالفاً للشعر والنثر.

ويرى الزركشي أن فواصل القرآن الكريم لا تخرج عن هذين القسمين بل تنحصر في المتماثلة والمتقاربة؛ وبناء على ذلك رجّح مذهب الشافعي على مذهب أبي حنيفة في عد الفاتحة سبع آيات مع البسملة وذلك لأن الشافعي المثبت لها في القرآن قال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ﴾ إلخ السورة آية واحدة وأبو حنيفة لما أسقط البسملة من الفاتحة قال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آية و﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ آية. قال: ومذهب الشافعي أولى لأن فاصلة قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، لا تشابه فاصلة الآيات المتقدمة ورعاية التشابه في الفواصل لازم وقوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، ليس من القسمين فامتنع جعله من المقاطع وقد اتفق الجميع على أن الفاتحة سبع آيات لكن الخلاف في كيفية العَدّ.

ثانياً: تقسيم الفواصل إلى متوازٍ ومُطرَّف ومتوازن:

قال الزركشي: وأشرفها المتوازي وهو أن تتفق الكلمتان في الوزن وحروف السجع كقوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾[٢].

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٣-٤.
(٢) سورة الغاشية، الآية: ١٣-١٤.

والمطرف أن يتفقا في حروف السجع لا في الوزن كقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ للهِ وَقَارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾(١).

والمتوازن أن يراعى في مقاطع الكلام الوزن فقط دون حرف الفاصلة مثل قوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ. وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾(٢). وقد تتوازن كلمتان لا كلمة واحدة في الفاصلة نحو قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾(٣) فلفظ الكتاب والصراط متوازنان ولفظ المستبين والمستقيم متوازنان.

ثالثاً: تقسيم الفواصل إلى فواصل متمكنة وموشَّحة ومُوغِلة ومُصدَّرة:

فهذه أربعة أشياء: التمكين والتوشيح والإيغال والتصدير:

الأول: التمكين: وهو أن يُؤتى قبلها بتمهيد تأتي به الفاصلة متمكنةً في مكانها، مستقرةً في قرارها، مطمئنةً في موضعها، غيرَ نافرة ولا قلقة، متعلقاً معناها بمعنى الكلام كله تعلقاً تاماً بحيث لو طرحت اختل المعنى واضطرب الفهم، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً﴾(٤)، فإن الكلام لو اقتصر فيه على قوله: ﴿وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾، لأوهم ذلك بعض الضعفاء موافقة الكفار في اعتقادهم أن الريح التي حدثت كانت سبب رجوعهم ولم يبلغوا ما أرادوا وأن ذلك أمر اتفاقي فأخبر سبحانه في فاصلة الآية عن نفسه بالقوة والعزة ليزيد المؤمنين يقيناً وإيماناً بأنه الغالب الممتنع وأن حزبه كذلك، وليعلم الذين كفروا أن تلك الريح التي هبّت ليست عبثاً بل هي من إرساله سبحانه على أعدائه.

---

(١) سورة نوح، الآية: ١٣.
(٢) سورة الغاشية، الآية: ١٦.
(٣) سورة الصافات، الآية: ١١٧.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٢٥.

الثاني: التصدير: وهو أن تأتي كلمة في صدر الآية ثم تختم الآية بفاصلة من مادتها المعجمية وترتبط بها بعلاقة دلالية هي السببية في الغالب، نحو قوله تعالى: ﴿**لا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِّ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى**﴾(١). وقوله تعالى: ﴿**فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً**﴾(٢). وقوله تعالى: ﴿**خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ**﴾(٣). وقوله: ﴿**فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَّ يَتُوبُ عَلَيْهِ**﴾(٤). وقوله: ﴿**فَمَا كَانَ اللهُّ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾(٥).

الثالث: التوشيح: ويسمى به لكون نفس الكلام يدل على آخره، فنزل المعنى منزلة الوشاح ونزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح اللذين يجول عليهما الوشاح؛ ولهذا قيل فيه إن الفاصلة تعلم قبل ذكرها. كقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُّ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾(٦)، وقوله ﷻ: ﴿**وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ**﴾(٧) فإنه من كان حافظاً لهذه السورة متيقظاً إلى أن مقاطع فواصلها النون المُردَفة وسمع في صدر هذه الآية: ﴿**وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ**﴾ علم أن الفاصلة (**مُظْلِمُونَ**) فإن من انسلخ النهار عن ليله أظلم.

الرابع: الإيغال: وسمى به لأن المتكلم قد تجاوز المعنى الذي هو آخذ فيه وبلغ إلى زيادة على الحد. يقال أوغل في أرض كذا: إذا بلغ منتهاها؛ فهكذا المتكلم إذا تم معناه ثم تعداه بزيادة فيه فقد أوغل. ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ**

---

(١) سورة طه، الآية: ٦١.
(٢) سورة الاسراء، الآية: ٢١.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٣٧.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٣٩.
(٥) سورة التوبة، الآية: ٧٠.
(٦) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.
(٧) سورة يس، الآية: ٣٧.

﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾[١] فإن المعنى قد تم بقوله: ﴿وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ ثم أراد أن يُعلم تمامُ الكلام بالفاصلة فقال: ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾؛ ذلك أنه لما أخبر الله تعالى عنهم أنهم صم لا يسمعون أراد تتميم المعنى بذكر توليهم في حال الخطاب لينفي عنهم الفهم الذي يحصل من الإشارة، فإن الأصم يفهم بالإشارة ما يفهم السميع بالعبارة إذا كان مقبلاً، فإذا أدبر عنك فقد فاتت كل سبل الإفهام.

رابعاً: تاريخ التأليف في علم الفواصل القرآنية والبحث فيها:

يمكننا تتبع التأليف في فواصل القرآن الكريم على مراحل:

المرحلة الأولى: تمثلت في إشارات متناثرة لدى النحويين وخاصة أصحاب كتب (معاني القرآن)؛ إذ نجد إشارات في معاني القرآن، للأخفش (ت:٢١٥هـ) ومعاني القرآن للزجاج (ت:٣١١هـ)، ووجدت تلك الإشارات صدى لها في كتب النحاة فيما بعد كما في البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت:٧٤٥هـ).

المرحلة الثانية: تخصيص باب أو فصل في كتاب عن فواصل القرآن ورؤوس الآي، كما في (البرهان في علوم القرآن) للزركشي (ت:٧٩٤هـ) (أواخر القرن الثامن الهجري) حيث تحدث عن النوع الثالث من علوم القرآن وهو: معرفة الفواصل ورؤوس الآي، وتابعه في ذلك السيوطي (ت:٩١١هـ) في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) مقتبساً كثيراً مما ذكره الزركشي في بابه المتقدم.

المرحلة الثالثة: تخصيص كتاب متكامل عن فواصل القرآن، نحو شرح الشيخ رضوان المخللاتي (ت:١٣١١هـ) المعروف بـ (القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز) تحقيق: عبد الرزاق موسى، نشر في المملكة العربية السعودية، ١٩٩٢م.

---

(١) سورة الروم، الآية: ٥٢.

المرحلة الرابعة: تناوُل الفواصل تناولاً علميّاً أكاديميّاً من خلال بحوث علمية أو كتب علمية رصينة أو فصول في كتب، ألّفها عدد من المتخصصين؛ منها (على سبيل المثال لا الحصر):

١. دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية، د. عبد الجواد محمد طبق، (دار الأرقم، القاهرة، ١٩٩٣م).
٢. فواصل الآيات القرآنية، د. كمال الدين المرسي، (المكتب الجامعي الحديث، الأسكندرية، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م).
٣. الصوت اللغوي في القرآن، د. محمد حسين الصغير، (دار المؤرخ العربي، بيروت، ٢٠٠٠م).
٤. البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م).
٥. إيقاع الفواصل المنفردة: دراسة دلالية في القرآن الكريم، د. محروس بريك، (نُشر بمجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، العدد ٦٥، ٢٠١٢م).
٦. الفاصلة القرآنية: حقيقتها، أنواعها، آثارها، السيد علي محمد حسين البطاط، (رسالة ماجستير، جامعة آل البيت ع العالمية، ١٤٣٩هـ).

ومما تقدم يكفينا الكلام عن تفصيل القول في تحديد الفاصلة ومكانها من حيث كونه توقيفية أم اجتهادية، فهي مسألة ليس فيها تنصيص، ولا يُبنى عليها اعتقاد أو عمل. وان كان الراجح انها توقيفية.

الفصل السادس

أسلوب الخطاب في القرآن الكريم

الفصل السادس:

أسلوب الخطاب في القرآن الكريم

منذ نزول الوحي، شهد أسلوب الخطاب القرآني اهتمام العرب، فخر جبابرة البيان صاغرين لبلاغته؛ لأنه كلام الخالق المعجز.

فمَن تأمَّلَ الخطابَ القرآنيَّ في أسلوبه وبلاغته، وفي تصريفه وتنويعه، لحظ في كل كلمة فيه لها وقع على النفوس، وكل عبارة تجمع هذه الكلمات تصور لنا معنى كاملاً بشكل دقيق.

واستبانَ له أيضاً وجهٌ بديعٌ مِن أَوجُه الإعجازِ القرآنيِّ، وخَصِيصَةٌ مِن خصائصه الأكيدة، وبيانُ ذلك في شمولية الخطاب القرآني لجميع أصناف المخاطَبين، على اختلاف أجناسهم، وأمْكِنَتِهم، ومِلَلِهم.

ولا غرو ان يعد السيوطي (ت:٩١١هـ) النوع الحادي والخمسون من أنواع علوم القرآن في وجوه مخاطباته، إذ تكمن **أهمية** هذا العلم في كونه طرف من علم توجيه القول العام إلى جهته الخاصة ومن لم يعلم جهة الكلام لا يصيب تأويله الصحيح، فكان ذلك مفتاحاً لفهم التأويل ونظم الحديث، والجهل به من أكبر مثارات الخبط، والتخليط، وتقليب المعنى.

ولهذا سنحاول في هذا الفصل بيان معالم الخطاب القرآني من حيث خصائصة وأوجهه الخطابية، وعلى النحو الآتي[١]:

---

(١) للتوسعة ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٣٤٩/٢، السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ٢٠/٢، علي فهمي النزهي، لطائف في علوم القرآن، ص٣٥٦، د. عودة أبو عودة، لغة الخطاب القرآني، ص٣٣، د. خالق داد ملك، الخطاب القرآني وأنواعه (دراسة بلاغية في ضوء الفتح المحمدي في علم

أولاً: الخطاب لغة واصطلاحاً:

لغة: الخطاب هو توجيه الكلام نحو الغير للافهام ومراجعة الكلام فيقال: قد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، والخطاب: محاورة وجدال، ومحاجَّة كلام.

وفي التنزيل العزيز: ﴿**فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ**﴾(١)، وأما فصل الخطاب: فهو ما ينفصل به الأمر من الخطاب، مثل قوله تعالى: ﴿**وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ**﴾(٢).

وخطب: أي وعظ وقرأ خُطبة على الحاضرين. والخَطب بفتح الخاء اي: الشأن المكروه وبضم الخاء اي الخُطْبَة والخطابة والخطاب، وبكسر الخاء الخِطبة: طلب الفتاة(٣).

اصطلاحاً: إن **الخطاب القرآني** هو الدلالات التي دلّ عليها القرآن الكريم، من حيث المفهوم، والفحوى والظاهر والاشارة.

وهو بهذا خطاب له مَدلولاته وإشاراته التي لا تنتهي، معصومٌ من التّحريف والتَّبديل، كما أنّه لا يُترجم حرفيّاً إلى لُغاتٍ أخرى وإنمّا تتمّ ترجمة معانيه ومدلولاته وشرح آياته ومفرداته، والخِطاب في القرآن الكريم على حسب الحاجة فهو تارّةً موجّه للرّسول ﷺ أو لأزواجه أو لعامّة المسلمين وخاصّتهم أو لكفّار قريش أو

البديع والبيان والمعاني)، ص٦٠، د. بلال عبد الستار مشحن، خصائص الخطاب اللغوي في القرآن الكريم، ص٢٨، د. أحمد درويش مؤذن وآخرون، من روائع الأساليب البلاغية في القرآن الكريم، ص٦٧.

(١) سورة ص، الآية: ٢٣.

(٢) سورة ص، الآية: ٢٠.

(٣) ظ: الطريحي، مجمع البحرين، ٦٦٣/١.

للمنافقين ولسائر الناس وغيرهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(١).

والخِطاب القرآنيّ أفضل الخِطابات على الإطلاق من حيث البلاغة اللُّغويّة والإعجاز اللُّغوي والإبداع في اللَّفظ والمَعنى والتّركيب، وورود في القرآن الكريم مرتبطٌ بالعزة، والحكمة، وعظمة الخالق ﷻ.

ثانياً: أقسام الخطاب بوجه العموم:

وهو يُقسّم إلى قسمين هما:

١. **خطاب بشري:** هو خطاب يَلتزم بقواعد الخطاب البشري، ويقع تحت وطأة الظروف التطورية، وغير شامل لجوانب الحياة، ومَصدره البشر، فهو يحتمل الخطأ والصواب في طياته، ويتأثّر بخبرات قائله.

٢. **خطاب إلهي:** هو الخطاب الربّاني الذي لا يقع تحت التزامات الخطاب الإنساني، والتطوّر، واستمدّ صفة الخلود من مصدره وهو الله ﷻ، ويتميّز أيضاً بشمولية مواضيعه زماناً ومكاناً(٢).

إذن هو نص قرآني إلهي، ذو الصفتين المتداخلتين:

﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٣)، من جهة، ومن الأخرى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾(٤).

---

(١) سورة ص، الآية: ٢٠.

(٢) ظ: حباسي خالد، الخطاب الإسلامي المعاصر، ص١٦-٢٥.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ١٩٢.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ١٩٥.

وبعبارة أوضح: الاستخدام الإلهي للمادة اللغوية يختلف نوعياً من الاستخدام البشري مع وحدة خصائص المادة، فمقوله جار على السنن العربي، في أجلى تمظهراته البيانية.

لكنه في الآن ذاته (لا يمكن أن يتماهى في مرجعية ذهنية، أو إبداعية، بشرية محددة)[١].

وذلك راجع إلى مصدريته، ما جعل استخدام اللغة فيه (وفق مستوى إلهي، يقوم على الإحكام المطلق)[٢]، خلاصة القول: هو كيان متفرد مطلق.

ثالثاً: عناصر الخطاب القرآني:

يرى أهل الاختصاص ان الخطاب بوجه العموم لكي يكون مؤثّراً ومفيداً يجب أن يكون متكامل الأطراف، وهو يقوم على عدّة ركائز أو عناصر تُنظّم الخطاب وتُقيم ركائزه، وهذه العناصر العامة مقارنة مع عناصر الخطاب القرآني نلحظ الآتي:

١. **المُؤلِف:** أي من يقوم بتوجيه الخِطاب وتكون لديه القدرة على التكلّم والإبداع في ترتيب الكلام بشكلٍ منظّم ومترابط.

وفي القرآن الكريم المخاطِب "بكسر الطاء" هو الله ﷻ، وقد وردت الكثير من الآيات التي تدل على صفاته وأهمها وحدانيته وعدم الاشراك به.

٢. **المتلقّي:** أي من سيوجّه له الخِطاب، ويتميز المتلقّي بامتلاك حاسة التوقع والانتظار أثناء تلقيه الخطاب.

---

(١) ظ: د. سليمان عشراتي، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ص١.

(٢) ظ: محمد أبو القاسم حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية؛ أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، ص٩٧.

وفي القرآن الكريم المتلقي هو المخاطَب "بفتح الطاء"، أو الخلق الموجّه إليهم الخطاب على حسب اجناسهم كالملآئكة والجن والإنس، مثل: الأنبياء والكفار والمنافقين، وأهل الكتاب.

ويوجه الخطاب أيضاً الى الحيوان والنبات والجماد، ويتميز الخطاب القرآني من غيره من الخطاب الإنساني بتوجيهه الى هذه المخلوقات غير المدركة فتستجيب له.

٣. **الرِّسالة:** أي مادّة الخِطاب التي تُصاغ بصورةٍ أدبيّةٍ إبداعيّةٍ.

وأما نص الخطاب "الرسالة" في القرآن الكريم فإنه متنوع في لغته ومفرداته وتراكيبه، وفي صوره وإيقاعه.

٤. **وسيلة الإيصال:** أي قناة الوصل بين المؤلف والمُتلقّي عبر الكتاب، أو وسائل الإعلام المقروءة والمَسموعة والمكتوبة، أو من خلال الإنترنت والأجهزة الذَّكيّة.

ووالوسائل المستخدمة في الخطاب الإلهي لإيصال النص الى المتلقي يكون عن طريق الوحي والرسول والكتاب.

رابعاً: خصائص الخطاب القرآني:

راوح القرآن بين العام والخاص في الأسلوب بشكل فريد شامل، يخاطب العقل والضمير، لا هو بالأدبي الذي ينساق وراء العاطفة والوجدان، ولا بالعلمي أو الفلسفي الذي يهتم بالعقل وحده.

إنه آيات علمية تعرض حقائق الكون، وروعته، ودقة قوانينه، ونظمه، واتساق مجراته، هذا إن نظرنا إلى كتاب الله بشكل كلي، أما إن فككنا بنيته؛ فإننا نجده يمتاز بخصائص منها[١]:

١. فصاحة الألفاظ:

لأننا إذا تأملنا الخطاب القرآني وجدنا الإبداع ظاهراً في احتوائه أفصح الألفاظ الرائعة المعبرة؛ التي يستحسنها السمع، فأي مفردة منه تناولتها بالفحص وجدت حروفها متآلفة.

فتجد في مفرداته البليغ الرصين؛ الجزل في موطنه، والفصيح القريب اللين في موطنه أيضاً، ولو استعرضته كله مراراً وتكراراً ما رأيت فيه البتة لفظاً موحشاً، ولا هجيناً مذموماً؛ أو ثقيلاً كريهاً مما تنفر منه الطباع المهذبة؛ أو تمجه الأسماع المُرهَفة.

وقد شهد جل علماء العربية أن ألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزُبدته، وأن ما عداها وعدا الألفاظ المشتقات منها كالقشور والنوى بالنسبة إلى أطايب الثمر، وكالحثالة والتبن بالنسبة إلى لبوب الحنطة[٢].

إن خطاب القرآن ينبو عن الغريب الحوشي، ألفاظه سهلة مُيسرة لمن أراد أن يذَّكر.

(١) للتوسعة ظ: د. عبد الله علمي، سمات الخطاب القرآني: دراسة في الأسلوب، ص٢٩، د بلال عبد الستار مشحن، خصائص الخطاب اللغوي في القرآن الكريم، ص٢٧، شباب معمر، دلالة الخطاب في القرآن الكريم، ص٨٩، https://alkafeelblog.edu.turathalanbiaa.com/post/14730

(٢) ظ: الراغب الأصفهاني، مقدمة مفردات القرآن.

٢- مناسبة الألفاظ للمعاني:

هذه الخصيصة يتفرد بها أسلوب الخطاب القرآني، فربما تخير الألفاظ للمعاني المتداولة يسهل؛ لكن الأمر شاق مع المعنى البارع، وهذا ما نجده مكيناً في خطاب القرآن؛ الذي أتى بألفاظ بديعة لمعان جديدة في العقيدة والشريعة.

فوافق بذلك المعنى اللفظ في البراعة، عكس بلغاء البشر، فكثيراً ما يتعثرون ويخفقون في اختيار الألفاظ المثلى للمعاني المألوفة.

ومن أقرب ما يدل على ذلك، نقد الخنساء لحسان بن ثابت في سوق عكاظ عند قوله:

لنا الجَفناتُ الغُرُّ يلمعنَ بالضُّحَى ... وأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِن نَجْدَةٍ دَمَا

... قالت الخنساء: أضعفت افتخارك في ثمانية مواضع[١]، وهي التي وقع فيها الوهن لحسان في بيت الشعر، وهذا يبين عظم الأمر.

٣- الدقة في الاختيار:

كل لفظة من ألفاظ الخطاب القرآني تُختار بشكل دقيق؛ لتؤدي المعنى بطريقة بليغة، وأمثلة ذلك في القرآن كثيرة.

---

(١) قال حسان لها: وكيف؟ قالت: قلت: الجفنات، والجفنات ما دون العشر، ولو قلت: البيض (أي السيوف) لكان أكثر اتساعاً، واللمع شيء يأتي بعد شيء، ولو قلت يشرقن لكان أكثر طرّاقا، وقلت: أسيافنا والأسياف ما دون العشرة، ولو قلت سيوفنا: كان أكثر. وقلت: يقطرن ولو قلت: يسلن، كان أكثر، وقلت من نجدةٍ، والنجدات أكثر من النجدة، وقلت دماً، والدماء أكثر من الدم.

فلم يُحر حسان جواباً، وانصرف خجلا أمام فصاحة الخنساء ودقة ملاحظتها، وقوة حُجّتها وبيانها. ظ: الرافعي، إعجاز القرآن، ص٢٥.

يقول الجاحظ (ت:٢٥٥هـ): (وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها، وغيرها أحق بذلك منها. ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الكريم (الجوع) إلا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة. وكذلك ذكر (المطر)؛ لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام. والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث (...).

والجاري على أفواه العامة غير ذلك، لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر، وأولى بالاستعمال (...) والعامة ربما استخفت أقل اللغتين وأضعفهما، وتستعمل ما هو أقل في أصل اللغة استعمالاً؛ وتدع ما هو أظهر وأكثر، ولذلك صرنا نجد البيت من الشعر قد سار ولم يسر أجود منه وكذلك المثل السائر)[١].

فالجاحظ يشير إلى الدقة الشديدة في اختيار ألفاظ الخطاب القرآني؛ لأن المعنى يتغير ويحسن بلفظ، ويصبح رديئاً بآخر.

ورب لفظ يحمل من الدلالة ما لا يملكه مرادفه.

ويتأكد هذا بتأملنا أسلوب الخطاب القرآني؛ الذي لو أردت أن تستبدل فيه كلمة مكان أخرى لأرقك الأمر، وأحسست بحمل لا طاقة لك به.

٤- حسن النظم:

فالنظم أكثر ما يشد ويجذب في خطاب القرآن، وبه فاق جميع أنواع الخطاب؛ لأن الكلمة تحسن في موطن وتتألق؛ في حين تظهر شوهاء شنيعة في موقع.

---

(١) البيان والتبين، ١/٤٠.

حيث تجد لفظة واحدة في آية من القرآن؛ وفي بيت من الشعر؛ أتت في القرآن جزلة متينة، وفي البيت الشعري ركيكة ضعيفة، مثل خطاب الله لصحابة الرسول، قال تعالى: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾[١].

وقول المتنبي:

تَلَذّ لهُ المُروءَةُ وهيَ تُؤذي ومَنْ يَعشَقْ يَلَذّ لهُ الغَرامُ

فهذا البيت من أبيات المعاني الشريفة؛ إلا أن لفظة (تؤذي) جاءت فيه وفي الآية من القرآن، فحطت من قدر البيت لضعف تركيبها، عكس تركيب الآية؛ الذي وافق فيه اللفظ غرض الخطاب.

ذلك أن لفظة (تؤذي) إذا جاءت في الكلام ينبغي أن تكون مندرجة مع ما يأتي بعدها متعلقة به كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾، لا كما جاءت في قول المتنبي:

تَلَذّ لهُ المُروءَةُ وهيَ تُؤذي ومَنْ يَعشَقْ يَلَذّ لهُ الغَرامُ[٢].

إذن: الخطاب القرآني تفوق بنظمه أولاً على أعذب الشعر وأكثره بهاءً ورونقاً وجزالة، فهو كما قال الرماني (ت:٣٨٤هـ): (أتى بطريقة مفردة خارجة عن العادة، لها منزلة في الحسن تفوق به كل طريقة)[٣].

---

(١) سورة الاحزاب، الآية: ٥٣.

(٢) ابن الأثير، المثل السائر، ١/١٤٥.

(٣) النكت، ص١٠٢.

٥- مُحاكاةُ فطرةِ الإنسان:

يعملُ القرآنُ دائماً على مُحاكاةِ فطرةِ الإنسانِ في الإيمانِ بعقيدتِه وغيرها، ويبتعدُ كثيراً عن تعقيدِ المفاهيمِ والتكلُّفِ الصناعي، فمثلاً عندما يستدِلُّ على توحيدِ الله تعالى يقولُ ببُرهانٍ مُحكمٍ وواضحٍ للجميع ويُحاكي فطرةَ الإنسان: ﴿**قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾(١)، نراه دليلاً محكماً مع أنّه سهلُ المنالِ للأفهامِ البسيطةِ فضلاً عن غيرِها؛ فينالُه الإنسانُ الذي يُذعِنُ بفِطرتِه السليمة، أنّ للعالمِ المشهودِ حقيقةً واقعيةً.

٦- الإقناع:

إنّ من أهمِّ ميزاتِ القرآنِ أنّه خطابٌ عقلائيٌ يستثيرُ دفائنَ العقولِ، ويُريدُ إقناعَ الإنسانِ لا إسكاته، ولا يعتمدُ خطابَ الجِدالِ ولا الخطاب المُغالطاتي، بل يهدُفُ إلى الإقناعِ والإفهامِ، بقوّةِ البرهان والمنطق، لا بالجدلِ والاختصام، قال تعالى: ﴿**قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَّ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ واللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾(٢)، عندما يُخاطبُ النمرود، فأفحمَه بقوّةِ البُرهان والمنطق.

٧- الصدعُ بالحقِّ ورفضُ المُساومة:

من الميزاتِ الأُخَرى للقرآنِ أنّه خطابٌ حاسمٌ ثابتٌ، ويدعو إلى الصدعِ بالحقِّ مهما كانتْ عواقبُه، ومهما كانَ ثقيلاً ويرفضُ المُساومةَ على الحقّ، قال تعالى:

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿فَلاَ تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ، وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾(٢).

٨- طرح الرأي الآخر:

من أهمِّ ما يُبحثُ عنه في العلومِ عندما تُطرحُ الآراءُ المُختلفة هي الموضوعية، والإنسانُ بطبيعته البشريةِ وما يكتنفها من قوى غريزية تدعوه إلى عدم الموضوعية فإنّه قليلٌ ما يقتربُ منها، ولكنّنا نجدُ القرآنَ يُركِّزُ على هذه الصفةِ في طرحِ آراءِ الآخرين حيثُ يطرحُ الآراءَ بموضوعيةٍ كاملةٍ، ولذلك عندما تُطالعُ القرآنَ تجدُ الحُججَ الكثيرةَ للطرفِ الآخر واعتراضاتِه، بل وإشكالاتِه، سواء أكانَ هذا فيما يخصُّ أهمَّ قضيةٍ وهي وجودُ الله ﷻ: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾(٣)، أم قضية المعاد: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾(٤)، أم فيما يتصلُ بنبوّةِ النبيّ الخاتم ﷺ واتهامه بالسحر: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾(٥).

وهذا منهجٌ يرسمُه القرآنُ الكريم عندَ طرحِ الرأي المُخالف، وفيه جنبةٌ مهمةٌ، وهي: أنّ فهمَ الرأي المُخالف يُعطي فهماً صحيحاً للرأي الذي تتبناه بل ويجعلُك تؤمِنُ به إيماناً عميقاً.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

(٢) سورة القلم، الآية: ٩.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٣٧.

(٤) سورة النمل، الآية: ٦٧.

(٥) سورة ق، الآية: ٢.

٩- جودة السبك:

تتماسك ألفاظ الخطاب القرآني بشكل يشد بعضها بعضاً؛ لتتآخى جرساً وإيقاعاً؛ إذ يستحيل الاستغناء عن كلمة من الآيات دون الإخلال بالمعنى؛ لأن الكلمات في القرآن مختارة لمغزى يقصد الخطاب إبلاغه.

فالخطاب في القرآن يأتي بصياغة مقصودة، وحروف مُحكمة؛ تؤدي جرساً وإيقاعاً دقيقاً، لا يتم المعنى إلا بها، وهذه خصيصة من خصائص الخطاب القرآني.

١٠- دقة الفواصل:

يُذيِّل الخطاب القرآني بفواصل تمنحه طابعاً خاصاً مميزاً، هذه الفواصل ترتبط ارتباطاً وثيقاً ودقيقاً بالمعاني، ولذلك دور عظيم (فالفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، توجب حسن إفهام المعاني)[١].

وهي بخلاف قوافي الشعر وباقي أنواع الخطاب المؤثر؛ التي تتماثل في الحرف الأخير، حيث نلاحظ هذا بكثرة في الخطاب المَكِّي، والذي ترتبط فيه الفاصلة بما قبلها من الآية، وهذا ما يسمى بالتصدير، أو ما يسميه البلاغيون رد الأعجاز على الصدور[٢]، أو تدل على معنى قبلها، كما في قول الله: ﴿**وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ**﴾[٣].

---

(١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٥٣/١.

(٢) ظ: المصدر نفسه، ٧٨/١.

(٣) سورة يس، الآية: ٣٦.

فكلمة مظلمون دلت على انسلاخ النهار من الليل، وقد تُمهد الآية بمعنى يناسب الفاصلة، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾(١).

فتبليغ الرسالة أثار في الذهن وظيفة مهمة وهي الإبلاغ؛ لذا جاءت الفاصلة بالبلاغ المبين، ويسمى هذا تمكينا(٢).

وقد تأتي الآية بمعنى تام، ثم تزيد الفاصلة هذا المعنى كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾(٣). وهذا يسمى إيغالاً(٤)، فالفاصلة أوغلت في التعبير عن التولي، وبالغت في تصوير الإعراض، وهذا غرض الخطاب في هذا المقام.

خامساً: دلالات من خلال السياق القرآني:

صنع القرآن الكريم من خلال السياق دلالات جديدة للحروف والألفاظ والتراكيب، وانتشرت هذه الدلالات، وصارت شيئاً معتمداً ملموساً مقرراً على ألسنة الكتاب والأدباء والعلماء والباحثين، من ذلك مثلاً:

– دلالة (إذا) و(إن) في القرآن الكريم، فالأولى تستخدم عند اليقين، الثانية عند الشك في حدوث الأمر. فعندما يتعلم الناس هذا القول ويتعاملون به، يصبح هذا لغة جديدة لمثل هذه الحروف (٥).

---

(١) سورة يس، الآية: ١٥-١٦.

(٢) ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٧٨/١.

(٣) سورة النمل، الآية: ٨٠.

(٤) ظ: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٩٦/٢، والفصل الخامس من هذا الكتاب.

(٥) ظ: عودة خليل أبو عودة، شواهد في الإعجاز القرآني، ص٢١٩.

– ومثل هذا يقال في (السين) و(سوف)، فالأولى للأمد البعيد، والثانية للأمد القريب.

– ومثل ذلك يقال في (أم) و(أو)، وفي (الواو) و(التاء) في القسم، وفي (الباء) و(في)، وفي (نون التوكيد الثقيلة والخفيفة)، وهكذا كثير من الأمثلة.

– ومن ذلك أيضاً الدلالة الخاصة القرآنية لما يَظُن كثير من الناس إنه من الترادف:

- فالحلف في القرآن غير القسم، الأول يكون في الكذب والثاني في الصدق[١].
- والعقاب غير العذاب، فالأول عقاب في الدنيا والثاني في الدنيا والآخرة.
- والغيث والمطر، الأول في الخير والثاني في العذاب.
- وجاء الموت غير حضر الموت، فالأول الموت المفاجئ والثاني المتدرج غير المفاجئ، كمن يكون مريضاً أو هرماً كبيراً أو مصاباً إصابات شديدة، لا يرجى البرء منها في حدود التصرف الإنساني[٢].
- والحياة الدنيا غير الدنيا، فالأولى عند الانشغال بشؤون الحياة ودواعي النفس، والثانية اسم علم مقابل للآخرة.
- والفلاح والفوز، فالأول فلاح في الدنيا، والثاني فوز في الآخرة.
- والمسلم والمؤمن والمحسن، كأنهم أشخاص يتحركون بيننا في الحياة نعرف كلاً بسيماهم التي حدّدها لهم القرآن الكريم.
- والذي في قلبه مرض، والمنافق، والفاسق، والكافر، والمشرك، والملحد، أشخاص يتحركون أمامنا في المجتمع، عندما نقرأ صفاتهم وسلوكهم في

(١) ظ: عودة خليل أبو عودة، شواهد في الإعجاز القرآني، ص٢٢٣.

(٢) ظ: المصدر نفسه، ص١٠٥.

السياق القرآني، نتعرف إليهم كأنما علقت على جباههم لافتة تدل على كل منهم[١].

هذا هو الخطاب البياني الذي يصور الحقائق والأفكار صوراً مجسّدة أمامنا.

سادساً: أنواع (أوجه) خطاب القرآن الكريم:

أوجه الخطاب في القرآن أو وجوه الخطاب في القرآن أو وجوه خطابات القرآن في علوم القرآن بمعنى: الأوجه المتنوعة في خطاب القرآن، والقرآن الكريم هو كتاب الله المنزل على رسوله بوحي جلي، وقد أنزله الله ﷻ بلسان عربي مبين أي: واضح؛ حتى يتمكن المخاطب من فهمه، فهو يخاطب المتهيء للفهم، ووجوه الخطاب في القرآن متعددة من حيث الأساليب المتنوعة وما يراد منها، وللمتتبع للخطاب القرآني يلحظ هناك أوجه للخطاب اختلف العلماء في حصرها، فأوصلها الزركشي (ت:٧٩٤هـ) الى أربعين وجهاً[٢]، في حين يذكر الفيروز آبادي (ت:٨١٧هـ) خمسة عشر وجهاً فقط[٣]، وبلغ بها السيوطي (ت:٩١١هـ) أربعة وثلاثين وجهاً[٤]، نذكر منها على سبيل المثال:

أولاً: خطاب العام والمراد به العموم، والعام هو الذي يأتي على الجملة لا يغادر منها شيئاً، مثل قوله تعالى: ﴿**وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ**﴾[٥]، ومنه قوله تعالى: ﴿**اللهُ الَّذِي خَلَقَكُم..**﴾[٦]، وفيه خطاب الى البشر يبين فيه أصل الخلقة.

---

(١) ظ: عودة خليل أبو عودة، شواهد في الإعجاز القرآني، ص٢٢٣.

(٢) ظ: البرهان في علوم القرآن، ٢/٢١١.

(٣) ظ: بصائر ذوي التمييز، ١/١٠٨.

(٤) ظ: الاتقان في علوم القرآن، ٢/٦٥.

(٥) سورة النور، الآية: ٤٥.

(٦) سورة الروم، الآية: ٥٤.

وأغلب الآيات التي وردت في العام اشتملت على آيات كونية تدعو الإنسان الى التفكر بعظمة الخالق.

ثانياً: خطاب الخاص والمراد به الخصوص، هو الذي يقع في شيء دون أشياء، مثل قوله تعالى: ﴿**أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُم**﴾(١)، فالآية خاصة في الذين اسودت وجوههم، والهمزة فيه للتقرير والتوبيخ والتعجب من حالهم، وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ**﴾(٢)، وهذه الآية الكريمة تأمر النبي ﷺ بالتبليغ وان لا يخاف أحداً من المشركين أو المنافقين والعنت منهم.

ثالثاً: خطاب العام والمراد به الخصوص مثل قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ**﴾(٣)، فالخطاب عام لكل الناس، لكن المراد به المتهيئون لفهم الخطاب، فلم يدخل فيه الأطفال والمجانين.

رابعاً: خطاب الخاص والمراد العموم؛ مثل قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ...**﴾(٤)، افتتح الخطاب بالنبي ﷺ، والمراد سائر من يملك الطلاق، وقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ**

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٦.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٣) سورة الحج، الآية: ١.

(٤) سورة الطلاق، الآية: ١.

﴿الْمُؤْمِنِينَ..﴾[١] الآية، قال أبو بكر الصيرفي (ت:٣٣٠هـ): (كان ابتداء الخطاب له، فلما قال في الموهوبة: ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾، علم أن ما قبلها له ولغيره)[٢].

خامساً: خطاب الجنس؛ مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾[٣]؛ فلفظ النبي جنس يشمل مجموع الأنبياء عليهم السلام.

سادساً: خطاب النوع؛ نحو: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ..﴾[٤]، بنوا إسرائيل أولاد يعقوب عليه السلام، وخطاب النوع تدخل فيه جزئياته، ولا تدخل فيه الأنواع الأخرى.

سابعاً: خطاب العين؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[٥]، ونحو قوله تعالى: ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ..﴾[٦]، ونحو قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾[٧]، ونحو قوله تعالى: ﴿يَا مُوسَى لا تَخَفْ﴾[٨]، وقوله تعالى: ﴿يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[٩]، ولم يقع في القرآن الخطاب بيا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بل ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾[١٠]، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾[١]؛ تعظيماً له وتشريفاً وتخصيصاً بذلك عما سواه، وتعليماً للمؤمنين أن لا ينادوه باسمه.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٠.
(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٢١٨/٢.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٤٠.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٣٥.
(٦) سورة هود، الآية: ٤٨.
(٧) سورة الصافات، الآية: ١٠٣.
(٨) سورة النمل، الآية: ١٠.
(٩) سورة آل عمران، الآية: ٥٥.
(١٠) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.

ثامناً: خطاب المدح؛ نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[٢]، ولهذا وقع الخطاب بأهل المدينة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾[٣].

عن خيثمة (ت:٢٣٤هـ) قال: ما تقرؤون في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فإنه في التوراة: يا أيها المساكين[٤]، وعن ابن مسعود (ت:٣٢هـ) قال: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فأوعها سمعك فإنه خير يؤمر به أو شر ينهى عنه.

تاسعاً: خطاب الذم؛ نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾[٥]، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾[٦]، ولتضمنه الإهانة لم يقع في القرآن في غير هذين الموضعين، وأكثر الخطاب بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ على المواجهة، وفي جانب الكفار جيء بلفظ الغيبة إعراضاً عنهم كقوله: ﴿إن الذين كفروا﴾[٧]، ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾[٨].

عاشراً: خطاب الكرامة؛ كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾[٩]، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾[١٠]، قال بعضهم: ونجد الخطاب بالنبي في محل لا يليق به الرسول، وكذا عكسه ففي

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٧٢.
(٤) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ٣/١١٠.
(٥) سورة التحريم، الآية: ٧.
(٦) سورة الكافرون، الآية: ١.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٦.
(٨) سورة آل عمران، الآية: ١٢.
(٩) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.
(١٠) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

الأمر بالتشريع العام: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[١]، وفي مقام الخاص: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ﴾[٢]، قال: وقد يعبر بالنبي في مقام التشريع العام لكن مع قرينة إرادة العموم كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء..﴾[٣]، ولم يقل: طلقت.

الحادي عشر: خطاب الإهانة؛ نحو قوله تعالى: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[٥]، خطاب للمعرضين والكافرين بما وعدوا به من الذل والمهانة.

الثاني عشر: خطاب التهكم؛ نحو قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾[٦]، فالخطاب هنا على معنى الاستخفاف والتوبيخ والاستهزاء.

الثالث عشر: خطاب الجمع بلفظ الواحد؛ نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿ياأَيُّها الإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾[٨]، أن المراد جنس الناس كما يقال: أيها الرجل، وكلكم ذلك الرجل، فكذا ههنا. وكأنه خطاب خص به كل واحد من الناس، وهو أبلغ من العموم لأنه قائم

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٧.
(٢) سورة التحريم، الآية: ١.
(٣) سورة الطلاق، الآية: ١.
(٤) سورة الحجر، الآية: ٣٤.
(٥) سورة المؤمنون، الآية: ١٩٨.
(٦) سورة الدخان، الآية: ٤٩.
(٧) سورة الانفطار، الآية: ٦.
(٨) سورة الانشاق، الآية: ٦.

مقام التخصيص على مخاطبة كل واحد منهم على التعيين بخلاف اللفظ العام فإنه لا يكون كذلك[١].

الرابع عشر: خطاب الواحد بلفظ الجمع، نحو قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾[٢]، إلى قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾[٣]، فهو خطاب له ﷺ وحده؛ إذ لا نبي معه ولا بعده، وكذا قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ..﴾[٤] الآية، خطاب له ﷺ وحده بدليل قوله: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ..﴾[٥] الآية، وكذا قوله: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ..﴾[٦]، بدليل قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٧]، وجعل منه بعضهم: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾[٨]، الظاهر أن الخطاب للملآئكة المتصدين لقبض روحه و" رب " استغاثة معترضة بحذف حرف النداء والمعنى قال – وهو يستغيث بربه – ارجعون. أي: ارجعني، وقيل: إن الخطاب للرب تعالى والجمع للتعظيم، وقيل: وارجعون للملآئكة[٩].

---

(١) ظ: الرازي، تفسير مفتيح الغيب، ٩٤/٣١.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٥١.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٥٤.

(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٦.

(٥) سورة النحل، الآية: ١٢٧.

(٦) سورة هود، الآية: ١٤.

(٧) سورة هود، الآية: ١٣.

(٨) سورة المؤمنون، الآية: ٩٩.

(٩) للتوسعة في الآراء التفسيرية ظ: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٦٧/١٥.

الخامس عشر: خطاب الواحد بلفظ الإثنين؛ نحو قوله تعالى: ﴿**أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ**﴾[١]، والخطاب لمالك خازن النار، وقيل: لخزنة النار والزبانية فيكون من خطاب الجمع بلفظ الاثنين، وقيل: للملكين الموكلين في قوله: ﴿**وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ**﴾[٢]، فيكون على الأصل، وجُعل من هذا النوع: ﴿**قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[٣]، قال: الخطاب لموسى عليه السلام وحده؛ لأنه الداعي، وقيل: لهما لأن هارون عليه السلام أمّن على دعائه والمؤمّن أحد الداعيين[٤].

السادس عشر: خطاب الإثنين بلفظ واحد؛ كقوله تعالى: ﴿**قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ**﴾[٥]، أي: ويا هارون، وفيه وجهان:

الأول: قال به ابن عطية (ت:٥٤٢هـ): أنه أفرده بالنداء لإدلاله عليه بالتربية، والآخر: لأنه صاحب الرسالة والآيات، وهارون تبع له[٦].

والثاني: قال به الزمخشري (ت:٥٣٨هـ): وهو أن هارون لما كان أفصح من موسى نكب فرعون عن خطابه حذراً من لسانه[٧].

---

(١) سورة ق، الآية: ٢٤.

(٢) سورة ق، الآية: ٢١.

(٣) سورة يونس، الآية: ٨٩.

(٤) ظ: السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ١٧٦/١.

(٥) سورة طه، الآية: ٤٩.

(٦) ظ: تفسير المحرر الوجيز، ٤٦/٤.

(٧) ظ: تفسير الكشاف، ٦٨/٣.

ومثله ما نلحظه في قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾[١]، قال ابن عطية: أفرده بالشقاء لأنه المخاطب أولاً والمقصود في الكلام، وقيل: لأن الله ﷻ جعل الشقاء في معيشة الدنيا في جانب الرجال، وقيل: إغضاء عن ذكر المرأة كما قيل: من الكرم ستر الحرم.

السابع عشر: خطاب الإثنين بلفظ الجمع؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَوحَينَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَومِكُمَا بِمِصرَ بُيُوتا﴾[٢]، كان الخطاب لموسى وهارون، وجاء بلفظ الجمع لأمر كل الجماعة بذلك.

الثامن عشر: خطاب الجمع بلفظ الإثنين، كما تقدم في: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ..﴾[٣]، الخطاب لجميع الملآئكة بلفظ المثنى.

التاسع عشر: خطاب الجمع بعد الواحد كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا..﴾[٤] فالخطاب للنبي ﷺ، وإنما جاء بالفعل الثالث بصيغة الجمع **(وَلَا تَعْمَلُونَ)** ليدل على أن الأمة داخلون مع النبي ﷺ، ومثله في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ..﴾[٥].

---

(١) سورة طه، الآية: ١١٧.

(٢) سورة يونس الآية: ٨٧.

(٣) سورة ق، الآية: ٢٤.

(٤) سورة يونس، الآية: ٦١.

(٥) سورة الطلاق، الآية: ١.

العشرون: عكسه وهو خطاب الواحد بعد الجمع؛ نحو قوله تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ**﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿**وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللّهِ فَضْلًا كَبِيرًا**﴾[٢].

الحادي والعشرون: خطاب الإثنين بعد الواحد، نحو قوله تعالى: ﴿**قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ**﴾[٣]، فبدأ بالمفرد في خطابهم لموسى عليه السلام ثم انتقل الى خطاب الاثنين؛ أي موسى وهارون.

الثاني والعشرون: عكسه خطاب الواحد بعد الإثنين، نحو قوله تعالى: ﴿**قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يا مُوسَى**﴾[٤]، بدأ بخطاب الاثنين؛ موسى وهارون وانتهى بالمفرد.

الثالث والعشرون: خطاب العين والمراد به الغير؛ نحو قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ**﴾[٥]، الخطاب له والمراد أمته؛ لأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان تقياً وحاشاه من طاعة الكفار والمنافقين، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ..**﴾[٦] الآية، حاشاه صلى الله عليه وآله وسلم من الشك، وإنما المراد بالخطاب التعريض بالكفار.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٣.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٧.
(٣) سورة يونس، الآية: ٧٨.
(٤) سورة طه، الآية: ٤٩.
(٥) سورة الأحزاب، الآية: ١.
(٦) سورة يونس، الآية: ٤٩.

عن ابن عباس في هذه الآية قال: لم يشك ﷺ ولم يسأل، ومثله قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾(٢)، وأنحاء ذلك. فالتحقيق في كل هذا ونحوه أنه من باب خطاب عموم المؤمنين من غير قصد النبي ﷺ.

الرابع والعشرون: خطاب الغير والمراد به العين؛ نحو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾(٣)، الخطاب للأمة والقصد منه الحبيب محمد ﷺ.

الخامس والعشرون: الخطاب العام الذي لم يقصد به مخاطب معين؛ مثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ..﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٥)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا ....﴾(٦)، لم يقصد بذلك خطاب معين بل كل أحد، وأخرج في صورة الخطاب لقصد العموم، يريد أن حالهم تناهت في الظهور بحيث لا يختص بها راء دون راء، بل كل من أمكن منه الرؤية داخل في ذلك الخطاب.

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ١.
(٢) سورة الانعام، الآية: ٣٥.
(٣) سورة الانبياء، الآية: ١٠.
(٤) سورة الحج، الآية: ١٨.
(٥) سورة الانعام، الآية: ٢٧.
(٦) سورة السجدة، الآية: ١٢.

السادس والعشرون: خطاب الشخص ثم العدول إلى غيره؛ مثل قوله تعالى: ﴿**فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ..**﴾[١]، خوطب به النبي ﷺ ثم قال للكفار: ﴿**فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ**﴾[٢]، بدليل: ﴿**فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾[٣]، ومنه قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾[٤]، الضميران في (**وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ**) للرسول ﷺ، وضمير (**تُسَبِّحُوهُ**) لله تعالى[٥].

السابع والعشرون: خطاب التلوين وهو الالتفات في الخطاب؛ الذي يكون فيه الانتقال من لون لآخر، مثل قوله تعالى: ﴿**قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يا مُوسَى**﴾[٦]، فالخطاب المذكور أولاً خطاب للمثنى في قوله تعالى: ﴿**فَمَن رَّبُّكُمَا**﴾، وهو خطاب لموسى وهارون، ثم جرى الالتفات من خطاب المثنى إلى خطاب المفرد في قوله تعالى: ﴿**يا مُوسَى**﴾، وهو التفات من خطاب المثنى إلى المفرد، وقد يكون بغير ذلك من أنواع التلوين في الخطاب.

---

(١) سورة هود، الآية: ١٤.

(٢) سورة هود، الآية: ١٤.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٨.

(٤) سورة الفتح، الآية: ٩.

(٥) والظاهر أن الضمائر في (تعزروه وتوقروه وتسبحوه) جميعا لله تعالى والمعنى: إنا أرسلناك كذا وكذا ليؤمنوا بالله ورسوله وينصروه تعالى بأيديهم وألسنتهم ويعظموه ويسبحوه – وهو الصلاة – بكرة وأصيلا أي غداة وعشيا، وعليه لا يرى العلامة الطباطبائي ان هناك عدول إذ يقول: (ويوهنه لزوم اختلاف الضمائر المتسقة). الميزان في تفسير القرآن، ٢٧٤/١٨.

(٦) سورة طه، الآية: ٤٩.

الثامن والعشرون: خطاب الجمادات خطاب من يعقل؛ مثل قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ..﴾[١]، حيث خاطب السموات والأرض بخطاب العقلاء.

التاسع والعشرون: خطاب التهييج؛ مثل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٢]، فهنا يستثير الهمّة ويهيّجهم للعمل إن قصدوا ما وصفوا به أنفسهم.

الثلاثون: خطاب التحنن والاستعطاف؛ مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[٣]، فهو خطاب من الله لعباده الذين أسرفوا على أنفسهم بالذنوب والمعاصي، حيث كان وجه مخاطبتهم بالتحنن عليهم والاستعطاف رحمة بهم حتى يتوبوا إليه.

الحادي والثلاثون: خطاب التحبب؛ نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾[٤]، في خطاب إبراهيم عليه السلام لعمه، ومثل: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ..﴾(٥)، وهو خطاب لقمان لابنه، ومثل: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾[٦]، وهو حكاية خطاب هارون لموسى عليهما السلام.

---

(١) سورة فصلت، الآية: ١١.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٣.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٥٣.
(٤) سورة مريم، الآية: ٤٢.
(٥) سورة لقمان، الآية: ١٦.
(٦) سورة طه، الآية: ٩٤.

الثاني والثلاثون: خطاب التعجيز، وهو الذي يكون الخطاب فيه على وجه تعجيز المخاطب، مثل قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾(١)، وكقوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾(٢).

الثالث والثلاثون: خطاب التشريف؛ وهو كل ما في القرآن مخاطبة بـ: ﴿قُلْ﴾(٣) فإنه تشريف منه تعالى لهذه الأمة بأن يخاطبها بغير واسطة لتفوز بشرف المخاطبة.

الرابع والثلاثون: خطاب المعدوم؛ أي: **غير الموجود بمعنى:** ما كان في حال العدم قبل أن يخرج إلى الوجود، وإنما يصح هذا الخطاب تبعاً لموجود، مثل قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(٥)، وهو خطاب لمن هو موجود من بني آدم من أهل ذلك الزمان، وخطاب لكل من بعدهم ممن لم يوجد، فالخطاب في هذه الآية للموجود من جهة، وللمعدوم تبعاً للموجود من جهة أخرى.

الخامس والثلاثون: خطاب الاستحياء: في قوله تعالى على لسان مريم العذارء (عليها السلام): ﴿قَالَت يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبلَ هَذَا﴾(٦)، فقولها هنا عن (استحياءً من

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٣٣.

(٣) سورة الكافرون، الآية: ١، سورة الإخلاص، الآية: ١، سورة الفلق، الآية: ١، وغيرها

(٤) سورة الاعراف، الآية: ٣١.

(٥) سورة يس، الآية: ٦٠.

(٦) سورة مريم، الآية: ٢٣.

الناس ومخافة لومهم)[١]، فليس المراد من تمنيها الموت تمنيه حقيقة وانما تمنته استحياءً ومخافة، وبهذا افاد التمني معنى الاستحياء.

وأخيراً: إذا تأملنا في دقة الجانب الخطابي والذي خوطب به الناس عامة، والمؤمنون خاصة، وجدنا أن القرآن يدعو إلى المطالب العالية، والفضائل السامية، والتشريعات الهادية الموجهة إلى كل خير، والدعوة إلى هذه المطالب والفضائل، والأخلاق والتشريعات في الأسلوب الخطابي القرآني لا تقف أمام نوع واحد، أو صورة واحدة من صور الدعوة، بل أنه تنوع في أساليب الخطاب فيه.

ختاماً: ليس هذا كل ما وقف عليه العلماء القدماء في تفصيل أنواع الخطاب في القرآن الكريم، إنما هذا ما أرتأينا ذكره لشهرته ويُمّكن القارئ (الطالب والمثقف) من استجلاء بعض مضامين أسلوب الخطاب القرآني من مصادره المختصة.

(١) البيضاوي، انوار التنزيل، ٤٧/٣.

الفصل السابع

أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم

بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله

الفصل السابع:

أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم

للقرآن الكريم معاني أولية، وهي معاني كلماته وجمله، وهناك معان ثانية، وهذه المعاني تؤخذ من نظمه البديع؛ فتقديم كلمة في آية، وتأخيرها في أخرى، يعطي معنى ثانياً غير المعني الذي تعطيه الألفاظ. ولا يتقدم اللفظ في القرآن ذكراً، أو يتأخر إلا لموجب وغرض، علمه من علم، وجهله من جهل.

وموضوع التقديم والتأخير في القرآن شغل المفسرين منذ ظهور الظاهرة القرآنية، وهو لا يزال يشغلها، وسيبقى كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وتحدث الزركشي عن أسلوب التقديم والتأخير في لسان العرب، واعتبر أن (القول في التقديم والتأخير هو أحد أساليب البلاغة، فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام، وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق)[١].

وأكد جلُّ المفسرين وجود هذا الأسلوب في القرآن الكريم، وعبارتهم في هذا الصدد كثيرة، كقولهم: "هو على التقديم والتأخير"، وقولهم: "في الآية تقديم وتأخير"، وقولهم: "هو من المقدَّم الذي معناه التأخير".

وهذا خروج خاضع لأغراض أسلوبية تستفاد من الكلام، حيث تكمن الرغبة لدى المتكلم لتحققها، حين ترتبط هذه الأغراض بأثرها الفني في المعنى الذي هو المراد في عملية الكلام.

ولكن ثمة ضابطاً ينبغي أن يراعيه المتكلم عند التقديم والتأخير وهو أن يضع في حسبانه أنّه مالم تكن هناك فائدة من تقديم المتأخِّر أو تأخير المتقدِّم، فإنّ

---

(١) البرهان في علوم القرآن، ٢٣٣/٣.

انعدام الفائدة يجعل هذا الإجراء من قبيل الألغاز التعمية الذين ينأى عنهما الدرس البلاغي.

وسنحاول في هذا الفصل الوقوف على بيان هذا الموضوع باختصار وعلى النحو الآتي[١]:

أولاً: التقديم والتأخير في:

١. **اللغةً:** هو التقديم من (قدم) أي وضعه أمام غيره، والتأخير من (اخّر) أي اخره عن غيره[٢].

٢. **الاصطلاح:** فنجده مرتبطاً بمعناه اللغوي السابق، بالإضافة إلى النظر إلى الأصل في التركيب اللغوي، كونه جملة اسمية مكونة على الترتيب من مبتدأ وخبر، أو جملة فعلية مكونة على الترتيب من فعل وفاعل ومفعول به، أو ما في محله إن كان الفعل متعدياً، وعليه فإن أي تغيير في هذا الترتيب يُعدُّ تقديماً وتأخيراً في أصل التركيب وعدولاً عنه.

ومن هنا يأتي التعريف الذي يُعرَّف به التقديم والتأخير وهو:

مخالفة عناصر التركيب ترتيبها الأصلي في السياق، فيتقدم ما الأصل فيه أن يتأخر ويتأخر ما الأصل فيه أن يتقدم.

---

(١) للتوسعة ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٢٣٦/٣، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٤١/٣، مختار عطية، علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم، ص١٠٣، منير محمود الميسري، دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ص١٣٣، د. علي أبو القاسم عوض، بلاغة التقديم والتاخير في القران الكريم، ص١٢، د. عز الدين محمد الكردي، التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ص٢١، سامي عطا حسن، التقديم والتأخير في النظم القرآني الكريم: بلاغته ودلالاته، ص٢٤٢.

(٢) ظ: ابن منظور، لسان العرب، ٤٦٧/١٢.

كما يمكن تعريف (التقديم) بأنه (تقديم جزء من الكلام بمقتضى البلاغة، حقُّه أن يتأخر في الترتيب بمقتضى الأصل العام في القواعد)[١]، وفي المقابل فإن (التأخير) هو تأخير جزء من الكلام حقُّه أن يتقدم.

والحاكم للترتيب الأصلي بين عنصرين يختلف إذا كان الترتيب لازماً أو غير لازم، فهو في الترتيب اللازم (الرتبة المحفوظة) حاكم صناعي نحوي، أما في غير اللازم (الرتبة غير المحفوظة)، فيكاد يكون شيئاً غير محدد، ولكن هناك أسبابٌ عامة قد تفسر ذلك الترتيب[٢].

ثانياً: أهمية علم التقديم والتأخير عند العلماء:

عندما نسمع (التقديم والتأخير) نعرف أننا بصدد الحديث في ترتيب عناصر الجملة العربية.

والجملة العربية إما فعلية وإما اسمية، فإذا كانت فعلية فترتيب عناصرها واضح، والفعل هو المقدم في الترتيب على الأصل. أما إذا كانت اسمية واستوى طرفا التركيب وكانا معرفين معاً، فقد اختلف في أيهما يمكن أن تصدر به الجملة، وأيهما تجعله خبراً، فأما النحويون فلم يتعرضوا للتحديد، بل تركوا للمتكلم الخيار، وأجازوا أن يكون كل منهما هو المبتدأ والثاني هو الخبر، ويعربون المقدم مبتدأ والمؤخر خبراً، لكن (البلاغيين بحثوا الأمر بحثاً فكرياً منطقياً دقيقاً، ناظرين إلى حال المخاطب، وما هو الأعرف لديه من ركني الإسناد اللذين هما من المعارف)[٣].

---

(١) د. عز الدين علي السيد، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص١٢.

(٢) ظ: صالح الشاعر، ظاهرة التقديم والتأخير في النحو العربي. مقال الكتروني: http://salihalshair.jeeran.com.

(٣) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ٣٥٦/١.

لهذا يُعد التقديم والتأخير من اساليب البلاغة العربية التي حضيت بعناية علمائها من بلاغيين ونحويين، ويُعد سيبويه (ت:١٨٠هـ) أول من تطرق إلى هذا المبحث تطرقاً وافياً وكشف عن بعض أسراره البلاغية وكل من كان قبله ممن تكلم عن هذا المبحث كان كلامه مجرد ومضات في طريقهم، أما سيبويه فقد خصه بباب في كتابه، وأشار الى جذور استعمالاته عند العرب، إذ قال: (وهو عربي جيد كثير، كأنهم يقدمون في كلامهم ما هم ببيانه أعنى؛ وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم)[١].

كما وتكلم أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت:٢١٠هـ) عن التقديم والتأخير وعدّه من إسلوب المجاز[٢]، ونجد ابن جني (ت:٣٩٢هـ) يعقد باباً في كتابه (الخصائص) يُسميه (بابٌ في شجاعة العربية)، رصَد فيها أهم مظاهر تلك الشجاعة، ومنها: (التقديم والتأخير) الذي عقد له فصلاً خاصّاً، تحدث فيه عن صور التقديم والتأخير في أبواب النحو المختلفة.

وأثنى عبد القاهر الجرجاني (ت:٤٧٤هـ) على هذا الباب قال: (هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعه، ويفضي بك الى لطيفه)[٣]، كما وتوسعت على يديه دائرة بحثه وتحويله الى فن بلاغي ذي شأن في الدراسة البلاغية بعد أن كان يُدْرس ضمن أبواب النحو.

---

(١) الكتاب، ٢١٢/٢. إلا ان هناك بعض العلماء والباحثين يرون ان سيبويه ما كان يقصد في كلامه الفنون البلاغية –التقديم والتأخير–، وإنما ما ذكره عبارة عن ملاحظات عامة نحوية عن نظم الكلام وتأليفه في كتابه. ظ: د. احمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي، ص٨٠، حميد أحمد العامري، التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ص١٣.

(٢) ظ: مجاز القرآن، ص١٠٥.

(٣) دلائل الاعجاز، ص٨٣.

وعند الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) كان التقديم والتأخير في اجلى تطبيقاته في تفسيره الكشاف الذي لا يزال الى (اليوم المبحث التفسيري الوحيد – فيما نعلم – الذي يعرض لبلاغة القرآن على نطاق عملي واسع كما أنه لا يزال مستسقى المفسر إذا فسر)[١]، وأما ابن الاثير (ت:٦٣٧هـ) فيؤكد ان التقديم والتأخير من أنواع البلاغة وقال فيه أيضاً: (وهذا باب طويل عريض، يشتمل على اسرار دقيقة)[٢].

وتتابعت الدراسات البلاغية للتقديم والتأخير عند العلماء فكان الزركشي (ت:٧٩٤هـ) والسيوطي (ت:٩١١هـ) في كتابيهما البرهان والإتقان قد قدما حشداً للآراء وبياناً كاشفاً لهذه الظاهرة.

وفي أهمية التقديم والتأخير في آيات الكتاب العزيز وأثره في روعة الأسلوب وجمال الأداء ودقة المعنى، يقول مصطفى صادق الرافعي: (وما يشذ في القرآن الكريم حرف واحد عن قاعدة نظمه المعجز؛ حتى إنك لو تدبرت الآيات التي لا تقرأ فيها إلا ما يسرده من الأ سماء الجامدة، وهي بالطبع مظنة أن لا يكون فيها شيء من دلائل الإعجاز؛ فإنك ترى إعجازها أبلغ ما يكون في نظمها وجهات سردها، ومن تقديم اسم على غيره أو عنه تأخيره، لنظم حروف ومكانه من النطق في الجملة؛ أو لنكتة أخرى من نكت المعاني التي وردت فيها الآية بحيث يوجد شيئاً فيما ليس فيه شيء..)[٣].

فكل لفظة من ألفاظ القرآن الكريم اقتضت الحكمة الإلهية وضعها في مكنها المناسب سواء أكانت على أصلها في ترتيب النظم أو قدمت وأخرت عن موضعها

---

(١) مصطفى الصاوي، منهج الزمخشري في تفسير القرآن، ص٢٧٥.

(٢) المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، ٣٨/٢.

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص١٦١.

وفى ذلك من الدقائق والأسرار ما لا يخفى على اللسان الفصيح، في حين مهما جهد العالم النحرير والبليغ السامق نفسه ووظف طاقته في صياغة معاني في عبارات إلا ووجد فيه ما يحتاج الإعادة ومراجعة اللفظ.

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز وهو يتحدث عن قصور البلغاء أن يصلوا إلى كمال في عملهم الأدبي: (وآية ذلك أنك تراه حين يتعقب كلام نفسه في الفينة بعد الفينة يجد فيه زائداً يمحوه وناقصاً يثبته ويجد فيه ما يهذب ويبدل وما يقدم أو يؤخر حتى يسلك سبيله إلى النفس سوياً ولعله لو رجع إلى سبعين مرة لكان له في كل مرة نظرة وكلما كان أنفذ بصراً وأدق حساً كان أقل في ذلك قناعة وأبعد هماً إذ يرى وراء جهده غاية هي المثل الأعلى الذي يطمح إليه ولا يطاوعه والكمال البياني الذي يتعلق به خياله ولا يناله إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه هذا حظ الكلام البليغ عند قائله)[١].

ثالثاً: فوائد علم التقديم والتأخير:

يتضح مما تقدم من أقوال العلماء ان التقديم والتأخير من المباحث المهمة التي تعرف بها بعض الأوجه التفسيرية واللطائف القرآنية، الدالة على عظمة بيان القرآن وبركة ألفاظه وسعة معانيه وتنوّع دلالاته، ويمكن مما تقدم بيان تلكم الفوائد من خلال:

أولاً: أنه علامة من علامات سمو التفكير عند العرب، فهو سمة بارزة في الكلام، تشهد للعرب (بتمكنهم في الفصاحة، وامتلاكهم ناصية الكلام، وتصرفهم

(١) النبأ العظيم، ص١١٠.

فيه على حكم ما يختارونه، وانقياده لهم لقوة ملكتهم فيه، وفي معانيه، ثقة بصفاء أذهانهم)[١].

ثانياً: أنه باب كثير الفوائد الذوقية، كما يقول عبد القاهر الجرجاني: (باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفه، ولا نزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان)[٢].

ثالثاً: دربة للمتعلم لحسن بيانه، فهو فضلاً عن أنه يدلك على عظمِ شأن (النظم) تعلم به كيف يكون الإيجاز وما صورته، وكيف يزاد في المعنى من غير أن يزاد في اللفظ، إذ قد ترى أن ليس إلا تقديم وتأخير، وأنه قد حصل لك بذلك من زيادة (المعنى، ما إن حاولته مع تَركه لم يحصل لك..)[٣].

رابعاً: البُعد النفسي، يعمد المتكلم الى أسلوب التقديم والتأخير ليحقق غاية نفسية معينة، فيرتب الألفاظ على غير ما يقتضيه ترتيبها الوجودي، وهذا ناتج عن طبيعة التجربة الشعورية والأبعاد النفسية، أو المعنى المراد نقله الى السامع، ويلعب الانفعال النفسي، دوره في التأثير على المتكلم فيقدم ما حقه التأخير أو يؤخر ما حقه التقديم في كلامه، والغاية من ذلك إحداث انفعال شعوري في نفس المتلقي لغرض الإثارة أو غير ذلك من العوامل الأخرى[٤].

---

(١) ابن القيم، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ص٨٢.

(٢) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص١٠٦.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٨٨.

(٤) ظ: حميد أحمد العامري، التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ص١٢٨.

خامساً: فيه حكمة بالغة، وتكمن أهمية التقديم والتأخير في الأسلوب القرآني من حيث أن كل تقديم وتأخير فيه على حكمة بالغة، وقدرة فائقة، ليس فيه ما يفسد المعنى، وإنما فيه الواضح الجلي البليغ، وليس هناك ما يقوم مقامه، فكأن المعنى يقتضي ما تقدم أو تأخر اقتضاء طبيعياً، بما يؤثر في المتلقي تأثيراً واضحاً.

سادساً: انه يوضح ما أشكل معناه ظاهراً، ومن امثلته:

(١) في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا**﴾[١]، هذه من تقاديم الكلام، يقول قتادة (ت:١١٨هـ): (لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا؛ إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة)[٢].

(٢) وفي قوله تعالى: ﴿**وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى**﴾[٣]، هذا من تقاديم الكلام، قال قتادة: (لولا كلمةٌ وأجلٌ مسمى، لكان لزاماً)[٤].

(٣) وروي عن مجاهدٍ (ت:١٠٤هـ) في قوله تعالى: ﴿**أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا، قَيِّمًا**﴾[٥]، قال: هذا من التَّقديم والتَّأخير: (أنزل على عبده الكتاب قيِّماً، ولم يجعل له عوجاً)[٦].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٨٥.

(٢) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢٩٥/١٤.

(٣) سورة طه، الآية: ١٢٩.

(٤) ابن أبي حاتمٍ، تفسير ابن أبي حاتم، ٢٤٤/٧.

(٥) سورة الكهف، الآية: ١-٢.

(٦) ابن أبي حاتمٍ، تفسير ابن أبي حاتم، ٢٣٤/٧.

(٤) وروي عن قتادة في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[١]، قال: هذا من المقدَّم والمؤخَّر؛ أي: (رافعُك إليَّ ومتوفِّيك)[٢].

(٥) وعن عكرمة في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[٣]، قال: هذا من التَّقديم والتَّأخير يقول: (لهم يوم الحساب عذابٌ شديدٌ بما نسوا)[٤].

(٦) وروي عن ابن زيدٍ في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٥]، قال: هذه الآية مقدمةٌ ومؤخرةٌ، إنما هي (أذاعوا به إلا قليلاً منهم، ولولا فضل الله عليكم ورحمته لم ينجُ قليلٌ ولا كثيرٌ)[٦].

(٧) وروي عن ابن عباسٍ في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾[٧]، قال: إنهم إذا رأوا الله فقد رأوه، إنما قالوا: (جهرةً أرنا الله)، قال: هو مقدمٌ ومؤخرٌ، قال ابن جريرٍ: يعني أن سؤالهم موسى كان جهرةً[٨].

(٨) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾[٩]، قال البغوي: هذه أولُ القصة، وإن كان مؤخراً في التلاوة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٥.
(٢) ابن ابي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، ٦١١/٢.
(٣) سورة ص، الآية: ٢٦.
(٤) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٨٩/٢١.
(٥) سورة النساء، الآية: ٨٣.
(٦) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٥٧٦/٨.
(٧) سورة النساء، الآية: ١٥٣.
(٨) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٣٥٩/٩.
(٩) سورة البقرة، الآية: ٧٢.

وقال الواحدي (ت:٤٦٨هـ): كان الاختلاف في القاتل قبل ذبح البقرة، وإنما أُخِّر في الكلام؛ لأنه تعالى لما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾[١] الآية، علِم المخاطبون أن البقرة لا تذبح إلا للدلالة على قاتلٍ خفِيَتْ عينه عليهم، فلما استقرَّ علمُ هذا في نفوسهم، أتبع بقوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾[٢]، فسألتم موسى، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾[٣].

(٩) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾[٤]، والأصل (هواه إلهه)؛ لأن من اتخذ إلهه هواه غير مذمومٍ، فقدم المفعول الثاني للعناية به.

(١٠) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[٥]، والأصل (سودٌ غرابيب)؛ لأن الغربيبَ الشديدُ السواد.

(١١) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا﴾[٦]؛ أي: فبشرناها فضحِكَتْ.

(١٢) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾[٧]؛ أي: لَهَمَّ بها، وعلى هذا فالهَمُّ منفيٌّ عنه.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٧٢.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٦٧.
(٤) سورة الفرقان، الآية: ٤٣.
(٥) سورة فاطر، الآية: ٢٧.
(٦) سورة هود، الآية: ٧١.
(٧) سورة يوسف، الآية: ٢٤.

رابعاً: أسلوب التقديم والتأخير بين المؤيدين والمعارضين:

تباينت أقوال المفسرين واللغويين في جواز التقديم والتأخير وعدمه في كتاب الله تعالى على ثلاثة مذاهب:

أولاً: مذهب القائلين بجواز أسلوب التقديم والتأخير لوقوعه في آيات الذكر الحكيم: وإلى هذا ذهب جماعة من المتقدمين الذين كانت لهم البراعة فى التفسير وعلى رأسهم ترجمان القرآن ابن عباس ومجاهد وقتادة وعكرمة وغيرهم إلى القول بجواز التقديم والتأخير، وهو الواضح الجلي في مروياتهم كما سيأتي في طيات الشواهد.

وتبعهم في ذلك كثير من علماء اللغة والنحو والبلاغة وعلى رأسهم سيبويه والأخفش والكسائي والفراء وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم.

ثانياً: مذهب المعارضين لأسلوب التقديم والتأخير ويتزعم هذا المذهب أبو حيان الأندلسي وتلميذه السمين الحلبي:

خالف العلامة أبو حيان الأندلسي (ت:٦٥٤هـ) مذهب السابقين في جواز أسلوب التقديم والتأخير في الكلام الفصيح، فزعم أنه من القبائح والضرائر الشعرية التي لا يصار إليها في كلام البلغاء وينبغي أن يتنزه عنه كلام العليم الخبير[١].

ونلحظه أيضاً في معرض رده على من ذهب إلى أن التقديم والتأخير في القرآن إنما هو لأجل مراعاة الفاصلة كابن الأثير والعلوي عند مرورهما بقوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾[٢]، إذ إن التقديم عندهما لمراعاة النظام السجعي الذي

---

(١) ظ: تفسير البحر المحيط، ٤١٨/١.

(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

هو حرف النون، إذ لو قال: (نعبدك ونستعينك) لذهبت تلك الطلاوة ولزال ذلك الحسن[١].

وهذا ما لا يرتضيه أبو حيان الذي ذهب خلاف ذلك الرأي، فالتقديم والتأخير عنده (لا يقال لأجل السجع، لأن معجزة القرآن ليست في مجرد اللفظ، بل فيه وفي المعنى، والشاعر قد يقدم ويؤخر لأجل السجع، والقرآن. المعنى صحيح واللفظ فصيح)[٢].

وفي موضع آخر قال: (فدعوى التقديم والتأخير المختص بضرورة الأشعار، وبنظم ذوي الانحصار، منزه عنها كلام الواحد القهار)[٣].

وتبعه السمين الحلبي (ت:٧٥٦هـ) احمد بن يوسف[٤]، وقد ذكر في أكثر من مورد اعتراضه على القائلين بالتقديم والتأخير[٥].

ثالثاً: مذهب القائلين بالجمع بين القولين؛ ويرون أن الأصل في الكلام تقديم ما حقه التقديم، وتأخير ما حقه التأخير، ولا يعدل عن هذا الأصل إلا بحجة يجب التسليم لها.

ويمثل هذا الاتجاه كثير من المفسرين كالطبري (ت:٣١٠هـ) والطبرسي (ت:٥٤٨هـ)، والرازي (ت:٦٠٦هـ)، وابن جزي الكلبي (ت:٧٥٧هـ)، وأبي السعود (ت:٩٨٢هـ)، والألوسي (ت:١٢٧٠هـ) وغيرهم.

---

(١) ظ: المثل السائر، ص٢-٢١، الطراز، ص٢٣٤.

(٢) تفسير البحر المحيط، ٢٩٥/٧.

(٣) المصدر نفسه، ٣٥٢/٣، ظ: ٤١٦/٤.

(٤) عن ترجمته ظ: خير الدين الزركلي(ت:١٣٩٦هـ)، الأعلام، ٢٧٤/١.

(٥) ظ: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ١٢٢/٢، ظ: المصدر نفسه، ٥٣٦/٦، المصدر نفسه، ٣٠/٧.

قال الطبري: (ولا وجه لتقديم شيء من كتاب الله عن موضعه أو تأخيره عن مكانه إلا بحجة واضحة)[١].

وقال المفسر الطبرسي: (أن الكلام إذا صح من غير تقديم وتأخير، كان أولى)[٢]

وقال فخر الدين الرازي: (التزام التقديم والتأخير من غير دليل ملجىء إلى التزامه خلاف الظاهر)[٣].

وقال في موضع آخر: (واعلم ان إذا امكن حمل الكلام على ظاهره كان المصير الى التقديم والتأخير غير جائز)[٤].

وقال ابن الجزي: (من أوجه الترجيح بين الأقوال التفسيرية حمل الكلام على ترتيبه إلّا أن يدل دليل على التقديم والتأخير)[٥].

وقال المفسر أبو السعود (ت:٩٨٢هـ): (ولا ضير في التقديم والتأخير إذا دل على الترتيب دليل)[٦].

وبذات العبارة قال الآلوسي (ت:١٢٧٠هـ): (ولا ضير في التقديم والتأخير إذا دل على الترتيب دليل)[٧]

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢٦٦/١٦.

(٢) تفسير مجمع البيان، ٣٧٨/٧.

(٣) تفسير مفاتح الغيب، ٣٨/٧.

(٤) المصدر نفسه، ٥٢٥/١٨.

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل، ١٤١٦هـ، ١٩/١.

(٦) ارشاد العقل السليم لمزايا الكتاب العزيز، ٧١/٣.

(٧) تفسير روح المعاني، ٤/٤، ظ: المصدر نفسه، ٢٤٥/١٤.

ونرى: بعد هذا العرض لآراء العلماء والمفسرين وتباين أقوالهم على ثلاثة أوجه يترجح لدينا القول بجواز التقديم والتأخير عند أمن اللبس واستقامة المعنى عليه مع وجود قرينة دالة عليه، فإذا أمكن حمل الكلام على الترتيب ولا توجد ضرورة ملجئة للتقديم والتأخير فيبقى الكلام على أصله، أما طرحه مطلقاً كما عند أبي حيان وغيره[١] فلا يمكن قبوله، فقد وردت به بعض آيات الذكر الحكيم، ونقل عن العلماء المتقدمين القول به.

خامساً: أقسام التقديم والتأخير

لتقسيم التقديم والتأخير عند العلماء والباحثين تقسيمات متنوعة، منهم من جعلها اثنان ومنهم من أضاف لها نوع ثالث، ومنهم من ادخل فيها الأغراض والأسباب، ومنهم من كان المضمون واحد ولكن اختلف المسمى فقط[٢]، إلا انّا لحظنا ان التقسيم الآتي هو الأقرب لمنهجيتنا في هذا الفصل:

القسم الأول: تقديم المعمول على عامله (ما قدم والنية به التأخير):

وهو على أنواع منها:

١: تقديم المفعول على الفاعل، كما في قول الله تعالى: **{بل اللهَ فاعبد}**. كتقديم المفعول على الفاعل: مثاله في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[٣]،

---

(١) وتجدر الإشارة ان أبا حيان الاندلسي يتراجع عن مذهبه في بعض الأحيان فينقل القول بالتقديم والتأخير دون تعقيب مما يوحى بقبوله له مثال ذلك. على سبيل المثال ظ: البحر المحيط، ١٧٦/٣، والمصدر نفسه، ٣٦٢/٦.

(٢) للتوسعة ظ: ابن جني، الخصائص، ٣٨٢/٢، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٢٣٣/٣، السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ص١٢٥، حميد أحمد العامري، التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ص٥٦، منير محمود الميسري، دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ص٢١.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

وفائدة تقديم المفعول هنا: حصر الفاعلية، أي أن الله تعالى لا يخشاه إلا العلماءُ، ولو قُدم الفاعل لاختلف المعنى ولصار: (لا يخشى العلماءُ إلا اللهَ)، وهذا غير صحيح فقد وُجد من العلماء من يخشون غير الله ﷻ.

وبهذا فكل من يخشى الله تعالى هو عالم، قال النبي الخاتم ﷺ: (من كان بالله أعرف كان من الله أخوف)[١].

وقال تعالى: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ**﴾[٢]، وفائدة التقديم هنا للاهتمام ببيان من وقع عليه الابتلاء، ولتجنب التعقيد المعنوي الذي كان سيحدث نتيجة عود الضمير على متأخر لقظاً ورتبة المفعول به، وقال تعالى: ﴿**لَن يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا**﴾[٣]، وغيرها من الآيات.

٢: وتقديم الجار والمجرور على متعلّقه، كما في قول الله تعالى: ﴿**وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[٤]. إن تقديم المعمول هنا يفيد الحصر، أي وعلى الله فتوكلوا لا على غيره، فهو من أجمع أنواع العبادة وأعظمها، لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة، فإنه إذا اعتمد على الله ﷻ في جميع أموره الدينية والدنيوية، دون كل من سواه صح إخلاصه ومعاملته مع الله تعالى، فهو من أعظم منازل ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾.

---

(١) المجلسي، بحار الانوار، ٣٩٣/٦٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٣) سورة الحج، الآية: ٣٧.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٢٣.

٣: وتقديم الظرف على عامله، كما في قول الله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[١]، وذلك لاختصاصه سبحانه بعلم الغيب ألا ترى كيف أكد ذلك الإختصاص بأسلوب آخر هو أسلوب القصر فقال: لا يعلمها إلا هو؟

وقد يكون التقديم من هذا النوع لغرض آخر كالمدح والثناء والتعظيم والتحقير وغير ذلك من الأغراض، إلا أن الأكثر فيه أنه يفيد الإختصاص[٢].

٤: وتقديم الخبر على المبتدأ كما في قول الله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾[٣]، وقد تقدم الخبر هنا لأهميته فالسلام في ليلة القدر هو المعنى الذي تدور حوله الآية وهو الذي يحمل معنى قداسة هذه الليلة فقدّم للأهمية ولأختصاص هذه الليلة بالسّلام الإلهي[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٥]، فقدم هنا ما يتصل بهم، فلم يقل: (وفي القصاص لكم)؛ لأن ذلك هو الأهم بالنسبة إليهم، وما يرجع إليهم من هذا التشريع، وما يحصل لهم به من المصالح، فتقديمه هنا يُشعر بأهميته للمخاطبين، وكذلك أيضاً يُشعر بالحصر.

وقوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾[٦]، ولو قال: (وظنوا أن حصونهم ما نعتهم) لما أشعر بزيادة وثوقهم بمنعها إياهم.

---

(١) سورة الانعام، الآية: ٥٩.

(٢) ظ: د. فاضل السامرائي، أسرار البيان في التعبير القرآني، ص٢٧.

(٣) سورة القدر، الآية: ٢.

(٤) يقول البقاعي: (ولما ذكر سبحانه هذه الفضائل كانت النتيجة بالسلام فقدَّم ﴿سَلَامٌ﴾ على المبتدأ المؤخر لأهميتِه). نظم الدرر، ١٨١/٢٢. وهذه الملاحظة ما انفرد بها البقاعي بحسب تتبع الباحث.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

(٦) سورة الحشر، الآية: ٢.

وقال تعالى: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾(١)، ولم يقل: (فإذا أبصار الذين كفروا شاخصة)، وكان يستغني عن الضمير؛ لأن هذا يُفيد اختصاص الذين كفروا بالشخوص(٢).

٥: وتقديم خبر إنّ وأخواتها على الاسم، كما في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ﴾(٣). فإن الإياب لا يكون إلا إلى الله ﷻ، وبهذا ليس من التقديم من أجل مراعاة المشاكلة لرؤوس الآي كما ذهب بعضهم بل هو لقصد الاختصاص.

٦: وتقديم خبر كان وأخواتها على الاسم، كما في قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٤).

٧: وتقديم الحال على العامل فيها؛ كما في قول الله تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾(٥)، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾(٦)، على قراءة نصب خالصةً.

وتقديم المعمول على عامله على مرتبتين:

المرتبة الأولى: ما يفيد الحصر

---

(١) سورة الانبياء، الآية: ٩٧.

(٢) ظ: ابن قيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ص١٠٧.

(٣) سورة الغاشية، الآية: ٢٥-٢٦.

(٤) سورة الروم، الآية: ٤٧.

(٥) سورة القمر، الآية: ٧.

(٦) سورة الانعام، الآية: ١٣٩.

كما في قول الله تعالى: {إياك نعبد} أي نعبدك ولا نعبد غيرك، وكما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾(١). فقوله: {بل إياه تدعون} أي تدعونه ولا تدعون غيره.

وكما في قول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾(٢)، أي لا نتوكل إلا عليه، وأما الإيمان فنؤمن بالله ﷻ وعدله وبالنبي محمد ﷺ وتبليغاته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبكلّ ما أمرنا بالإيمان به.

قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي﴾(٤).

والمرتبة الثانية: ما يفيد الاختصاص

وهو اختصاص بالذكر لا يقتضي الحصر، كما في قول الله تعالى: ﴿وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾(٥)، قدَّم اسم نوح على الفعل، والله تعالى قد هدى نوحاً وهدى غيره من أنبيائه وصالحي عباده، لكن اختص نوحاً عليه السلام للتنويه بذكره.

وقال تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾(٦) فاختص الرجز بالأمر بالهجر لتعظيم الأمر بهجرها وأنها أولى ما يجب أن يُهجر مما نهى الله عنه.

---

(١) سورة الانعام، الآية: ٤٠-٤١.
(٢) سورة الملك، الآية: ٢٩.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٦٤.
(٤) سورة الزمر، الآية: ١٤.
(٥) سورة الانعام، الآية: ٨٥.
(٦) سورة المدثر، الآية: ٥.

وقال تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾[١]، قدّم المفعول الثاني وهو ضمير النبي ﷺ تشريفاً له وتنويهاً بذكره، وأخّر المفعول الأوّل تشويقاً إليه.

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾[٢]، قال البغوي: (هذا أول القصة، وإن كانت مؤخّرة في التلاوة)[٣].

وتأويله: ﴿إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾[٤]، فسألتم موسى عليه السلام فقال لكم: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾[٦]، وأصل الكلام: (هواه إلهه) كما تقول: اتخذ الصنم معبوداً، لكن قدّم المفعول الثاني على الأول للعناية.

والأصل في الاختصاص إفادة العناية والاهتمام بالمقدَّم، ولذلك دأب كثير من المفسرين والبيانيين على تعليل التقديم بإفادة العناية.

قال سيبويه: (كأنّهم إنَّما يقدّمون الذي بيانه أهمّ لهم، وَهُم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يُهِمّانِهم ويَعْنِيانهم)[٧].

وهذا وإن كان هو الأصل إلا أنّ الأجود تفسير تلك العناية والكشف عن وجهها.

---

(١) سورة الشرح، الآية: ٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٧٢.
(٣) معالم التنزيل، ١٠٨/١.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٧٢.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٦٧.
(٦) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.
(٧) الكتاب، ١٥/١.

القسم الثاني: ما قدم في آية وأُخر في آية أخرى:

وأمثلة هذا القسم من التقديم والتأخير كثيرة جداً في القرآن الكريم، واعتبارات التقديم والتأخير متنوّعة، ومشتملة على لطائف لا تنقضي، نلمح الى بعضٍ منها على سبيل المثال:

١. **نرزقكم وإياهم:** ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**﴾(١)، وقوله: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا**﴾(٢)، فقدم رزق الآباء في الآية الأولى على الأبناء، وفي الثانية قدم رزق الأبناء على الآباء وذلك أن الكلام في الآية الأولى موجه إلى الفقراء دون الأغنياء فهم يقتلون أولادهم من الفقر الواقع بهم لا أنهم يخشونه، فأوجبت البلاغة تقديم عِدَتهم بالرزق تكميل العِدة برزق الأولاد.

وفي الآية الثانية الخطاب لغير الفقراء وهم الذين يقتلون أولادهم خشية الفقر لا أنهم مفتقرون في الحال، وذلك أنهم يخافون أن تسلبهم كلف الأولاد ما بأيديهم من الغنى فوجب تقديم العدة برزق الأولاد فيأمنوا ما خافوا من الفقر.

٢. **فجاجاً سبلاً:** فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ**﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا، لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا**﴾(٤)، فقدم الفجاج على السبل في الآية الأولى وأخرها عنها في آية نوح وذلك أن الفجّ

---

(١) سورة الانعام، الآية: ١٥١.

(٢) سورة الاسراء، الآية: ٣١.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٣١.

(٤) سورة نوح، الآية: ٢٠.

في الأصل هو الطريق في الجبل أو بين الجبلين، فلما تقدم في آية الأنبياء ذكر الرواسي وهي الجبال قدم الفجاج لذلك بخلاف آية نوح عليه السلام فإنه لم يرد فيها ذكر للجبال فأخرها. فوضع كل لفظة في الموضع الذي تقتضيه.

٣. **قتلتم أو متم:** ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ، وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ**﴾[١] فقدم القتل على الموت في الآية الأولى وقدم الموت في الآية التي تليها.

وسبب ذلك والله أعلم أنه لما ذكر في الآية الأولى: {في سبيل الله} وهو الجهاد قدم القتل إذ هو المناسب لأن الجهاد مظنّة القتل، ثم هو الأفضل أيضاً ولذا ختمها بقوله: {لمغفرة من الله ورحمة} فهذا جزاء الشهيد ومن مات في سبيل الله عز وجل.

ولما لم يقل في الثانية {في سبيل الله} قدم الموت على القتل لأنه الحالة الطبيعية في غير الجهاد ثم ختمها بقوله {لإلى الله تحشرون} إذا الميت والمقتول كلاهما يحشره الله إليه.

فشتان ما بين الخاتمتين. فلم يزد في غير الشهيد ومن مات في سبيل الله على أن يقول: {لإلى الله تحشرون} وقال في خاتمة الشهيد: {لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون} فوضع كل لفظة الموضع الذي يقتضيه السياق.

٤. **اللعب واللهو:**

في قوله تعالى: ﴿**وما الحياةُ الدّنيا إلا لَعِبٌ ولهوٌ وللدّارُ الآخرةُ خيرٌ للذينَ يتّقونَ أفلا تَعقلونَ**﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ**﴾[١].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٧-١٥٨.

(٢) سورة الانعام، الآية: ٣٢.

كل الآيات في القرآن الكريم جاء اللعب مقدّماً على اللهو إلا في هذه الآية من سورة العنكبوت: ﴿**وما هذهِ الحياةُ الدنيا إلا لهوٌ ولَعِبٌ وإنّ الدارَ الآخرةَ لَهِيَ الحيوانُ لو كانُوا يَعلمونَ**﴾(٢). ولو لاحظنا الآية التي سبقت هذه الآية في نفس السورة: ﴿**اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾(٣). فالرزق ليس مدعاة اللعب وإنما مدعاة اللهو كما في قوله تعالى في سورة المنافقون: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾(٤)، ففي الآية نهي من الله تعالى للمؤمنين عن الالتهاء بجمع الأموال، والعباد عموماً يلتهون بالمال سواء كانوا ممن بسط الله تعالى لهم الرزق أو ممن قُدر عليهم رزقهم، وعليه تقدّم ذكر اللهو على اللعب في آية سورة العنكبوت دون باقي السور(٥).

وقدَّم ذِكْرَ اللَّعبِ على اللَّهْوِ عندمَا كانتِ الآياتُ السَّابقةُ لَهَا تتحدَّثُ عن الآخرة ونتائِجها، وأمَّا عندَما قَدَّم ذكْر اللَّهوِ على اللَّعِب، كانتِ الآياتُ السَّابِقةُ لَها تتحدَّثُ عن الدُّنيَا.

٥. **المبني للمجهول والمبني للمعلوم:** ما جاء بصيغة المبني للمجهول سابقاً ومتقدّماً على المبني للمعلوم خلافاً للمعهود؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا، قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا**﴾(٦).

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٠.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦٢.

(٤) سورة المنافقون، الآية: ٩.

(٥) ظ: د. فاضل السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص٢٢٠.

(٦) سورة الانسان، الآية: ١٥-١٦.

وقوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا﴾[١].

قال الكرماني (ت:٩٧٥هـ): (إنما ذكر الأول بلفظ المجهول لأن المقصود ما يطاف به لا الطائفون، ولهذا قال: (بآنية من فضة) ثم ذكر الطائفين فقال: (ويطوف عليهم ولدان مخلّدون)[٢]، فالصيغة الأولى جاءت بالبناء للمجهول لأن الفاعل غير مراد، ولكن المراد تسليط الضوء ولفت الذهن إلى النعم المتعددة في السياق، فإذا انتهى من تعداد ذلك، كان لائقاً التعقيب بذكر هؤلاء الغلمان الذين يقومون بخدمة المؤمنين ويقدّمون لهم ما يقدّم من ألوان هذه النعم التي ذكرت من قبل، وإنه لمن المعقول حقاً أن يتقدّم تعداد النعم على من يقومون بتقديمها.

سادساً: مقاصد التقديم والتأخير في القرآن الكريم:

لا بد من توافر المقصد الذي من أجله يقدم ماكان مؤخراً، وبالتالي فقد تأخر ماكان مقدّماً، وتلك الغاية تندرج تحت مايعرف بأسباب التقديم في الأسلوب العربي، تلك الأسباب التي تضافرت على معرفتها وتحديدها جهود البلاغيين قديماً وحديثاً، وتتحدد الأسباب الداعية إلى التقديم في بناء الجملة في القرآن الكريم فيما نلحظه بأختصار فيما يلي[٣]:

(١) أن يكون التقديم هو الأصل ولا مقتضى للعدول عنه: حيث لا يؤدي تأخيره إلى زيادة معنى، أو مراعاة حال، أو مسايرة مقام، ومن ذلك تقديم الفعل على الفاعل، والمبتدأ على الخبر، وصاحب الحال عليها، وربما لا يكون ذلك

---

(١) سورة الانسان، الآية: ١٩.

(٢) البرهان في متشابه القرآن، ص٣١٩.

(٣) للتوسعة ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٣٢٣/٣، ابن جزي الكلبي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، ٣٧٦/٢، السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ص١٢٥، إبراهيم الأبياري، الموسوعة القرآنية – التقديم والتأخير–، ٥٥/٣، صورية بوصوار، مقاصد التقديم والتأخير في دلائل الإعجاز، ص٧٨.

تقديماً لهذه الألفاظ بقدر ماهو حفاظ على البنية الأصلية للجملة حين لايؤدي الانحراف عنها إلى الفرع مغزى يستفاد.

وممّا ورد فيه الفعل على أصله في التقديم قوله تعالى: ﴿قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾(٢).

وممّا ورد فيه المبتدأ على أصله في التقديم قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الكِتَابُ لَارَيْبَ فِيهِ﴾(٣) وقوله تعالى: ﴿الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أو تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾(٤)

وممّا ورد فيه صاحب الحال على أصله في التقدم على الحال قوله تعالى: ﴿وجَاءَ رجلٌ من أَقْصَى المَدينَةِ يَسْعَى﴾(٥).

(٢) التبرُّك؛ كتقديم اسم الله تعالى في الأمور ذات الشأن، ومنه قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾(٦)، وقوله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾(٧). إذ ذهب أكثر المفسرين إلى أن قوله: {لله} افتتاح كلام على سبيل التبرك، وإضافة هذا المال إلى الله لشرفه، وليس المراد منه أن سهماً من الغنيمة لله منفرداً، فإن الدنيا والآخرة كلها لله سبحانه.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١١.
(٢) سورة المجادلة، الآية: ٠١
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٩٩.
(٥) سورة القصص، الآية: ٢٠.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٨.
(٧) سورة الانفال، الآية: ٤١.

(٣) التعظيم؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَالرَّسُولَ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَّ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَاللهُّ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾[٣].

(٤) التشريف؛ كتقديم الحُر على العبد في قوله تعالى: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾[٥]، والخيل في قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾[٧]، ومِن ذلك تقديمه النبي الخاتم ﷺ على نوحٍ ومن معه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾[٨]، وتقديم الرسول في قوله تعالى: ﴿مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾[٩]، وتقديم المهاجرين في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾[١٠].

(٥) أن يكون في التَّأخير إخلال ببيان المعنى فيقدم لتلافي ذلك، ولألتباسه بغيره، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾[١١]، فإنَّه لو أخَّر

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٦٢.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٧٨.
(٥) سورة فاطر، الآية: ٢٢.
(٦) سورة النحل، الآية: ٨.
(٧) سورة الاسراء، الآية: ٣٦.
(٨) سورة الاحزاب، الآية: ٧.
(٩) سورة الحج، الآية: ٥٢.
(١٠) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.
(١١) سورة غافر، الآية: ٢٨.

قولَه: {مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ} عن قوله: {يَكْتُمُ إِيمَانَهُ} لتوَّهم أنَّه من صلة (يكتم)، فلا يُفهم أنَّه منهم.

(٦) **المناسبة**، وهي إما مناسبة المتقدم لسياق الكلام؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾[١]؛ فإن الجمال وإن كان ثابتاً حالتي السراح والإراحة، إلا أنها حالة إراحتها وهو مجيئها من المرعى آخر النهار يكون الجمال بها أفخرَ؛ إذ هي فيه بطانٌ، وحالة سراحها للمرعى أول النهار يكون الجمال بها دون الأول؛ إذ هي فيه خماصٌ، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾[٢] قدم نَفْي الإسراف؛ لأن الشرف في الإنفاق.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[٣]، قدمها على الابن لَمَّا كان السياق في ذكرها في قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾[٤]؛ ولذلك قدم الابن في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾[٥]، وحسَّنه تقدُّم موسى في الآية التي قبله.

(٧) **الحث عليه، والحض على القيام به؛ حذراً من التهاون به**؛ كتقديم الوصية على الدَّيْنِ في قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾[٦]، مع أن الدَّين مقدمٌ عليها شرعاً، أمّا سببُ ذكر الوصية قبل الدَّيْن في الآية فالظاهر أنَّ الدَّيْن لما كان مفروغاً مِنْه مِن حيث وجوب تسديده، وأنَّ الوصية نوعٌ من التبرع،

(١) سورة النحل، الآية: ٦.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٩١.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٩١.
(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٥٠.
(٦) سورة النساء، الآية: ١١.

فلئلا يتساهل الورثةُ في تنفيذها قدَّمها الله سبحانه على الدَّيْن، وعطف الدَّيْن عليها بـ(أو) ليدلَّ على أنَّها من الثلث واجبةُ التنفيذ كالدَّيْن.

(٨): **السبق**، وهو إما في الزمان باعتبار الإيجاد، بتقديم الليل على النهار، والظلمات على النور، وآدم على نوحٍ، ونوح على إبراهيم، وإبراهيم على موسى، وهو على عيسى، وداود على سليمان، والملائكة على البشر في قول الله تعالى: ﴿**اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ**﴾(١)، وعاد على ثمود، والأزواج على الذرية في قوله تعالى: ﴿**قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ**﴾(٢).

والسِّنَة على النوم في قوله تعالى: ﴿**لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ**﴾(٣)، أو باعتبار الإنزال؛ كقوله تعالى: ﴿**صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿**وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ، مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ**﴾(٥)، أو باعتبار الوجوب والتكليف؛ نحو قوله تعالى: ﴿**ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا**﴾(٦)، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ**﴾(٧)؛ ولهذا كان جواب النبي ﷺ لمن سأله بأيهما نبدأ السعي؟ قال النبي ﷺ: (نبدأ بما بدأ اللهُ به).

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٤) سورة الأعلى، الآية: ١٩.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣-٤.

(٦) سورة الحج، الآية: ٧٧.

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

أو بالذات؛ نحو قوله تعالى: ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾[٢]، وكذا جميع الأعداد، كل مرتبةٍ هي متقدمةٌ على ما فوقها بالذات، وأما قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾[٣]؛ فللحثِّ على الجماعة والاجتماع على الخير.

(٩) السببية؛ كتقديم العزيز على الحكيم؛ لأنه عزَّ فحكَم، والعليم عليه؛ لأن الإحكامَ والإتقانَ ناشئٌ عن العلم، وأما تقديمُ الحكيم عليه في سورة الأنعام فلأنَّه مقامُ تشريعِ الأحكام.

ومنه: تقديم العبادة على الاستعانة في سورة الفاتحة؛ لأنها سببُ حصول الإعانة، وكذا قوله تعالى: ﴿يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٤]، لأن التوبة سبب الطهارة.

وفي قوله تعالى: ﴿يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾[٥]؛ قدم البصر لأن البصرَ داعيةٌ إلى الفَرْجِ.

(١٠) الكثرة؛ كقوله تعالى: ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾[٦]؛ لأن الكفار أكثر.

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١.
(٢) سورة المجادلة، الآية: ٧.
(٣) سورة سبأ، الآية: ٤٦.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.
(٥) سورة النور، الآية: ٣٠.
(٦) سورة التغابن، الآية: ٢.

وفي قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾[١] قدَّم الظالم لكثرته؛ ثم المقتصد، ثم السابق؛ ولهذا قدَّم السارق على السارقة؛ لأن السرقة في الذكور أكثر، والزانية على الزاني؛ لأن الزنا فيهنَّ أكثر.

ومنه تقديم الرحمة على العذاب حيث وقع في القرآن غالباً؛ لأن الرحمة هي الأصل قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ..﴾[٢] ولهذا ورد في دعاء الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام (ت:٩٥هـ): (يامن سبقت رحمته غضبه)[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾[٤]، قال ابن الحاجب: إنما قدم الأزواج؛ لأن المقصود الإخبارُ أن فيهم أعداءً، ووقوع ذلك في الأزواج أكثر منه في الأولاد، وكان أقعد في المعنى المراد فقدم؛ ولذلك قدمت الأموال في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[٥]؛ لأن الأموالَ لا تكاد تفارقها الفتنةُ؛ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى، أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾[٦]، وليست الأولاد في استلزام الفتنة مثلها؛ فكان تقديمها أَوْلى.

(١١) الترقِّي من الأدنى إلى الأعلى؛ كقوله تعالى: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾[٧]، بدأ بالأدنى لغرض الترقي؛ لأن اليدَ أشرفُ من الرِّجْل، والعين أشرف من اليد، والسمع أشرف من البصر، ومن هذا النوع تأخير الأبلغ،

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٣٢.
(٢) سورة الانعام، الآية: ٥٤.
(٣) المجلسي، بحار الانوار، ٢٣٢/٩٥.
(٤) سورة التغابن، الآية: ١٤.
(٥) سورة التغابن، الآية: ١٥.
(٦) سورة العلق، الآية: ٦-٧.
(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٩٥.

وقد خرج عليه تقديم الرحمن على الرحيم، والرؤوف على الرحيم، والرسول على النبي في قوله: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾[١]، وذُكِرَ لذلك نُكَتٌ، أشهرها: مراعاة الفاصلة.

(١٢) التدلِّي مِن الأعلى إلى الأدنى، وهو ما نلحظه في قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[٤].

(١٣) منها كونه أدلَّ على القدرة وأعجب؛ كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾[٦].

قال الزمخشري: (قدم الجبال على الطير؛ لأن تسخيرها له وتسبيحَها أعجبُ وأدلُّ على القدرة، وأدخلُ في الإعجاز؛ لأنها جمادٌ، والطير حيوانٌ ناطقٍ)[٧].

(١٤) إفادة الحصر للاختصاص: وذلك بتقديم المفعول، والخبر، والظرف، والجار والمجرور، ونحوها، على الفعل؛ كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[٨]؛ أي نخصُّك بالعبادة، فلا نعبد غيرك.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[٩]؛ أي: إن كنتم تخصونه بالعبادة.

---

(١) سورة مريم، الآية: ٥١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٤٩.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٧٢.
(٥) سورة النور، الآية: ٤٥.
(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٧٩.
(٧) تفسير الكشاف، ٢/٥٨٠.
(٨) سورة الفاتحة، الآية: ٥.
(٩) سورة فصلت، الآية: ٣٧.

والخبر كقوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾(٢).

(١٥) **التقديم بقصد (الاهتمام) بالمقدَّم**، وهذا كثير في القرآن الكريم، منه قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾(٣)، فبدأ بالأمر بالصلاة؛ لأنها أهم العبادات، ومنه قوله سبحانه: ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾(٤)، فنلحظ قدم الجار والمجرور {وبالوالدين} على المصدر {إحسانا}؛ للاهتمام به.

(١٦) **التقديم بقصد (التحذير والتنفير)**، كقوله تعالى: ﴿الزَّانِي لا يَنْكِحُ إلا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾(٥)، فقد قدم الزانية على المشركة، مع أن جريمة الشرك أشنع؛ وذلك تحذيراً من الزنى، وتنفيراً عنه. ونحو هذا قوله سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾(٦)، قدم ذكر النساء على البنين؛ لأن المحنة بهن أعظم من المحنة بالأولاد.

(١٧) **التقديم لذكر الدليل**: جاء قسم من الآيات في القرآن الكريم وقُدِّمَ فيها الدليل على المدلول على الرغم من أنَّ ذكر المدلول الاوجب منطقياً إلاّ أنَّ أسلوب القرآن المعجز لا يحدهُ حد ولا يحاطُ قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ وَمَا يَسْتَوِي الاعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلا الْمُسِيءُ قَلِيلاً مَا تَتَذَكَّرُون إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾(٧). ذكر البقاعي (ت:٨٨٥هـ) مستدلاً على البعث لأن الاله الذي

(١) سورة مريم، الآية: ٤٦.
(٢) سورة الحشر، الآية: ٢.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٣.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٨٣.
(٥) سورة النور، الآية: ٣.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٤.
(٧) سورة غافر، الآية: ٥٧-٥٩.

خلق السماوات والارض على كبرهما قادر على إعادة الاجسام بعد فنائها والمراد توبيخ الكفار المتكبرين، إذ قال: (دلَّ ذلك قطعاً الى أن المراد نفي التساوي بين أفراد كل نوع، لأنَّ ذلك أدلَّ على القدرة فقَدّمَ الدليل ثم ذكر المدلول)[١]. فان الله ﷻ في هذه الآية كأنه يقول والله اعلم خلق السماوات والارض أكبر من خلق الناس فما بال هؤلاء يتكبرون على خالقهم وهم من أصغر مخلوقاته.

أخيراً يمكن القول بكل ثقة ان كل لفظة في التعبير القرآني جاءت مقصودة لذاتها، ووضعت موضعها الذي وضعت فيه في السياق القرآني، من أجل أن تؤدي معنى مقصوداً لا تؤديه لفظة أخرى غيرها. ولا تؤديه أيضاً نفس اللفظة إذا نقلناها من موضعها الذي هي فيه بالتقديم أو التأخير، ولو حدث لاختل المعنى المراد من الله ﷻ.

وبكلمة ختامية: إن لأسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم إعجاز فيّاض عظيم التدفّق لا يقع في حصر ولا تحويه أسطر في بحث ولا مؤلفات مختصة.. لأن تلمّس أسرار آيات الكتاب العزيز لا يقف عند حد في كلمة أو جملة، وهو وحقيق ما قاله ابن عاشور: (وإن للتقديم والتأخير في وضع الجمل وأجزائها في القرآن دقائق عجيبة كثيرة لا يحاط بها)[٢].

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٩٦/١٧-٩٧.
(٢) تفسير التحرير والتنوير، ١٠١/١.

الفصل الثامن

أسلوب الايجاز والاطناب في القرآن الكريم

الفصل الثامن:

أسلوب الايجاز والاطناب في القرآن الكريم

كل ما يجول في الصدر من المعاني، ويخطر ببالك معنًى منها لا يعدو التعبير عنه طريقاً من طرق ثلاث[١]:

أولاً: إذا جاء التعبير على قدر المعنى، بحيث يكون اللفظ مساوياً لأصل ذلك المعنى، فهذا هو «**المساواة**»، وهي الأصل الذي يكون أكثر الكلام على صورته، والدستور الذي يُقاس عليه. واللازم الإتيان بها حيث لا توجد دواعي الايجاز والإطناب، وهي **على قسمين:**

١. المساواة مع رعاية الاختصار، وذلك بتأدية المراد في ألفاظ قليلة الاحرف كثيرة المعنى، نحو قوله تعالى: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ**﴾[٢].

٢. المساواة من دون اختصار، وذلك بتأدية المعنى المراد بلا رعاية الإختصار، نحو قوله تعالى: ﴿**كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ**﴾[٣]، وقوله سبحانه: ﴿**وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ**﴾[٤]، فإن الكلام في هذه الامثلة لا يستغنى عن لفظ منه، ولو حذفنا منه ولو لفظاً واحداً لاختلّ معناه، وذلك لأنّ اللّفظ فيه على قدر المعنى لا ينقص عنه ولا يزيد عليه.

---

(١) للتوسعة ظ: أحمد الهاشمي (ت:١٩٤٣م)، جواهر البلاغة: في المعاني والبيان والبديع، ص٣٢، عبد الرحمن الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص٤٦٩،

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.

(٣) سورة الطور، الآية: ٢١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١١٠.

ثانياً: إذا نقص التعبير على قدر المعنى الكثير، فذلك هو «**الإيجاز**»، وسيتم بيانه ان شاء الله تعالى.

ثالثاً: إذا زاد التعبير على قدر المعنى لفائدة، فذاك هو «**الإطناب**»، فإن لم تكن الزيادة لفائدة فهي حشو أو تطويل. وسيمر علينا بيانه ان شاء الله تعالى.

فكل ما يخطر ببال المتكلم من المعاني فله في التعبير عنه بإحدى هذه الطرق الثلاث.

فتارة «يُوجز» وتارة «يُسهب» وتارة يأتي بالعبارة «بين بين».

ولا يعد الكلام في صورة من هذه الصور بليغاً، إلا إذا كان مطابقاً لمقتضى حال المخاطب، ويدعو إليه موطن الخطاب.

فإذا كان المقام للإطناب مثلاً، وعدلت عنه إلى الإيجاز أو المساواة، لم يكن كلامك بليغاً.

المبحث الأول: الإيجاز في في القرآن الكريم

أولاً: الإيجاز اللغة والاصطلاح:

١. **في اللغة:** ورد: وجز: وَجُزَ الكلام وجازةً ووجْزا وأَوْجَزَ: قلَّ في بلاغة، وأوجزه: اختصره. وكلام وجز: خفيف. وأمر»

وجز وواجز ووجِيز ومُوجَز ومُوجِز والوجز: الوَحَى؛ يقال: أوجَزَ فلان إيجازاً في كل أمر. وأمر وجيز .١«وكلام وجيز أي خفيف مقتصر[١].

(١) ظ: ابن منظور، لسان العرب، ٢٢١/١٥.

٢. **في الاصطلاح:** هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط[١].

أما العلوي (ت:٧٤٥هـ) فيقول في تعريفه للإيجاز هو: (دلالة اللفظ على معناه من غير نقصان فيخلّ ولا زيادة فيملّ)[٢].

من خلال هذه التعريفات وغيرها يتّضح أن معظم البلاغيين قد اّتفقوا على أن الإيجاز هو التعبير عن الأفكار الواسعة والمعاني الكثيرة بأقلّ عدد من الألفاظ، وأن تكون قّلة الألفاظ هذه وافية بالمعنى المراد وموضحة له.

كقوله تعالى: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾[٣]، فهذه الآية القصيرة جمعت مكارم الأخلاق بأسرها.

وكقوله تعالى: ﴿**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ**﴾[٤]، وكقوله ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات)[٥].

فإذا لم تفِ العبارة بالغرض سُمي (إخلالاً وحذفاً رديئاً) كقول اليشكري:

والعيش خير في ظلال ... النَّوْك ممن عاش كدَّا

مراده: أن العيش الناعم الرَّغد في حال الحمق والجهل خير من العيش الشاق في حال العقل، لكن كلامه لا يعد صحيحاً مقبولاً.

---

(١) ظ: السكاكي محمد بن علي، مفتاح العلوم، ص٢٧٧.

(٢) الطراز، ١٢٤/٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٥) المجلسي، بحار الانوار، ٢١٢/٦٧.

ثانياً: أقسام الإيجاز

ويقسم الإيجاز إلى قسمين: إيجاز حذف وإيجاز قصر.

أولاً: الإيجاز بالحذف: و(هو ما يحذف منه المفرد والجملة، لدلالة فحوى الكلام على المحذوف، ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه(...) ينتبه له من غير كبير كلفة في استخراجه لمكان المحذوف منه)[١].

وإيجاز الحذف يكون بحذف شيء من العبارة لا يخِلُّ بالفهم، عند وجود ما يدل على المحذوف من قرينة لفظية أو معنوية.

حيث يقول ابن الأثير: (قد يظهر المحذوف بالإعراب كقولنا "أهلاً وسهلاً" فإن نصب الأهل والسهل يدلّ على ناصب محذوف، وليس لهذا من الحسن ما للذي لا يظهر بالإعراب، وإّنما يظهر بالّنظر إلى تمام المعنى، كقولنا: "فلان يحلّ ويعقد" فإن ذلك لا يظهر المحذوف فيه بالإعراب، وإّنما يظهر بالنظر إلى تمام المعنى، أي أنّه يحل الأمور ويعقدها)[٢].

أنواع إيجاز الحذف: وله أنواع كثيرة إذ ان ذلك المحذوف قد يكون:

(١) حرفاً، كقوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً﴾[٣] أصله: ولم أكن.

(٢) اسماً مضافاً، نحو قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾[٤] أي: في سبيل الله تعالى.

---

(١) ابن الأثير، المثل السائر، ٥٨/٢.

(٢) المصدر نفسه، ٦٢/٢.

(٣) سورة مريم، الآية: ٢٠.

(٤) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٣) اسماً مضافاً إليه، نحو قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾[١] أي: بعشر ليالٍ.

(٤) اسماً موصوفاً، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾[٢]؛ أي: عملاً صالحاً.

(٥) اسماً صفة، نحو قوله تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾[٣]؛ أي: مضافاً إلى رجسهم.

(٦) شرطاً، نحو قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[٤]؛ أي: فإن تتبعوني.

(٧) جواب شرط، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾[٥]؛ أي: لرأيت أمراً فظيعاً.

(٨) مسنداً، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[٦]؛ أي: خلقهن الله ﷻ.

(٩) مسنداً إليه، كما في قوله تعالى: ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾[١]؛ أي أنا عجوز.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٢.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٧١.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٥.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣١.
(٥) سورة الانعام، الآية: ٢٧.
(٦) سورة الزمر، الآية: ٣٨.

(١٠) أو متعلقاً، نحو قوله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[٢]؛ أي: عما يفعلون.

(١١) أو جملة، نحو قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ﴾[٣]؛ أي: فاختلفوا فبعث.

(١٢) أو جملاً، كقوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلُونِ، يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾[٤]، أي: فأرسلوني إلى يوسف لأستعبره الرؤيا، فأرسلوه فأتاه، وقال له: يوسف أيها الصديق.

ثانياً: إيجاز القصر: هو ما تزيد فيه المعاني على الألفاظ الدّالة عليها بلا حذف، وللقرآن الكريم في ذلك المثل الأعلى، قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[٥]، فتلك آية جمعت مكارم الأخلاق وانطوى تحتها كل دقيق وجليل، إذ في العفو الصفح على من أساء والرفق في سائر الأمور بالمسامحة.

فيكون بتضمين المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف، كقوله تعالى أيضاً: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[٦].

فإن معناه كثير، ولفظه يسير؛ إذ المراد أن الإنسان إذا علم أنه متى قَتَلَ قُتِلَ امتنع عن القتل، وفي ذلك حياته وحياة غيره؛ لأن القتل أنفى للقتل، وبذلك تطول

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٢٩. ومثاله المشهور قول حاتم الطائي: (أماويُّ ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر)، أي: إذا حشرجت النفس يوماً.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٤٥.

(٥) سورة الاعراف، الآية: ١٩٩.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

الأعمار، وتكثر الذرية، ويقبل كل واحد على ما يعود عليه بالنفع، ويتم النظام، ويكثر العمران.

فالقصاص: هو سبب ابتعاد الناس عن القتل، فهو الحافظ للحياة.

وقد كان العرب يستحسنون بل يعجبون بحكمة قالوها ويعتبرونها قمة البلاغة لما فيها من إيجاز وهي قولهم: (القتل أنفى للقتل)[١].

إلا اننا نلحظ في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ ما يفوق ما استحسنه العرب من أربعة أوجه:

الأول: أن الآية أكثر فائدة، ففيها من المعاني والفوائد ما في قولهم (القتل أنفى للقتل) وزيادة المعاني الحسنة الآتية:

١. إبانة العدل بذكر كلمة القصاص وأن القتل ليس تشفياً من المقتول.
٢. الترغيب في القصاص بذكر الحياة وجعلها نتيجة له.
٣. القصاص يشمل النفس والأعضاء بخلاف لفظ القتل، فإنه قاصر على النفس.

ثم إن مفاد الآية مستقيم على إطلاقه لأن الإنسان إذا علم أن اعتداءه على الآخرين يوجب القصاص منه ارتدع عن قتلهم أو جرحهم فكان ذلك سبب حياته وحياة من أراد قتله. أما الحكمة فإن مفادها غير مستقيم على إطلاقه، فليس كل قتل أنفى للقتل كما تقول، بل إن القتل عدواناً أدعى للقتل وليس أنفى له[٢].

---

(١) ظ: الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ٤٩١/١.

(٢) ظ: د. حسين مطاوع الترتوري، الإعجَازُ البياني لِلقُرآن الكريم اركانه ومظَاهره، ص٢٣٠.

الثاني: الآية أوجز عبارة، فإن قوله تعالى: {الْقِصَاصِ حَيَاةٌ} تتكون من عشرة أحرف، أما قولهم (القتل أنفى للقتل) فيتكون من أربعة عشر حرفاً.

الثالث: الآية لا تكرار فيها بخلاف حكمة العرب ففيها تكرار لفظ القتل.

الرابع: الآية أحسن تأليفاً لملاءمة حروفها بعضها بعضاً، يقول الرماني (ت:٣٨٤هـ): (وأما الحسن بتأليف الحروف المتلائمة فهو مدرك بالحس وموجود في اللفظ، فإن الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة، لبعد الهمزة عن اللام. وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللام)[١].

وهذا القسم مطمح نظر البلغاء، وبه تتفاوت أقدارهم، حتى إن بعضهم سُئل عن «البلاغة» فقال: هي «إيجاز القصر».

ثالثاً: أسباب الإيجاز:

وللإيجاز دواعي كثيرة منها:

١. **تسهيل الحفظ:** ولذلك صار العلماء يختصرون الكتب المطولة.

٢. **تقريب الفهم:** ولربما إذا طال الكلام يُنسِي آخرُه أوله، فإذا صار قصيراً فهمه الإنسان.

٣. **ضيق المقام:** بأن يكون الإنسان عجولاً، لا يستطيع التطويل؛ لأن المقام لا يقتضيه.

٤. **الإخفاء:** يعني: أنه يحذف بعض الأمور؛ إخفاءً لها.

---

(١) النكت في إعجاز القرآن، ص٧٨.

٥. سآمة المحادثة: وذلك يعني أن الذي تحادثه سئم منك، وأنت تشعر بهذا، إذا أخذ يقول لك: كفى، فأنت تتحدث، وهو يقول: كفى، وأنت تسأله عن حاله وحال أولاده، وهو يقول لك: كفى، فهنا يحسن الإيجاز؛ ولهذا ينبغي إذا خاطبنا الناس الذين عندهم أشغال كثيرة ألا نطيل عليهم، بل نختصر لهم الحديث اختصاراً.

ويستحسن «الإيجاز» في الاستعطاف، وشكوى الحال، والاعتذارات والتعزية، والعتاب، والوعد، والوعيد، والتوبيخ، ورسائل طلب الحاجات، وجباية الأموال، ورسائل الملوك في أوقات الحرب إلى الولاة، والأوامر والنواهي الملكية، والشكر على النعم.

ومرجعك في إدراك أسرار البلاغة إلى الذوق الأدبي، والإحساس الروحي.

ومما تقدم يمكن القول أن الإيجاز قد احتلّ مكانة عالية في كلام العرب لما له من جمالية في الأسلوب والتعبير والسهولة في الحفظ وفي تقريب المعاني.

المبحث الثاني: الإطناب:

بعد بيان الايجاز وأشياء من تفاصيله، تكون تتمة الفصل في بيان الاطناب وعلى النحو الآتي:

أولاً: الاطناب في اللغة والاصطلاح:

١. الإطناب **في اللغة:** من خلال التعريفات التي تم مراجعتها يّتضح أن الإطناب لغةً لم تختلف معانيه في المعاجم العربية، فقد جاء بمعنى: الشّدة، القوة، البعد، الطول الثبات والكثرة[١]، والمعنى القريب الذي يصب في موضوع بحثي هو الطول.

٢. **وفي الاصطلاح:** الإطناب هو البسط والمد في الكلام فهو عكس الإيجاز.

ومنهم من جعل الإطناب هو تكثير الجمل، فانقسم الإطناب بذلك إلى قسمين: البسط والزيادة، فالأول هو الإطناب بالجمل، والثاني هو الإطناب بغيرها، وعقّب ابن معصوم على ذلك بأنّ علماء البديع لا يعرفون هذا[٢].

إذن هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن متعارف أوساط البلغاء لفائدة تقويته وتوكيده، نحو قوله تعالى: ﴿**رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**﴾[٣]؛ أي: كبرتُ.

فإذا لم تكن في الزيادة فائدة يُسمى «تطويلاً» إن كانت الزيادة في الكلام غير متعينة.

---

(١) ظ: ابن منظور، لسان العرب، ١٠/٩ (مادة طنب)، أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٣٢/٢ مادة طنب.

(٢) ظ: ابن معصوم الحسني، أنوار الربيع في أنواع البديع، ص٤٤١.

(٣) سورة مريم، الآية: ٤.

ثانياً: أقسام الزيادة:

مما تقدم ينقسم الزائد على أصل المراد إلى ثلاثة أقسام:

١. **الإطناب**، وهو تأدية المعنى بعبارة أكثر منه لغرض مّا، كما تقدَّم.

٢. **التطويل**، وهو تأدية المعنى بعبارة أكثر بلا فائدة، مع كون الزيادة في الكلام غير متعيّنة نحو قول العبادي:

وقدّدت الأديم لراهِشيه وألفى قولها كذباً ومَينا

فإن (الكذب) و(المين) بمعنى واحد، ولا يتعيّن الزائد منها، لصلاحية كل منهما لذلك.

٣. **الحشو**، وهو تأدية المعنى بعبارة أكثر بلا فائدة، مع كون الزيادة متعيّنة في الكلام غير مفسدة للمعنى نحو قول الشاعر:

واعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غدٍ عمي

فإنّ كلمة (قبله) زائدة لوضوح ان الامس قبل اليوم.

وكل من الحشو والتطويل معيب في البيان، وكلاهما بمعزل عن مراتب البلاغة.

ثالثاً: أسباب الاطناب:

وللاطناب دواعي كثيرة منها: تثبيت المعنى، وتوضيح المراد والتوكيد، ودفع الإيهام، وإثارة الحمية؛ وغير ذلك.

يتّضح وبشكل جليّ أن الإطناب يكون في زيادة المعاني لا في زيادة الألفاظ، فإن اللفظ إذا زاد لا يكون الكلام من الإطناب البليغ إلاّ إذا زادت معه المعاني، أما إذا كانت كثرة العبارة عن المعنى الواحد أو المعاني القليلة فهذا يسمى تطويل أو إسهاب وهي صفة قدح. إذن فالشرط الرئيسي فيه أن تحقّق الزيادة فائدة جديدة على المعنى وهذا هو الذي يميّز الإطناب عن غيره.

رابعاً: أنواع الإطناب:

للاطناع أنواع كثيرة ذكرها أهل الاختصاص، نذكر منها:

أولاً: ذكر الخاص بعد العام، كقوله تعالى: ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى**﴾(١)، وفائدته التنبيه على مزية وفضل في الخاص، حتى كأنه لفضله ورفعته جزء آخر مغاير لما قبله؛ ولهذا خص الصلاة الوسطى «وهي العصر» بالذكر لزيادة فضلها.

ثانياً: ذكر العام بعد الخاص، كقوله تعالى: ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾(٢).

وفائدته شمول بقية الأفراد، والاهتمام بالخاص لذكره ثانياً في عنوان عام، بعد ذكره أولاً في عنوان خاص.

ثالثاً: الإيضاح بعد الإيهام؛ لتقرير المعنى في ذهن السامع بذكره مرتين، مرة على سبيل الإيهام والإجمال، ومرة على سبيل التفصيل والإيضاح، فيزيده ذلك نبلاً وشرفاً، كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ**

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

(٢) سورة نوح، الآية: ٢٨.

عَذَابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾(١)، وفي قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾(٢).

فقوله تعالى: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ﴾ تفسير وتوضيح لـ «ذلك الأمر» المبهم، وفائدته توجيه الذهن إلى معرفته، وتفخيم شأن المبين، وتمكينه في النفس، فأبهمَ في كلمة «الأمر» ثم وضحه بعد ذلك؛ تهويلاً لأمر العذاب.

رابعاً: التوشيع، وهو أن يؤتى في آخر الكلام بمثنًّى مفسر بمفردين؛ ليرى المعنى في صورتين، تخرج فيهما من الخفاء المستوحش إلى الظهور المأنوس، نحو قوله ﷺ: (العلم علمان: علم الأديان وعلم الأبدان)(٣).

خامساً: التكرير، وهو ذكر الشيء مرتين أو أكثر لأغراض:

١: **التأكيد وتقرير المعنى في النفس**، كقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾(٤)، وكقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾(٥).

٢: **تناسق الكلام، فلا يضره طول الفصل**، لئلا يجيء مبتوراً ليس له طلاوة، كقوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾(٦)، فكرر «رأيت» لطول الفصل.

٣: **قصد الاستيعاب**، نحو: قرأت الكتاب باباً باباً، وفهمته كلمة كلمة.

---

(١) سورة الصف، الآية: ١٠.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٦٦.
(٣) المجلسي، بحار الانوار، ٢٢٠/١.
(٤) سورة التكاثر، الآية: ٤.
(٥) سورة الشرح، الآية: ٥.
(٦) سورة يوسف، الآية: ٤.

٤: **زيادة الترغيب في العفو**، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(١).

٥: **الترغيب في قبول النصح باستمالة المخاطب لقبول الخطاب**، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ، يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾(٢).

تكرير «يا قوم» تعطيف لقلوبهم؛ حتى لا يشكُّوا في إخلاصه لهم في نصحه.

٦: **التنويه بشأن المخاطب**، نحو: إن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إبراهيم.

٧: **الترديد**، وهو تكرار اللفظ متعلقاً بغير ما تعلق به أولاً، نحو قول الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: (السخي قريب من الله، قريب من الجنة، قريب من الناس، بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الجنة، بعيد من الناس، قريب من النار)(٣).

٨: **التلذذ بذكره**، نحو قولك:

علي وصي عليّ رضي عليّ تقي عليّ نقيّ

٩: **الإرشاد إلى الطريقة المثلى**، كقوله تعالى: ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى، ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾(٤).

---

(١) سورة التغابن، الآية: ١٤.

(٢) سورة غافر، الآية: ٣٨-٣٩.

(٣) المجلسي، بحار الانوار، ٣٥٦/٦٨.

(٤) سورة القيامة، الآية: ٣٤-٣٥.

١٠: **للتهويل بالتكرير**، كقوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ، مَا الْحَاقَّةُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾(١).

سادساً: الاعتراض، الاعتراض لغرض يقصده المتكلم بأن يؤتى في أثناء الكلام بجملة في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين في المعنى بجملة معترضة أو أكثر لا محل لها من الإعراب. وذلك لأغراض يرمي إليها البليغ غير دفع الإيهام، منها:

١: الدعاء، نحو: إني «حفظك الله» مريض.

وكقول عوف بن محلم الشيباني:

إن الثمانين –وبُلغتها– ... قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

٢: والتنبيه على فضيلة العلم، كقول الآخر:

واعلم –فعلم المرء ينفعه– ... أن سوف يأتي كل ما قُدِّرا

٣: والتنزيه، كقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لله الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾(٢).

٤: والمبالغة في التأكيد، كقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾(٣).

٥: والاستعطاف، كقول الشاعر:

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه ... يا جنتي لرأيت فيه جهنما

٦: والتهويل، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾(١).

---

(١) سورة الحاقة، الآية: ١–٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ٥٧.

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٤.

٧: ومنها: الإيغال، وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة، يتم المعنى بدونها، كالمبالغة في قول الخنساء:

وإن صخرًا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

فقولها: «كأنه علم» وافٍ بالمقصود، لكنها أعقبته بقولها «في رأسه نار» لزيادة المبالغة، ونحو: قوله تعالى: ﴿وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٢).

٨: ومنها: التذييل، وهو أن يأتي بعد الجملة الأولى بجملة أُخرى تشتمل على معناها وذلك لأحد أمرين:

الأول: التأكيد، وهو إما **تأكيد المنطوق**، نحو قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾(٣).

وإما **تأكيد المفهوم**، كقوله:

ولست بمستبق أخاً لاتلمّه ... على شعث أيّ الرجال المهذب؟

الثاني: التذييل، وهو على قسمين: قسم يستقل بمعناه؛ لجريانه مجرى المثل، وقسم لا يستقل بمعناه؛ لعدم جريانه مجرى المثل.

فالأول: الجاري مجرى الأمثال؛ لاستقلال معناه، واستغنائه عما قبله، كقول طَرَفة:

كلكم أروغ من ثعلب ... ما أشبه الليلة بالبارحَةْ

---

(١) سورة الواقعة، الآية: ٧٦.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٨.

(٣) سورة الاسراء، الآية: ٨١.

والثاني: غير الجاري مجرى الأمثال؛ لعدم استغنائه عما قبله، ولعدم استقلاله بإفادة المعنى، كقول النابغة:

لم يُبْقِ جودُك لي شيئًا أؤمِّله ... تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

فالشطر الثاني مؤكد للأول، وليس مستقلاً عنه، فلم يجرِ مجرى المثل.

٩: ومنها: الاحتراس، ويقال له: التكميل، وهو أن يُؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم.

فالاحتراس يوجد حيثما يأتي المتكلم بمعنًى يمكن أن يدخل عليه فيه لوم، فيفطن لذلك، ويأتي بما يخلصه، سواء أوقع الاحتراس في وسط الكلام، كقول طرفة بن العبد:

فسقى ديارَك غير مفسدها ... صوبُ الربيع وديمةٌ تهمي

فقوله: «غير مفسدها» للاحتراس.

أو وقع الاحتراس في آخره، نحو قوله تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ**﴾[١]؛ أي: (على حب الطعام، والمعنى: يطعمون الطعام أشد ما تكون حاجتهم إليه)[٢]، واشتهائهم له، وذلك أبلغ في الكرم، فلفظ «على حُبِّه» فضلة للاحتراس ولزيادة التحسين في المعنى.

وكقول أعرابية لرجل: (أذل الله كل عدو لك إلا نفسك).

---

(١) سورة الانسان، الآية: ٨.

(٢) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ٢١٦/١٠.

١٠: التتميم، وهو زيادة فضلة، كمفعول أو حال أو تمييز أو جار ومجرور، توجد في المعنى حُسناً بحيث لو حذفت صار الكلام مبتذلاً، كقول ابن المعتز يصف فرساً:

صببنا عليها «ظالمين» سياطنا ... فطارت بها أيدٍ سراعٌ وأرجلُ

إذ لو حذف (ظالمين) لكان الكلام مبتذلاً، لا رقة فيه ولا طلاوة، وتوهم أنها بليدة تستحق الضرب.

١١. تقريب الشيء المستبعد وتأكيده لدى السامع، كما تقول في الشيء المستبعد: (رأيته بعيني وسمعته بأذني وذقته بفمي) تقول ذلك لتأكيد المعنى وتقريره.

١٢. الدلالة على الشمول والإحاطة، كقوله تعالى: ﴿**فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ**﴾[١]، السقف لا يخر طبعاً إلا من فوق، ولكنه دل بقوله: «من فوقهم» على الإحاطة والشمول.

واعلم أن الإطناب أرجح عند بعضهم من الإيجاز، وحجته في ذلك أن المنطق إنما هو البيان، والبيان لا يكون إلا بالإشباع، والإشباع لا يقع إلا بالإقناع، وأفضل الكلام أبينه، وأبينه أشده إحاطة بالمعاني، ولا يُحاط بالمعاني إحاطة تامة إلا بالاستقصاء والإطناب.

والمختار أن الحاجة إلى كل من الإطناب والإيجاز ماسة، وكل موضع لا يسد أحدهما مكان الآخر فيه، وللذوق السليم القول الفصل في موطن كل منهما في مراعاة مقتضيات الأحوال.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٢٦.

ومن أمثلة مراعاة مقتضيات الأحوال بكلّ من "المساواة والإيجاز والإطناب" ما جاء فيما حكاه الله ﷻ من قصة موسى والخضر عليهما السلام:

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً * قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً * قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَآءَ اللهُ صَابِراً وَلاَ أَعْصِي لَكَ أمْراً * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَن شَيءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً * قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاَماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً * قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْراً * فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً * قَالَ هَاذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً﴾(١).

* نلاحظ في هذا النص أنّ الخضر عليه السلام قال لموسى عليه السلام في بدء الأمر: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾.

هذا كلام مؤكّد مُسَاوٍ للمعنى المقصود بيانه، لا إطناب فيه ولا إيجاز.

* وحين اعترض موسى عليه السلام الاعتراض الأول على الخضر بشأن خرقه السفينة، قال له الخضر:

﴿أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾.

---

(١) سورة الكهف، الآيات: ٦٦-٨٢.

هذا أيضاً كلامٌ مُؤَكَّدٌ ومُسَاوٍ للمعنى المقصود بيانه، لا إطناب فيه ولا إيجاز.

وحين اعترض موسى عليه السلام الاعتراض الثاني على الخضر بشأن قتله الغلام، قال له الخضر:

﴿أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾.

فَأَطْنَبَ إذْ أضاف عبارةَ {لَكَ} مع أنَّ هذه الزّيادة لا لزوم لها في الكلام المساوي، فعبارة: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾ بأسلوب الخطاب تَدُلُّ على أنّ الخطاب قَدْ وَجَّهَهُ الخضِرُ، فما الداعي لأنْ يقول لَهُ: {أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ}؟

نلحظ إنّ الداعي البلاغي لهذا الإطناب هو أنَّ مُوسَى عليه السلام تصرَّفَ تَصَرُّف من لم يُدْرِكْ أنّ الْخِطَابَ قَدْ كان مُوَجّهاً له فيما سبق، فاعترض، فاقتضى حالُهُ أَنْ يقولَ لَهُ الخضر: إنّي كُنْتُ وجَّهْتُ الخطابَ لَكَ بأَنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً.

وحين اعترض موسى عليه السلام الاعتراض الثالث على الخضر بشأن إقَامَتِهِ الجدار المائل في قريَةٍ أَبَى أهْلُها أنْ يُضَيِّفوهُما، قال له الخضر: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾.

فأوجز في كلامِهِ، إذْ طوى من اللّفظ عبارة: لأنَّكَ لم تَسْتَطعْ معِيَ صبراً، وقد انتهت مُدَّة الاتفاق على مصاحبتي.

وبعد أن أبان الخضر لموسى عليهما السلام التأويل الحكيم للأحداثِ التي أجراها بأمْرِ الله أو إذْنه قال له:

﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً﴾، فَأَوْجَزَ في بيانه حتى في كلمة "تَسْتَطعْ" إذْ قال: "تَسْطعْ" بحذف التاء التي بعد السين.

إنّ مقتضى الحال بعد انتهاء أجل المصاحبة، إذْ لم يلتزم موسَى عليه السلام بشروطها، أنْ يكون الكلامُ مُوجزاً جدّاً، إذْ لا داعِيَ للإطناب ولا للمساواة، ومِثْلُ موسى عليه السلام يكفيه من الكلام عبارة: "هَذا فِرَاقُ بيني وَبَيْنِكَ" فهو الخبير بإخلاله بشروط المصاحبة المتَّفق عليها.

خامساً: موارد الإطناب: وهناك موارد يستحسن فيها الإطناب، منها:

١. الصلح بين الأفراد، أو الجماعات، أو العشائر.
٢. التهنئة بالشيء.
٣. المدح والثناء على أحد.
٤. الذمّ والهجاء لاحد.
٥. الوعظ والإرشاد.
٦. الخطابة في أمر من الامور العامّة.
٧. رسائل الولاة إلى الرؤساء والملوك.
٨. منشورات الرؤساء إلى الشعب.

وَلِشَوْقِ عَطْفِكَ فَزْتُ
يَا رَبِّ أَبْغِي رِضَاكَ

الفصل التاسع

أسلوب المجاز في القرآن الكريم

الفصل التاسع:

أسلوب المجاز في القرآن الكريم

إن القرآن الكريم آخر كتاب سماوي ووحي إلهي نزل على خاتم النبيّين ﷺ، وهو يشتمل على جميع قواعد الفصاحة والبلاغة، ومحسِّنات الكلام، بحيث لا مثيل له في نوعه، ولم يقم أحدٌ أمام تحدّي القرآن إلى يومنا هذا.

وقد اشتمل القرآن الكريم على الحقيقة والمجاز جرياً على اللغة العربية، فأنه نزل بلسان عربي مبين، مما أعطى للقرآن شطر الجمال، ولا شك أن التعبير بالشيئين أوسع وأجمل وأبلغ من التعبير بالشيء الواحد خصوصاً بالمجاز وسيما وأن التعبير بالمجاز فيه توسع أكثر من التعبير بالحقيقة، ولا نزاع في استعمال القرآن للحقيقة بين العلماء، ولكن النزاع في استخدامه للمجاز، إذ قيل أن الله ﷻ لا يعجز عن مخاطبة البشر بالحقيقة فلماذا يلجأ إلى المجاز، وقيل أن المجاز قد يحتوي على كذب، والكذب محال على الله سبحانه، وهذه شبهة ضعيفة، وأن في المجاز الصدق وبه البلاغة المتزايدة، وأنه يلزم من سقوط المجاز سقوط الحذف والتوكيد وتكرار القصص، ولمّا كان ذلك واقعاً في القرآن كان المجاز واقعاً إذ هما سيان، وإنما يعدَّل عن الحقيقة إلى المجاز لمعان وفوائد بلاغية كتأكيد المعنى بتجسيده أو بتشخيصه وتصويره بعبارات موجزة، وكل مجاز له حقيقة لأنه فرع منها.

وعلى كل حال يبقى المجاز أسلوب من أساليب العربية التي اعتمدها القرآن الكريم، وان كان مبتكراً في تسميته كسائر مصطلحات فنون العربية، ولكنه جزء من هذه اللغة، وسنتعرف عليه على النحو الآتي:

أولاً: معنى المجاز:

١: المجاز في **اللغة:** المجاز لغة: مأخوذ من جاز، يجوز، جوزًا، وجوازًا، يقال: جاز المكان، إذا سار فيه، وأجازه: قطَعه، يقال: جاز البحر: إذا سلَكه وسار فيه حتى قطَعه وتعدَّاه(١).

٢. المجاز في **الاصطلاح:** وهو في الرأي المشهور استعمال اللفظ؛ لقرينةٍ، في غير المعنى الموضوع له؛ لعلاقةٍ بينه وبين المعنى الموضوع له(٢).

٣. أقسام المجاز عند علماء البيان:

مهما تعددت مسمياة أنواع المجاز فهي بالتالي (لا تخرج عن شقيه الأصليين العقلي واللغوي)(٣)، وهي إضافات ومسميات عند القدامى من علماء البيان، ومنها:

١. المجاز المرسل: المجاز الذي تكون العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي غير المشابهة والقرينة الصارفة.
٢. الاستعارة: استعمال اللفظ في غير معناه الحقيقي؛ لعلاقة المشابهة مع القرينة الصارفة.
٣. الكناية: استعمال اللفظ في غير معناه الحقيقي لعلاقةٍ وقرينةٍ صارفة، مع جواز إرادة المعنى الحقيقي.
٤. مجاز الحذف ومجاز الاستعارة: وهذا الحذف إما في الاسم، بحيث يختلف إعراب اللفظ بحذفه؛ وإما في الفعل؛ وإما في الجملة.
٥. المجاز اللغوي: وهذا المجاز في الكلمة وحكمها، يعني استعمال اللفظ في غير المعنى الموضوع له، أو نقل الكلمة من حكمها إلى حكمٍ آخر.

---

(١) ظ: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٢/٥٠.

(٢) ظ: التفتازاني سعد الدين، شرح المختصر، ص٥٧.

(٣) د. محمد حسين الصغير، مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية، ص٧٢.

٤: المجاز في الاستعمال القرآني:

استعمل المجاز في القرآن الكريم في معنيين:

١: بمعنى التفسير ومدلول الآية، حيث استعمل إلى القرن الثاني. وأوّل مَنْ استعمل هذا المعنى أبو عبيد معمر بن المثنى(ت:٢٠٩هـ)، في كتابه مجاز القرآن[١].

٢: استعمال اللفظ في غير معناه الحقيقي، وأوّل مَنْ استعمله في هذا المعنى الجاحظ (ت:٢٥٥هـ)[٢]، ولكن أول مَنْ ألّف في المجاز الشريف الرضي (ت:٤٠٦هـ) وتكلّم فيه مستقلاً، وعلى ترتيب سور القرآن[٣].

ثانياً: أقوال العلماء حول المجاز في القرآن الكريم:

لأقوال العلماء في وقوع المجاز خمسة أقوال، وعلى النحو الآتي:

١. وقوع المجاز مطلقاً في اللغة والقرآن والسنة؛ قال به جمهور العلماء[٤]، قال السيد محمد الطباطبائي المجاهد (ت:١٢٤٢هـ): (اعلم أن المجاز وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له واقع في اللغة والقرآن والسنة)[٥].

---

(١) ظ: أبو عبيد، مجاز القرآن، ١٩/١.

(٢) ظ: استاذنا د. محمد حسين الصغير، مجاز القرآن خصائصه الفنّية وبلاغته العربية، ص١٥٠.

(٣) ظ: الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص٢٠.

(٤) ظ: البصري (ت:٤٣٦هـ)، المعتمد في أصول الفقه، ص٢٤؛ الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ١٤/٤؛ الشوكاني، إرشاد الفحول، ٢٢/١؛ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٨٢/٢؛ البحراني، البرهان في تفسير القرآن، ٤/١-٢٤، محمد رضا المظفر، أصول الفقه، ٢٢/١.

(٥) السيد محمد الطباطبائي، مفاتيح الأصول، ص٥٢. ويبدو ان الخلاف بين أهل السنَّة في إثبات المجاز ونفيه خلافاً لفظيّاً كما صرَّح ابن قدامة المقدسي (ت:٦٢٠هـ) بقوله: (.. وذلك كلُّه مجاز؛ لأنَّه

٢. عدم وقوع المجاز مطلقاً؛ اختاره البعض، منهم: أبو علي الفارسي النحوي (ت:٣٧٧هـ) وأبو إسحاق الإسفراييني (ت:٤١٨هـ) وابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) وابن القيم الجوزية (ت:٧٥١هـ) والشنقيطي محمد الأمين (ت:١٩٧٤م)[١].

٣. عدم وقوع المجاز في القرآن؛ اختاره جماعةٌ منهم: ابن القاص أبو العباس احمد – فقيه شافعي – (ت:٣٣٥هـ) والعسقلاني (ت:٨٥٢هـ) وبرهان الدين ابن فرحون (ت:٧٩٩هـ)[٢].

٤. عدم وقوع المجاز في القرآن والسنّة؛ اختاره ابن داوود الظاهري (ت:٢٩٧هـ)[٣].

٥. لا مجاز في الأحكام الشرعية، وفي غيرها لا يمنع؛ قال به ابن حزم الأنصاري (ت:٤٥٦هـ)[٤].

وشبهة الرافضين للمجاز هو ان المجاز أخو الكذب والقرآن منزه عنه، وأن المتكلم لا يعدل إليه إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير، وذلك محال على الله ﷻ.

ولكن الذي يتذوق جمال الأسلوب القرآني يجد أسلوب المجاز مصدراً لتكوثر وكثافة المعنى، ومتنّفساً للعواطف والمشاعر والأَخيلة الإبداعية، ووسيلة لتجاوز

استعمال للفظ في غير موضوعه ومن منع فقد كابر، ومن سلم وقال: لا أسميه مجازاً فهو نزاع في عبارة لا فائدة في المشاحة فيه، والله أعلم). روضة الناظر، ١٨٣/١.

(١) ظ: الإيمان، ص٨٥؛ أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن، ٢٢٩/١٠–٢٣٠، ابن عماد الحنبلي (ت:١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، / ٨٨–٣٠٩.

(٢) ظ: لسان الميزان، ٢٩١/٥؛ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ٢٢٩/٢؛ ابن عماد الحنبلي (ت:١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ١٦٦/٣و٣٣٩/٢.

(٣) ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١٥٥/٣.

(٤) ظ: الإحكام في أصول الأحكام، ٥٣١/٤.

القُصور اللفظي عن أداء المعاني الغائرة المستبطنة والمنطلقة من الأغوار السحيقة في النفس البشرية، فإن المجازَ قسيم للحقيقة التي بها ينشأ وعليها يتكون ويستقيم.

ومن ثم نرى ان شبهتهم باطلة، فلو (سقط المجاز من القرآن لسقط منه شطر الحسن، فقد اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، ولو خلوّ المجاز من القرآن لوجب خلوه من الحذف والتوكيد وتثنية القصص وغيرها)[١].

ثالثاً: الحقيقة وأنواعها:

عرفها السكاكيّ (ت:٦٢٦هـ) على أنّها: (الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الوضع كاستعمال الأسد في الهيكل المخصوص)[٢].

١. **أنواع الحقيقة:** للحقيقة ثلاثة أنواع هي:

١: **الحقيقة اللغوية** وهي الألفاظ المستعملة في معاني كلام العرب الفصحاء، مثلاً: (الصلاة) في كلام العرب تعني الدعاء، ومثلاً: رأيت أسد يفترس، فكلمة (أسد) حقيقة أنه يفترس.

٢: **الحقيقة الشرعية:** وهي الألفاظ المستعملة في معاني الشريعة، نحو (الصلاة) هي العبادة المعروفة المفتتحة بالتكبير المختتمة بالتسليم المشتملة على أفعال وأقوال مخصوصة شرعية.

٣: **الحقيقة العرفية،** وهي إما عامة تعارف عليها كل الناس، أو جلهم في بلد ما أو كل البلدان، مثل اطلاق دابة على الحيوان الماشي على أربع أرجل، مع أنه في اللغة كل من يدب على الأرض، ومثل (اللحم) المتعارف عليه لحم الحيوان البري مع أن السمك يسمى لحماً في اللغة، وإما خاصة يتعارف عليها جماعة من

(١) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ص٣٦١.
(٢) مفتاح العلوم، ص٦١٩.

الناس، نحو لفظ (الذرة) في العرف الفيزيائي هي وحدة بناء المادة، وهي عبارة عن نواة يدور حولها إلكترونات بينما في اللغة هي النملة الصغيرة جداً أو الشيء الصغير جداً، ومثل (الخلية) في عرف علماء الاحياء، هي وحدة بناء الكائن الحي، وفي اللغة تطلق كذا على خلايا النحل .. ونحوها.

ولا يُعنى البلاغيون بالحقيقة وأنواعها بقدر عنايتهم بالمجاز وأنواعه؛ لأنَّ فيه تظهر بلاغة الكلام وبراعته بانتقاء الألفاظ المعبرة عن المعاني المختفية وراء ألفاظها والتي تفصح عن غرض المتكلم على أتمّ وجه.

٢. الفرق بين الحقيقة والمجاز:

الفرق بين الحقيقة والمجاز: هو أن الحقيقة أصل، فهي استعمال اللفظ فيما وضع ليدل عليه، والمجاز فرع يعدل إليه عن الحقيقة طلباً للاتساع أو التوكيد أو التشبيه أو نحو ذلك.

٣. دلالة الحقيقة والمجاز:

تستوي دلالة الحقيقة والمجاز في إفادة الأحكام في القرآن الكريم، فيثبت بالحقيقة المعنى الذي وضع له اللفظ: عاماً كان أو خاصاً، أمراً أو نهياً، ويثبت بالمجاز المعنى الذي استعير له اللفظ.

رابعاً: أهمية معرفة المفسر بالحقيقة والمجاز:

تقدم اختلاف العلماء حول القول بالمجاز من عدمه؛ وهذا الاختلاف له أثره البالغ في فهم النص القرآني، وعليه تكمن أهمية معرفة السياقات القرآنية للمفسر عندما يتعرض لتفسير كتاب الله العزيز، وما هو منها على سبيل الحقيقة، وما هو على سبيل المجاز، وإذا لم يعرف هذا ربما وهو يفسر آيات من التي سيقت مجازاً

يحملها على الحقيقة، فيختلف عليه الأمر، وعلى سبيل المثال ما نلحظه في الأمثلة الآتية:

لفظ (الأُمِّ) يشمل الأمَّ الحقيقة والجدات على المجاز، وقد يطلق ويراد به المعنى الحقيقيُّ والمجازيُّ في ذات الوقت كما في آية المحرَّمات[١].

على حين يرون الحُكم في قوله تعالى: ﴿**أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا**﴾[٢]؛ فلفظ: ﴿**لَامَسْتُمُ**﴾ يحتمل المعنى الحقيقيَّ، وهو الدلالة على الملامسة المعروفة باليد والجسم، وبه أخذ جملة من الفقهاء على اختلاف في التفصيل، إذ ذهب الأوزاعي (ت:١٥٧هـ) والفقيه الشافعي (ت:٢٠٤هـ) إلى انَّ مسَّ المرأة ناقض للوضوء مطلقاً.

أما الفقيه مالك بن انس (ت:١٧٩هـ) والليث بن سعد (ت:١٧٥هـ) وأحمد بن حنبل (ت:٢٤١هـ) وبعضُ الفقهاء، فحكَموا بأن الملامسة المعروفة كالمصافحة مثلاً تنقُضُ الوضوءَ إذا قصد اللامسُ اللذةَ، واعتمدوا على أحاديثَ روَوْها[٣].

في حين يرى فقهاء الإمامية ان المراد من ﴿**لَامَسْتُمُ**﴾ هو خصوص الجماع، وهذا هو محصَّل ما أفادته الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام والتي منها جواب الإمام جعفر الصادق عليه السلام (ت:١٤٨هـ) لمن سأله عن قوله تعالى: ﴿**أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاء**﴾، فقال عليه السلام: (هو الجماع ولكنَّ الله ستير يحب الستر فلم يُسمِّ كما تُسمُّون)[٤].

---

(١) ظ: الشوكاني، إرشاد الفحول الى علم الأصول، ١١٣/١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٣) ظ: ابن حزم، المحلى بالآثار، ٢٤٨/١، ابن رشد الحفيد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ٣٤/١.

(٤) الكليني، الكافي، ٥٥٥/٥.

وكذلك فإن أبا حنيفة (ت:١٥٠هـ) قد ذهَب إلى أن الملامسة مقصود بها معناها المجازي، وهو الجِماع، معتمداً على قرائنَ عقلية وآثارٍ منقولة؛ فأخَذ بالمجاز هنا أيضاً.

وفي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[١] لو حملها على الحقيقة للزم أن يصوم الناس بعد تمام الشهر أي في شوال، وهذا باطل.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنا وآتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِك﴾[٢] كيف يكون الوعد على الرسل حقيقة؟، فلزم أن يحمل على المجاز: أي ما وعدتنا على لسان رسلك.

وقوله الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾[٣]، المقصود هو العقل، وليس القلب.

وقوله الله تعالى: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾[٤]، المقصود هو الألسن، وليس الأفواه.

وقوله الله تعالى: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[٥]، المقصود هي اللغات، وليس الألسن. ... وهكذا.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٤.
(٣) سورة الحج، الآية: ٤٦.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٤١.
(٥) سورة النحل، الآية: ١٠٣.

خامساً: المجاز وقيمته الفنية:

تبقى للمجاز قيمتة الفنية والبلاغية في اللغة العربية، وبما أنّها وسيلة التعبير عمّا يختلج في فكر الإنسان وذهنة من أفكار ومشاعر ولكي يعبر عنها أبلغ تعبير ويصورها أجمل تصوير ويجعلها أكثر تأثيراً وقوة تراه يميل عن الحقيقة إلى المجاز فيها، لأنَّ الحقيقة تصور الشيء كما هو في حين المجاز يبالغ ويفخم في الشيء حتى يظهر ببهرجته وعنفوانه صورة واضحة للعيان إذ به يتم (الانتقال بذهن السماع إلى آفاق جديدة وصور رائعة، ومشاهد متناسقة، لا تتأتيّ بالاستعمال الحقيقي، وهذا يعني القيام بعملية تجديد وتطوير لأسلوب اللغة)[١].

والقرآن الكريم تميز عن كل منظوم ومنثور بلغتة المجازية الراقية فترى فيه الانسجام بين الحقيقة والمجاز حتى تظهر فيه الصورة حسيّة مرئيّة ومشخّصة بحسب ما يقتضيه الحال والمقام والغرض. وكثر فيه الميل إلى المجاز لما فيه من دلالات وأبعاد ومعانٍ تدلّ على مرونة اللغة وقدرتها على تصرف في الكلام[٢].

فترى في المجاز اللفظ يحمل دلالة حقيقة فضلاً عن دلالته المجازية، وهذا في حد ذاته يعطي اللغة قدرة على الاتساع في الكلام فيه يمكن للغة أنْ تنسب القيام بالفعل الى ما ليس له القدرة على القيام به كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَخرَجَتِ الأَرضُ أَثقَالَهَا**﴾[٣].

فالأرض ليست هي الفاعل فهي لا تخرج ما فيها وإنّما الفاعل هو الله سبحانه وتعالى، فأسند الفعل للأرض مجازاً.

---

(١) د. محمد حسين الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني، ص١٥٢.

(٢) ظ: فراس دهداري، الحقيقة والمجاز في سورة يوسف (ع)، www.diwanalarab.com.

(٣) سورة الزلزلة، الآية: ٢.

وهكذا يتسع نطاق اللغة ليشمل كل ما حولها وذلك باستخدام المجاز الذي هو قمة البلاغة والفصاحة. إذ به يتحول المعقول إلى محسوس وغير المرئي إلى مرئي فيتضح به المعني على أتمّ وجه. ويبقى هو وسيلة (من أحسن الوسائل البيانية التي تهدي إليها الطبيعة، لايضاح المعنى، إذ به يخرج المعنى متصفاً بصفة حسية، تكاد تعرضه على عيان السامع – لهذا– شغف العرب باستعمال (المجاز) لميلها إلى الاتساع في الكلام، وإلى الدلالة على كثرة معاني الألفاظ، ولما فيه من الدقة في التعبير، فيحصل للنفس به سرور وأريحية)[١].

سادساً: دواعي المجاز وأغراضه في القرآن الكريم:

هناك أسباب أدت الى وجود المجاز في القرآن الكريم، نجملها في الآتي[٢]:

١: استعمال لغة العرب:

اللغة هي ما يعبِّر الإنسان به عمّا في ضميره، وهي نظام منضبط يميّز بين الصحيح وغيره، ويجعل لكلّ جملةٍ أو كلمة من المعاني ما يناسبها.

أكّد القرآن الكريم على أن اللغة واللسان من أهمّ أسباب العلاقة بين الناس والرُّسُل. وقد جعل الأنبياء عليهم السلام في خطابهم لأقوامهم المجاز والتشبيه والاستعارة والكناية؛ ليسهل لهم التواصل وإبلاغ الرسالة؛ لأن المجاز؛ بسبب ما يوجده في أذهان المخاطبين، يكون الأبلغ في بيان الكلام. يقول ابن رشيق في وصف

(١) أحمد هاشمي، جواهر البلاغة، ص٢٩١.

(٢) ظ: عبد الرحمن الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص٦٣٥، د. مهرناز گلي، أصول المجاز في القرآن الكريم، ص٣٢.

المجاز: (العرب كثيراً ما تستعمل المجاز، وتعدّه من مفاخر كلامها؛ فإنه دليل الفصاحة، ورأس البلاغة، وبه بانت لغتها عن سائر اللغات)[١].

هنا ينزل القرآن الكريم، ويتكلّم عمّا وقع في عصر النزول. ويشتمل القرآن على لغاتٍ وإيماء وتشبيه ومجازات شائعة في ثقافة العرب وكلامهم، ويبدع بهذا الكلام إبداعاً غريباً. وهذا وجهٌ من إعجاز كتاب الله الكريم.

٢: اتّساع المعنى:

هو نوعٌ من العلاقة بين ما يحمل عليها. وفي هذه الحال معنى محمول يشمل معنى محمول آخر. مثلاً: الغنم يشمل الضأن والنعج والمعز، فيكون الغنم اللفظ الشامل، والضعن والمعز والنعج كلّ واحد يشمل الآخر. ويكون الاتّساع في اللفظ، وفي الجملة.

٣: علاقة المعنى في مستوى اللفظ:

وهي علاقة بين الألفاظ المحمولة، بحيث يكون اللفظ واحداً والمعاني متعددة نحو: ما ورد في القرآن الكريم حول لفظ (جزاء)، ولفظ (صفح)، بحيث يكون لفظ (جزاء) لفظاً شاملاً، يشتمل على معنى الثواب والعقاب، ولفظ (صفح) يشتمل على العفو والمغفرة.

٤: علاقة المعنى في مستوى الجملة:

في هذه العلاقة تكون الجملة ذات شمول، أي تكون للجملة معانٍ غير المعنى الظاهري، نحو قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوْا**

(١) العمدة في الشعر وآدابه ونقده، ١٦٥/١.

الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١]، في هذه الآية تشتمل جملة (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) على (وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ)، حيث إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة من الأعمال الصالحة.

٥: الجانب الجمالي والجاذبيّة في القرآن:

الجمال والإبداع ممّا يهتدي إليه الإنسان فطرةً؛ ورغبة من الإنسان ببليغ من الكلام يهدي الفطرة إليه. وأحسن أسلوب إلى إبلاغ الخطاب استعمال أحسن الأساليب وأجملها عند المخاطب[٢].

٦: المجاز وتحسين الكلام:

مَنْ تعرّف على لغة العرب وأدبها يعرف لا محالة أن القرآن الكريم مليءٌ بالفصاحة والبلاغة والجمال.

جميع مَنْ يعتقد من الخطباء والأدباء بالقرآن يعترفون أن الكلمات والجمل الواردة في القرآن في منتهي الإحكام والإعجاز.

الخصائص والميزات، مثل: الإيجاز، والإطناب المناسب، والجناس، والطباق، والتشبيه، والكناية، والمجاز، والاستعارات، الموجودة في القرآن هي في أعلى مراتبها.

يرى علماء القرآن أن للمجاز علاقة وثيقة بالجمال. مثلاً: يعتقد البعض أنه لو سلب المجاز من القرآن يسلب منه نصف جماله.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٧.

(٢) ظ: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ١٢١/٢.

يكون للكلام في جانبه الجمالي ثلاث مراحل: الجمال الصوري؛ الجمال المعنائي؛ والجمال السياقي. وهذه المراحل الثلاثة توجد في القرآن الكريم، حيث القرآن في منتهى الفصاحة والبلاغة.

مثلاً: في جانب الجمال الصوري: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾(١).

وفي جانب الجمال المعنائي: كلّ ما يصدر عن عليمٍ فصيح، له قوّة أدبية رفيعة، يكون في مستوى جمالي عالٍ. وما يزيد المجاز جمالاً هو تقدّم المجاز في البيان على الظاهر بخطوةٍ، ويسوق المخاطب إلى معنىً أدقّ وأعمق من المعنى الظاهري، نحو قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنْ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾(٢).

السبب في جمال السياق أساليب كشف المعنى، وسوق الذهن لدرك المعنى؛ لأن الذهن كي يصل إلى المعنى الحقيقي لا بُدَّ أن يبحث عن القرائن، وأن يرتِّبها ليبلغ إلى المعنى الحقيقي. لذلك يعتقد الأدباء أن المجاز أبلغ من الحقيقة.

فالعرب (كثيراً ما تستعمل المجاز، وتعدّه من مفاخر كلامها؛ فإنّه دليل الفصاحة ورأس البلاغة، وبها بانت لغتها عن سائر اللغات)(٣)، مثلاً ما ورد في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾(٤)، هنا يبحث الذهن أنه ما معنى نسيان

(١) سورة الأعراف، الآية: ٨٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.

(٣) ابن رشيق القيرواني، العمدة في الشعر وآدابه ونقده، ١٦٢/١.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٥١.

الله ﷻ؛ إذ معلومٌ أن النسيان من الخصائص الإنسانية، ومن النقص، ولله الكمال، ولا ينسب إليه النقص. لذلك يقول أبو عبيد: مجازه: (نؤخّرهم ونتركهم)[١]، يعني نتركهم كما تركوا لقاء يومهم هذا.

ممّا سبق فهمنا أن في المجاز شوقٌ ورغبة مضاعفة للبحث وطلب الفهم، وهذا ما يجعل المعنى أجمل، ويزيد الكلام تأثيراً.

سابعاً: أقسام المجاز في القرآن الكريم

معلوم ان (للمجاز عند البلاغيين نوعان، لأنه في القرآن نوعان: مجاز لغوي ومجاز عقلي، بغض النظر عن التفريعات الأخرى التي لا تتعدى حدود التقسيم العام، أو هي جزئيات تابعة لكلي المجاز باعتباره عقلياً أو لغوياً)[٢]، وعلى النحو الآتي[٣]:

أولاً: المجاز اللغوي:

تقدم تعريف المجاز على انه استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة معيّنة ما بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، فكثيراً ما يستخدم الإنسان لفظاً ولا يقصد معناه الحقيقي بل معنى آخرَ مختلفاً، فإذا قال أحد مثلاً: رأيت أسداً يكر على الأعداء بسيفه، فهذه الجملة تدل على أن الأسدَ المذكورَ في الجملة ليس الأسد الذي نعرفه، والدليل على ذلك (بسيفه)؛ فالأسد الحقيقيُّ لا يحمل سيفاً، وإنما المقصود بالأسد رجلٌ شجاع.

---

(١) مجاز القرآن، ٢١٥/١.

(٢) د. محمد حسين الصغير، مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية، ص٦٩.

(٣) للتوسعة ظ: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ٢٩/٢، عبد العزيز عتيق، علم البيان، ص١٤٤، د. محمد حسين الصغير، مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية، ص٧٩، د. صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص٣٢٧، علي فهمي النزهي، لطائف في علوم القرآن، ص٥٥١.

أنواع المجاز اللغوي:

والمجاز اللغوي أنواعه كثيرة منها:

١. **إطلاق اسم الكل على الجزء**، ومنه على سبيل المثال:

١. قال تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ﴾(١)، فالمراد من الأصابع: الأنامل، واستعمال الأصابع فيها مجاز.
٢. قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾(٢)، من شهد أول الشهر فليصم جميعه.

٢. **إطلاق اسم الجزء على الكل**، ومنه على سبيل المثال:

١. قال تعالى: ﴿وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ﴾(٣)، أي ذاته.
٢. قال تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾(٤)، اطلاق رَّقَبة على العبد.
٣. قال تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾(٥)، إطلاق القِيام على الصلاة.
٤. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾(٦)، وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾(٧)، أي: قدمت وكسبت ونسب ذلك إلى الأيدي؛ لأن أكثر الأعمال تزاول بها.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٣) سورة الرحمن، الآية: ٢٧.
(٤) سورة النساء، الآية: ٩٢.
(٥) سورة التوبة، الآية: ١٠٨.
(٦) سورة الحج، الآية: ١٠.
(٧) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

٥. قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾(٢)، عاملة ناصبة عبر بالوجوه عن جميع الأجساد لأن التنعم والنصب حاصل لكلاها.

٦. قال تعالى: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾(٣)، أي: الحرم كله بدليل أنه لا يذبح فيها.

٧. وقال تعالى: ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾(٤)، فالخطأ صفة الكل وصف به الناصية.

٣- إطلاق اسم الخاص على العام: قال تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٥)، أي: رسله.

٤- إطلاق اسم العام على الخاص: قال تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾(٦)، أي المؤمنين، بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾(٧).

٥- إطلاق المسبب على السبب: قال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾(٨)، أي: مطراً يتسبب عنه الرزق، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾(٩).

---

(١) سورة الغاشية، الآية: ٨.
(٢) سورة الغاشية، الآية: ٢-٣.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٩٥.
(٤) سورة العلق، الآية: ١٦.
(٥) سورة الشعراء، الآية: ١٦.
(٦) سورة الشورى، الآية: ٥.
(٧) سورة غافر، الآية: ٧.
(٨) سورة غافر، الآية: ١٣.
(٩) سورة الأعراف، الآية: ٢٦.

فإن المنزل عليهم ليس هو نفس اللباس بل الماء المنبت للزرع المتخذ منه الغزل المنسوج منه اللباس.

قال تعالى: ﴿**لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا**﴾[١]، أي: مئونة من مهر ونفقة ومما لا بد للمتزوج منه.

٦- **إطلاق السبب على المسبب:** قال تعالى: ﴿**ما كانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ**﴾[٢]، أي القبول والعمل به لأنه مسبب على السمع.

٧- **تسمية الشيء باسم ما كان عليه،** ومنه على سبيل المثال:

١. قال تعالى: ﴿**وَآتُوا الْيَتامى أَمْوالَهُمْ**﴾[٣]، أي: الذين كانوا يتامى، إذ لا يتم بعد البلوغ.
٢. قال تعالى: ﴿**فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ**﴾[٤]، أي: الذين كانوا أزواجهنَّ.
٣. وقال تعالى: ﴿**مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا**﴾[٥]، سماه مجرماً باعتبار ما كان عليه في الدنيا من الإجرام.

٨- **تسميته باسم ما يؤول إليه،** ومنه على سبيل المثال:

١. قال تعالى: ﴿**إِنِّي أَرانِي أَعْصِرُ خَمْراً**﴾[١]، أي عنباً، فسمى العنب خمراً باعتبار ما سيؤول إليه بعد عَصْرِه.

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٣.
(٢) سورة هود، الآية: ٢٠.
(٣) سورة النساء، الآية: ٢.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٣٢.
(٥) سورة طه، الآية: ٧٤.

٢. قال تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[٢]، أي: صائر إلى الكفر والفجور.

٣. قال تعالى: ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾[٣]، سماه زوجاً لأن العقد يؤول إلى زوجية، لأنها لا تنكح إلا في حال كونه زوجاً.

٤. قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿بَشِّرْكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾[٥]، وصفه في حال البشارة بما يؤول إليه من العلم والحلم.

٩- إطلاق اسم الحال على المحل: لما بينهما من الملازمة الغالبة، ومنه:

١. قال تعالى: ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٦]، أي في الجنة لأنها محل الرحمة.

٢. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا..﴾[٧]، أي: في الليل.

١٠- إطلاق اسم المحل على الحال، ومنه على سبيل المثال:

١. قال تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نادِيَهُ﴾[٨]، أي أهل ناديه، أي مجلسه.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٣٦.

(٢) سورة نوح، الآية: ٢٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٠.

(٤) سورة الصافات، الآية: ١٠١.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٥٣.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٠٧.

(٧) سورة سبأ، الآية: ٣٣.

(٨) سورة العلق، الآية: ١٧.

٢. التعبير باليد عن القدرة، قال تعالى: ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾(١).

٣. وبالقلب عن العقل، قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾(٢)، أي: عقول.

٤. وبالأفواه عن الألسن، قال الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾(٣).

٥. وبالقرية عن ساكنيها، قال الله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾(٤).

٦. وقال الله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾(٥)، فالمراد به الصلاة.

١١- تسمية الشيء باسم آلته، ومنه على سبيل المثال:

١. قال تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾(٦)، أي ثناء حسناً، لأن اللسان آلته.

٢. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾(٧)، أي: بلغة قومه.

١٢- تسمية الشيء باسم ضده، ومنه على سبيل المثال:

١. قال الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾(١)، والبشارة حقيقة في الخبر السار.

---

(١) سورة الملك، الآية: ١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٨٢.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

(٦) سورة الشعراء، الآية: ٨٤.

(٧) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

٢. قال الله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾[٢]، يعني: ما دعاك إلى أن لا تسجد.

١٣- إضافة الفعل إلى ما يصح منه تشبيها: قال تعالى: ﴿جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾[٣] ، وصفه بالإرادة، وهي من صفات الحيّ، تشبيها لميله للوقوع بإرادته.

١٤- إطلاق الفعل والمراد مشارفته ومقاربته وإرادته، ومنه على سبيل المثال:

١. قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾[٤]، أي: قاربن بلوغ الأجل أي: انقضاء العدة؛ لأن الإمساك لا يكون بعده.
٢. قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً﴾[٥]، أي: لوقاربوا أن يتركوا خافوا؛ لأن الخطاب للأوصياء وإنما يتوجه عليهم قبل الترك؛ لأنهم بعده أموات.
٣. قال تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا﴾[٦]، أي: أردتم القيام.
٤. قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾[٧]، أي: إذا أردت القراءة لتكون الاستعاذة قبلها.
٥. قال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾[١]، أي: أردنا إهلاكها وإلا لم يصح العطف بالفاء.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢١.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٢.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٧٧.
(٤) سورة الطلاق، الآية: ٢.
(٥) سورة النساء، الآية: ٩.
(٦) سورة المائدة، الآية: ٦.
(٧) سورة النحل، الآية: ٩٨.

١٥- **إطلاق الماضي على المستقبل:** على اعتبار ما سوف يكون لتحقق وقوعه، ومنه على سبيل المثال:

١. قال تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ﴾[٢]، أي: الساعة.
٢. قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾[٣].
٣. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾[٤].
٤. قال تعالى: ﴿وَبَرَزُوا للهِ جَمِيعًا﴾[٥].
٥. قال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ﴾[٦].

١٦- **القلب:** إما قلب إسناد، نحو:

١. قال تعالى: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ﴾[٧]، أي: لتنوء العصبة بها.
٢. قال تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾[٨]، أي: حرمناه على المراضع.
٣. قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[٩]، أي: وإن حبه للخير.
٤. قال تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾[١٠]، أي: يرد بك الخير.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤.
(٢) سورة النحل، الآية: ١.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٦٨.
(٤) سورة المائدة، الآية: ١١٦.
(٥) سورة إبراهيم، الآية: ٢١.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ٤٨.
(٧) سورة القصص، الآية: ٧٦.
(٨) سورة القصص، الآية: ١٢.
(٩) سورة العاديات، الآية: ٨.
(١٠) سورة يونس، الآية: ١٠٧.

أو قلب عطف، نحو:

١. قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ﴾[١]، أي: فانظر ثم تول.

٢. قال تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾[٢]، أي: تدلى فدنا لأنه بالتدلي مال إلى الدنو.

١٧- **إطلاق الماضي على الحاضر**: لإفادة الدوام والاستمرار فكأنه وقع واستمر، ومنه على سبيل المثال:

١. قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾[٣]، أي: واتبعتم.

٢. قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾[٤]، أي: قتلتم.

٣. قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾[٥]، أي: قالوا.

(١) سورة النمل، الآية: ٢٨.

(٢) سورة النجم، الآية: ٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٩١.

(٥) سورة الرعد، الآية: ٤٣.

ثانياً: المجاز العقلي:

هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له أصلاً لملابسته له، نحو شفى الطبيب المريض بسبب علاقة ما، فإن الشفاء من الله ﷻ وإسناد الشفاء إلى الطبيب مجاز بسبب وجود علاقة بين الطبيب والشفاء وإن لم يشف بنفسه. يكون الإسناد المجازي إلى سبب الفعل أو زمانه أو مكانه أو مصدره.

١- المجاز في الإسناد:

وهو إسناد الفعل أو ما في معنى الفعل إلى غير من هو له، وهو على أقسام، أشهرها:

١ . الإسناد إلى الزمان: وذلك فيما بني فيه الكلام للفاعل وأسند للزمان، ولا أثر للزمان في ذلك، ومنه على سبيل المثال:

قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾[١]، فسجى بمعنى سكن، والليل وإن وصف بالسكون فسكونه مجازي لأنه غير قابل للحركات المباشرة التي قد توصف بالهدوء حيناً وبالفعالية حيناً آخر، ولكن المراد به سكون الناس فيه عن الحركات، وخلودهم فيه إلى السبات، واستسلامهم إلى الراحة.

٢ . الإسناد إلى المكان: وذلك فيما بني فيه الكلام للفاعل وأسند للمكان، ولا أثر للمكان في ذلك، وإنما اعتبر المكان باعتبار الإسناد إليه، والعامل الحقيقي غيره، فلما أسند للمكان كان مجازاً عقلياً بسببه، ومنه على سبيل المثال:

---

(١) سورة الضحى، الآية: ٢.

قال تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾(١)، والأنهار وعاء للماء ومستقر له، وهي ثابتة غير متنقلة، وهي مكان الجري، وما يجري فيها هو الماء، إلا أن مكانه الأنهار، فعبر عن جريان ذلك الماء بجري الأنهار بوصفها مكاناً له.

قال تعالى: ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾(٢)، وذلك لكونه موجود في السبيل أي لملازمته الطريق. وهذا من المجاز.

قال تعالى: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾(٣)، فاسم الأم الهاوية مجاز أي: كما أن الأم كافلة لولدها وملجأ له كذلك النار للكافرين كافلة ومأوى ومرجع.

قال تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾(٤)، والتعبير بالقرية عن قاطنيها، فالقرية لا تسأل جدرانها بل سكانها.

٣ . الإسناد إلى السبب: هي أكثر الوجوه استعمالاً في القرآن الكريم، إذ كثيراً ما يطلق هذا المجاز في القرآن مسنداً إلى السبب، وإن بدا العامل فيه الفاعل، ولكن التحقيق يبدي خلاف ذلك مما يوحيب طبيعة إرادة المجاز، على نحو:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتهُم إِيمَاناً﴾(٥)، فقد نسبت زيادة الإيمان في الآية إلى آيات الله تعالى ولما كان الأصل في الإيمان وزيادته هو التوفيق الإلهي الصادر عن الله تعالى، علم أن زيادة الإيمان هنا بالنسبة للآيات مجاز عقلي بوصفها سبباً فيه.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٠.

(٣) سورة القارعة، الآية: ٩.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٨٢.

(٥) سورة الأنفال، الآية: ٢.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾[١]، فخطاب فرعون لهامان فيما اقتصه القرآ الكريم، لا يوحي بأنه متولي هذا البناء بنفسه، ولكنه المأمور به، إذ لم يباشر البناء، وإنما بناه عماله وفعلته، ولما كان هامان سبباً في بناء هذا الصرح، أسند إليه الفعل مجازاً، وعلم أن وجه ذلك السببية.

قال تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[٢]، لأن الأرض ليست هي التي تخرج أثقالها حقيقة، والإسناد مجاز.

قال تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾[٣]، وإسناد نفي الربح عن تجارتهم مجاز عقلي، إذ المنافقون هم الذين لم يربحوا.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾[٤]، وضع الأوزار: مجاز عن انتهاء أعمال الحرب. وإسناد وضع الأوزار إلى الحرب مجاز.

٤ . **الإسناد إلى المصدر**، وهو فيما بني فيه الكلام للفاعل، وأسند إلى المصدر، مع قرينة مانعة من الإسناد الحقيقي، ومنه على سبيل المثال:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾[٥]، فقد أسند الفعل إلى مصدره (نفخة) ولم يسند إلى نائب فاعله الحقيقي، وذلك لعلاقة المصدرية التي نقلت الكلام إلى مجازه العقلي.

---

(١) سورة غافر، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الزلزلة، الآية: ٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٦.

(٤) سورة محمد، الآية: ٤.

(٥) سورة الحاقة، الآية: ١٣.

وأخيراً.. ان أسلوب القرآن الكريم معجز اتصالاً وانفصالاً، أما الانفصال: فعباراته الدالة على الحقيقة؛ والمجاز المعبرة بأساليب التشبيه؛ والاستعارة؛ والكناية... أسلوب لين إذا أراده الله كذلك، وعنيف قاصف إن أراده ذلك.

والاتصال: يظهر في طريقة تركيب الجمل المترابطة مع أخواتها، بشكل يجسد مشاهد تختلف من موضع لآخر لا سبيل للبشر بها؛ ولا طاقة لهم في اتباعها؛ أو السير على منوالها.

ونكتفي ها هنا بهذا القدر من أسلوب المجاز في القرآن الكريم، ففيما تقدم بيان شافي لطالبنا العزيز وكذلك للذي يروم الثقافة فيه، وأما مَن أراد الاستزادة فالرجوع الى أمهات المصادر المختصة.

وبأسلوب المجاز في القرآن الكريم يكون ختام موضوع: (أساليب القرآن الكريم)، وان كانت الهمة أكبر من حبر وقرطاس، ولكن الإطالة جالبة للسآمة فأكتفينا بهذه الأساليب القرآنية المزبورة، كما وان لبدنك عليك حق ولمن حولك أهتمام ووعظ وارشاد، ونحن بين كل هذا وذاك طلاب علم على سبيل نجاة.

الخاتمة..

وبعد هذه الرحلة على شواطئ أساليب القرآن الكريم، أكون قد افرغت جهدي حتى آخر رمق فيه، وفي الوقت ذاته قد ملئت من هذه الشواطئ اريجاً فواحاً فياضاً، إذ كانت نهاية الموضوع ههنا هي بدايتي، ولم أكن في ختامه كما كنت في أوله، فأنا أول المنتفعين مما بحثت وقرأت ودونت، وكأن فجراً جديداً اضاء ظلام الجهل بشعاع التدبر والاستنارة من آيات الكتاب العزيز، وهي تتوهج معاني خلابة تسحر النفس لتتسامى في فضاء ملكوتي بترانيم السماء.

نعم، رحلة لم يكن يطيب للنفس ان تتوقف مسيرتها إلا ان ضغوطات الدنيا واعباءها مع هذا الجسد الضعيف في جوارحه، كما واستيفاء الموضوع شكله ومضمونه على قدر وعاء كاتبه، مع مراعاته للقارئ (طالب أو مثقف) من خشية دخول السآمة والملل على نفسه، كان محط الرحال واجباً، فليس الغاية الاكثار للتنافس، بل للتأمل والتدبر.

عزيزي القارئ وأرجو من الله ﷻ ان ينفعك فيما كان من موضوع كتابنا هذا ومضمونه، ففرّغ له قلبك، واجمع له لُبّك، فالحق منهاج واضح، والدين ميزان راجح، والجهل لا يزيدك إلا غمّاً، ولا يورث إلا ندماً، ولا يجلب إلا سفهاً، فتعلم قبل أن تتألم، واعتصم بالله ﷻ يحميك، وتوكل عليه يُغنيك.

أخي القارئ هذه السطور ثمرة فهمي، كتبتها بمداد قلبي وجوارحي حتى لا ينقطع عملي بعد موتي، أستمد من الله التوفيق والهداية والمعونة والرعاية، ومع ذلك علم الله أني لست من رُبَّان هذا البحر لهذا كنت على شاطئه التقط جواهره انظمها بجهد المخلص، لأقدمها لك أيها العزيز كما مرت عليك في كل فصولها.

ولا ادعي لنفسي أني بلغت درجة الكمال، فهذه درجة المعصوم، ولكن أزعم أني بذلت من الجهد فما ابقيت، وانفقت من الوقت فما استثنيت، آملاً من الله ﷻ متوسلاً ان يكون هذا الكتاب شاهد صدق فأنال به المفازة إذ شملت رحمة ربنا كل حيّ، وأن يغفر لنا جميعاً، فالتوبة لا تدوم، والمعاصي لا تنصرف عنا، وهو أرحم الراحمين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

أ.د. محمد كاظم الفتلاوي

٢٠٢٢م

قائمة المصادر

خير ما نبدأ به: **القرآن الكريم**.

١. إبراهيم محمد مرزوق، قواعد الجدل وآدابه في القرآن الكريم، مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية، ليبيا، مجلد ٥، العدد ٢.
٢. أحمد جمال العمري (الدكتور)، دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٦م.
٣. أحمد درويش مؤذن (الدكتور) وآخرون، من روائع الأساليب البلاغية في القرآن الكريم، صون جاغ للنشر الأكاديمي، تركيا، ١٤٤٢هـ.
٤. احمد مطلوب (الدكتور)، البلاغة عند السكاكي، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٤م.
٥. الباقلاني (ت:٤٠٣هـ)، إعجاز القرآن، تحقيق احمد صقر، دار المعارف، مصر.
٦. البقاعي برهان الدين إبراهيم (ت:٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م، ط٣.
٧. البصري محمد بن علي المعتزلي (ت:٤٣٦هـ)، المعتمد في أصول الفقه، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.
٨. بكري شيخ أمين (الدكتور)، التعبير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٠م.
٩. بلال عبد الستار مشحن (الدكتور)، خصائص الخطاب اللغوي في القرآن الكريم، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، ٢٠١٦م، العدد ٤٥.
١٠. بنت الشاطئ (ت:١٤١٩هـ) عائشة عبد الرحمن (الدكتورة)، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ط٧.
١١. بنت الشاطئ، الاعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، القاهرة.
١٢. الترمذي محمد بن علي (ت:٣٢٠هـ)، الأمثال من الكتاب والسنة، تحقيق: السيد الجميلي، دار ابن زيدون، بيروت،١٩٨٥م.

١٣. التفتازاني سعد الدين (ت:١٣٣٠هـ)، شرح المختصر على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني في المعاني والبيان والبديع، المكتبة المحمودية التجارية بالأزهر، مصر، ١٣٥٦هـ.
١٤. ابن الجزي (ت:٧٥٨هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، دار، الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤١٦هـ.
١٥. جعفر السبحاني، الأقسام في القرآن الكريم، نشر: مؤسسة الامام الصادق ع، قم، ١٤٢٠هـ.
١٦. جعفر السبحاني، الأمثال في القرآن، نشر: مؤسسة الإمام الصادق ع، قم، ١٤٢٠هـ.
١٧. جعفر السبحاني، القصص القرآني دراسة ومعطيات، وأهداف، نشر: مؤسسة الإمام الصادق ع، قم، ١٤٢٧هـ.
١٨. ابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)، لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبي غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ٢٠٠٢م.
١٩. ابن حزم الاندلسي (ت:٤٥٦هـ)، المحلى بالآثار، دار الفكر، بيروت.
٢٠. حسين مطاوع الترتوري(الدكتور)، الإعجازُ البياني للقُرآن الكريم أركانه وَمَظَاهره، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العلمية للبحوث والإفتاء، الرياض، ١٩٨٩م، العدد٢٣.
٢١. ابن حيان أبو محمد عبد الله، الأمثال في الحديث النبوي، تحقيق: عبد العلي حامد، الدار السلفية، بومباي، ط٢، ١٤٠٨هـ.
٢٢. أبو حيان الاندلسي (ت:٧٤٥هـ)، تفسير البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٣. خالق داد ملك (الدكتور)، الخطاب القرآني وأنواعه (دراسة بلاغية في ضوء الفتح المحمدي في علم البديع والبيان والمعاني)، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور – باكستان، ٢٠١٥م، العدد ٢٢.
٢٤. خير الدين الزركلي(ت:١٣٩٦هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢م.
٢٥. الرازي فخر الدين (ت:٦٠٤هـ)، تفسير مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩م، ط٣.

٢٦. ابن رشيق القيرواني (ت:١٠٦٣هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
٢٧. زاهر عوض الألمعي (الدكتور)، مناهج الجدل في القرآن، الرياض، السعودية، ١٩٨٤م، ط٣.
٢٨. الزركشي بدر الدين (ت:٧٤٥هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد بن علي، دار الغد الجديد، القاهرة، ٢٠١٥م.
٢٩. الزمخشري جار الله (ت:٥٣٨هـ)، تفسير الكشاف، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ط٢.
٣٠. سامي عطا حسن، التقديم والتأخير في النظم القرآني الكريم: بلاغته ودلالاته، مجلة دراسات، علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، ٢٠١٠م، المجلد ٣٧، العدد ٢.
٣١. السكاكي محمد بن علي (ت:٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ط٢.
٣٢. سليمان عشراتي (الدكتور)، الخطاب القرآني مقاربة توصيفيه لجمالية السرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٩م.
٣٣. سميح عاطف الزين، الأمثال والمثل والتمثيل والمثلات في القرآن الكريم، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٧م.
٣٤. السمين الحلبي (ت:٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
٣٥. السيوطي جلال الدين (ت:٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.
٣٦. الشريف الرضي محمد بن الحسين (ت:٤٠٦هـ)، تلخيص البيان في مجازات القرآن، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
٣٧. الشوكاني محمد بن علي (ت:١٢٥٠هـ)، فتح القدير، دار الكلم الطيب، دمشق، ١٤١٤هـ.
٣٨. صبحي الصالح (الدكتور)، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨م، ط٥.

٣٩. صورية بوصوار، مقاصد التقديم والتأخير في دلائل الإعجاز، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، السنة ٨، العدد١٦.
٤٠. الطاهر بن عاشور (ت:١٩٧٣م)، تفسير التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، بيروت.
٤١. طه حسين (الدكتور)، من حديث الشعر والنثر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م.
٤٢. الطبرسي أبو علي الفضل (ت:٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، مكتبة دار المجتبى، النجف الاشرف، ٢٠٠٩م.
٤٣. عادل حسن علي (الدكتور)، الجمان في علوم القرآن، مكتبة المتنبي، السعودية، ٢٠٠٦م.
٤٤. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم دمشق، ١٩٩٦م.
٤٥. عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، مؤسسة دار الاصالة، القاهرة، ١٩٨٣م.
٤٦. عبد الله بن يوسف الجديع، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، مؤسسة الريان، بريطانيا، ٢٠١١م، ط٥.
٤٧. عبد الله سلوم (الدكتور)، إعادة المعنى في النص القرآني، طبعة الدار الجامعية للنشر، بيروت، ١٩٩٤م، ط٢.
٤٨. عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨م.
٤٩. ابن عطية الاندلسي (ت:٥٤٢هـ)، تفسير المحرر الوجيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٩هـ.
٥٠. عز الدين علي السيد (الدكتور)، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، دار الطباعة المحمدية الأزهرية، ١٩٧٣م.
٥١. عز الدين محمد الكردي (الدكتور)، التقديم والتأخير في القرآن الكريم، دار المعرفة للطباعة والنشر، ٢٠٠٧م.
٥٢. العلوي (ت:٧٤٥هـ)، الطراز، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت.

٥٣. علي أبو القاسم عوض (الدكتور)، بلاغة التقديم والتأخير في القران الكريم، دار المدار الاسلامي، ببيروت، ٢٠٠٦م.
٥٤. علي بن سليمان العبيد (الدكتور)، الوجيز في علوم القرآن العزيز، دار التدمرية، الرياض، ٢٠١٥م، ط٣.
٥٥. علي فهمي النزهي، لطائف وأحكام في علوم القرآن، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠١٦م.
٥٦. ابن عماد الحنبلي (ت:١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ.
٥٧. الغزالي ابو حامد (ت:٥٠٥هـ)، المستقصي في أمثال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ط٢.
٥٨. فاضل السامرائي (الدكتور)، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار، الأردن.
٥٩. فضل حسن عباس (الدكتور)، محاضرات في علوم القرآن، دار النفائس، الأردن، ٢٠٠٧م.
٦٠. الفيروز آبادي مجد الدين (ت:٨١٧هـ)، صائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٩٦م، ط٣.
٦١. القرطبي محمد الانصاري (ت:٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الرياض، ٢٠٠٧م.
٦٢. ابن قدامة المقدسي أبو محمد موفق (ت:٦٢٠هـ)، روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م، ط٢.
٦٣. مجاهد محمود أحمد، منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٣م.
٦٤. المجلسي محمد باقر (ت:١١١١هـ)، بحار الانوار، مؤسسة الوفاء، بيروت.
٦٥. محمد أبو القاسم حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية؛ أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٣م.

٦٦. محمد أبو صوفة، الأمثال العربية ومصادرها في التراث، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٢م.
٦٧. محمد احمد خلف الله (الدكتور)، الفن القصصي في القرآن الكريم، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٠م.
٦٨. محمد التومي، الجدل في القرآن الكريم فعاليته في بناء العقلية الإسلامية، مطبعة: شرآة الشهاب، الجزائر.
٦٩. محمد باقر الحكيم (ت:٢٠٠٣م)، علوم القرآن، مجمع الفكر الإسلامي، قم، ١٤٢٦هـ، ط٧.
٧٠. محمد باقر الحكيم، القصص القرآني، المركز العالمي للعلوم الإسلاميّة، ١٣٦٧هـ. ش، مطبعة: ليلى.
٧١. محمد توفيق أبو علي (الدكتور)، الأمثال العربية في العصر الجاهلي دراسة تحليلية، دار النفائس بيروت، ١٩٨٨م.
٧٢. محمد حسين الصغير (الدكتور)، الصورة الفنية في المثل القرآني، دار الهادي، بيروت، ١٩٩٢م.
٧٣. محمد حسين الصغير (الدكتور)، الصوت اللغوي في القرآن الكريم، دار المؤرخ العربي، بيروت.
٧٤. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، دار الكتاب العربي، بغداد، ٢٠٠٩م.
٧٥. محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن الكريم، دار التعارف، بيروت، ١٩٨٧م، ط٥.
٧٦. محمد الطباطبائي المجاهد الكربلائي (ت:١٢٤٢هـ)، مفاتيح الأصول، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ١٢٩٦هـ.
٧٧. محمد خازر المجالي (الدكتور)، الوجيز في علوم الكتاب العزيز، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، الأردن، ٢٠٠٤م.
٧٨. محمد عبد الخالق عضيمة (ت:١٤٠٤هـ)، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، تصدير: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة.

٧٩. محمد رضا المظفر، أصول الفقه، اسماعيليان، قم، ١٤٢٧هـ، ط١٦.
٨٠. محمد عبده (ت:١٩٠٥م)، نهج البلاغة، دار البلاغة، بيروت، ١٩٨٩م، ط٤.
٨١. محمد كاظم الفتلاوي (الدكتور)، التفسير التربوي – أضواء تتربوية أخلاقية من وحي الآية الثانية عشرة من سورة الحجرات –، دار حدود، بيروت، ٢٠٢١م.
٨٢. محمد كامل حسن، القرآن والقصة الحديثة، دار البحوث العلمية، الكويت، (دت).
٨٣. محمود شلتوت (ت:١٩٦٣م)، تفسير القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط٦، ١٣٩٤هـ.
٨٤. مختار عطية، علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٣م.
٨٥. مصطفى الصاوي، منهج الزمخشري في تفسير القرآن، دار المعارف، مصر، ١٩٥٩م.
٨٦. مصطفى ديب البغا (الدكتور) وآخر، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب، دمشق، ١٩٩٨م، ط٢.
٨٧. مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:٨، ٢٠٠٥م.
٨٨. معمر بن المثنى (ت:٢١٠هـ)، مجاز القرآن، تحقيق: د. فؤاد سزكين، مطبعة الخانجي، ١٩٥٤م.
٨٩. مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر، الرياض، ١٩٩٦م، ط٢.
٩٠. منير محمود الميسري، دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٥م.
٩١. مهرناز گلي (الدكتور)، أصول المجاز في القرآن الكريم، مجلة نصوص معاصرة، بيروت، ٢٠١٨م.
٩٢. موسى إبراهيم الإبراهيم، بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم، دار عمار، عمان، ١٩٩٦م، ط٢.
٩٣. ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٥م، ط٢.

٩٤. نبراس خضير عباس، التناسب والترتيب في سورة الكهف وأثره في الإعجاز، قسم العلوم الإسلامية الأساسية، معهد الدراسات العليا في جامعة كارابوك، ٢٠٢١م.
٩٥. نور الدين عتر (الدكتور)، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح، دمشق، ١٩٩٦م، ط٦.
٩٦. أبو هلال العسكري (ت:٣٩٥هـ)، جمهرة الأمثال، تحقيق: د. أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
٩٧. أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٣١هـ، ط٥.
٩٨. يوسف سليمان الطحان (الدكتور)، الوصف في قصص سورة الكهف–دراسة تحليلية–، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل، المجلد السابع، ٢٠١٣م، العدد ١٤.
٩٩. يوسف عمر العساكر، الجدل في القرآن خصائصه ودلالاته–جدال بعض الأنبياء مع أقوامهم انموذجا– رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الجزائر، ٢٠٠٥م.

٧ ، ٢٢٠
ف ٢٨٢ الفتلاوي ، محمد كاظم
أساليب القرآن الكريم: دراسة في النظرية
والتطبيق / محمد كاظم الفتلاوي . – بغداد :
الرافد ، ٢٠٢٢ .
٢٥٠ ص ، ٢٤ سم .
١. القرآن الكريم – دراسات . أ. العنوان.
م.و.
١٤٤ / ٢٠٢٢

المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٤٤) لسنة ٢٠٢٢م

الترقيم الدولي: I.S.B.N. 978 – 9922– 9774– 1 – 6

التصميم والإخراج الفني
مكتب محمد الخزرجي ٠٧٨٠٠١٨٠٤٥٠
العراق – النجف الأشرف

المؤلف في سطور

الاسم: محمد كاظم حسين الفتلاوي.

* حاصل على اللقب العلمي: (أستاذ) Professor

في ١٧/ ١٢/ ٢٠٢٠م.

* أستاذ في التفسير وعلوم القرآن الكريم في كلية التربية المختلطة/ جامعة الكوفة.

شغل مهام:

* رئيس قسم علوم القرآن الكريم / كلية الفقه الجامعة (اعارة).

* مسؤول وحدة الارشاد النفسي والتوجيه التربوي / كلية التربية.

* أمين مجلس كلية التربية.

الشهادات الأكاديمية:

١. خريج قسم التربية الإسلامية في معهد اعداد المعلمين / الديوانية ١٩٩٧م. (العشرة الأوائل).

٢. حاصل على شهادة البكالوريوس في علوم القرآن والتربية الإسلامية/ جامعة بغداد / كلية التربية (ابن رشد)/ ٢٠٠١م.

٣. حاصل على شهادة الماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية / كلية الفقه / جامعة الكوفة عن رسالته الموسومة بـ(حرية العقيدة والرأي في الفكر الإسلامي) وبتقدير (أمتياز). ٢٠٠٨م.

٤. حاصل على شهادة الدكتوراه في علوم القرآن الكريم والحديث الشريف / كلية الفقه / جامعة الكوفة/ عن أطروحته الموسومة بـ(المنظور القرآني في بناء الإنسان – دراسة تفسيرية –) وحاصلة على تقدير (أمتياز). ٢٠١٣م.

* محاضر لمادة (الميراث) في كلية القانون / جامعة القادسية لسنتين: ٢٠٠٧ – ٢٠٠٩م.

* محاضر لمادة: (العقائد، الفكر الإسلامي، مناهج المفسرين، مدارس فقهية، حقوق الإنسان) في كلية الدراسات الإنسانية الجامعة (الكفيل) / النجف الاشرف/ لأربع سنوات: ٢٠٠٨ – ٢٠١٢م.

* شارك في مؤتمرات علميّة عديدة.

* نشر بحوث علميّة في مجلات علميّة محكمة.

* نشر مقالات ثقافية في مجلات معنية.

* عضو هيئة عامة في جمعية منتدى النشر / النجف الأشرف.

* عضو المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة – جمعية علميّة- النجف الأشرف.

* عضو نقابة المعلمين / فرع النجف الأشرف.

* عضو جمعية أبي طالب الخيرية / قضاء الشامية/ المسؤول الثقافي.

* عضو المركز الإعلامي العراقي المقر العام/ الديوانية.

*** عضو في لجنة:**

- عضو لجنة تأليف مناهج التربية الإسلامية في وزارة التربية.
- عضو لجنة تأليف مناهج التربية الإسلامية في وزارة الداخلية.
- عضو لجنة تأليف المناهج الإسلامية في ديوان الوقف الشيعي.
- عضو لجنة الارشاد التربوي المركزية في ديوان جامعة الكوفة. ٢٠٢٢م

للتواصل مع المؤلف:

mohamadk323@gmail.com
mohammedk.alfatlawy@uokufa.edu.iq
http://staff.uokufa.edu.iq/profile.html?mohammedk.alfatlawy

كتب صدرت للمؤلف

١- **كتاب: الإدارة المدرسية في الفكر التربوي الإسلامي**، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٠٣١) لسنة ٢٠١٠م.

٢- **كتاب: الفرائض العبادية وأثرها في البناء الإنساني – دراسة قرآنية** -، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١١٣٤) لسنة ٢٠١٤م.

٣- **كتاب: الإعجاز في القرآن الكريم – دراسة في التفسير العلمي للآيات الكونية** - رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٥٤٤) لسنة ٢٠١٥م.

٤- **كتاب: الفرق الإسلامية الكبرى** – الإمامية، المعتزل، الاشاعرة – دراسة مدخلية مقارنة في النشأة والأصول. رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٣٦) لسنة ٢٠١٦م.

٥- (كتيب): **اخلاقيات مهنة الشرطة في الفكر الإسلامي**. نشر كلية التربية / جامعة الكوفة ٢٠١٦م. رقم الإيداع: ٧٨٠ لسنة ٢٠١٦م.

٦- **كتاب: مناهج المفسرين – دراسة في النظرية والتطبيق**-، نشر دار حدود النجف الاشرف ٢٠١٧م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٦٢٨) لسنة ٢٠١٧م. طبعة ثانية: ٢٠٢٠م

٧- **كتاب: المجتمع الإسلامي المعاصر** -دراسة في ضوء الكتاب والسنة-، دار حدود للنشر، بيروت، ٢٠١٨م الطبعة الثانية: ٢٠٢١م، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٧٨) لسنة ٢٠١٨م.

٨- **كتاب: أصول التفسير** –دراسة في المبادئ العامة والضوابط والقواعد–، دار حدود للنشر والتوزيع، ٢٠١٩م. ورقم الايداع في دار الكتب ببغداد (٣٩٠٧) لسنة ٢٠١٩م.

٩- **كتاب: أخلاقيات مهنة التدريس الجامعي**، تقديم: أ.د. بشرى اسماعيل أرنوط (مصر/ جامعة الزقازيق). الناشر: دار حدود، بيروت، ٢٠٢٠م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٢٣) لسنة ٢٠٢٠م.

١٠- (كتيب): **ميثاق أخلاقيات مهنة التدريس الجامعي**، دار حدود، بيروت، ٢٠٢٠م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٢٤) لسنة ٢٠٢٠م.

١١- كتاب: **التفسير التربوي للقرآن الكريم** -أضواء تربوية أخلاقية من وحي الآية الثانية عشرة من سورة الحجرات–، دار حدود، بيروت، ٢٠٢١م، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٨٥١) لسنة ٢٠٢١م.

١٢- كتاب: **أساليب القرآن الكريم** – دراسة في النظرية والتطبيق –، دار حدود، بيروت، ٢٠٢٢م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٤٤) لسنة ٢٠٢٢م.

١٣- كتاب: **علوم القرآن التاريخية** (تاريخ القرآن)، نشر: مؤسسة الصادق الثقافية، بابل، ٢٠٢٣م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٥٠) لسنة ٢٠٢٢م.

Methods of the Holy Quran

– Study in theory and practice -

The style of the Qur'an in its verses is unique in that it is a distinct style that is unparalleled among the Arab styles.

In order for the Holy Qur'an to achieve its multiple purposes, taking into account the differences of people, its methods varied. These methods were some of them that had a tangible impact in the books of the sciences of the Qur'an, and some of them were not mentioned at all, and I noticed that our dear university student, the specialist, not to mention the educated one, was not able to study these methods in a practical and applied manner inclined to a purposeful environment specialized in the sciences of the Holy Qur'an.

The reason for choosing these methods and not others, this is due to their importance, spread and educational and psychological impact, as I was far from complexity, keen on the smoothness of the phrase and clarity of meaning.

My dear reader, these lines are the fruit of my understanding, I wrote them with the supply of my heart and my soul so that my work would not be interrupted after my death, I derive from God success, guidance, aid and care, and with that, God knows that I am not the captain of this sea.

Praise be to God, Lord of the worlds, and may God's peace and blessings be upon Muhammad and his pure family.

Prof. Dr
Muhammad **K**azem **Al**-Fatlawy
Professor of Quranic Studies
University of Kufa / Najaf
م2022